الإبانة

عن أصول الديانة

لأبي الحسن الأشعري

قدم لها وعلق عليها وخرَّج أحاديثها

حسن بن علي السقاف





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب الإبانة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ورضي الله عن أصحابه المتقين .

أما بعد :

فكتاب « الإبانة » للأشعري لغز احتار أصحابنا الأشاعرة المنزهة بما فيه من الأفكار[1] ! ويكمن اللغز في أنهم يظنون بل يتوهمون أن الأشعري كان يقول بما يقولون به ! وأنه إمام جليل صاحب مذهب التنزيه الذي عليه المتأخرون من المنزهة الأشعرية ويظنون أن مذهبه هو المدون في الكتب التي يقرأونها ويدرسونها ويتداولونها فيما بينهم (بجامع التسمية الأشعرية) ككتب الإمام الغزالي والفخر الرازي وشروح الجوهرة للباجوري والصاوي والسنوسية والخريدة ونحوها !

ومختصر الحقيقة في هذه المسألة : أن الأشعري لم يكن في قضية الصفات وما يتعلق بالمولى جلَّ وعزَّ يقول ويعتقد بما يقول به الأشعرية الذين ذكرناهم بل كان حنبلياً متزلفاً مُصَرِّحاً بأنه على عقيدة أحمد بن حنبل !

قال الذهبي في « السير » (١٥/ ٩٠) :

« فقيل : إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول : رددت على الجبائي ، رددت على المجوس ، وعلى النصارى . فقال أبو محمد : لا أدري ما تقول ، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد ، **فخرج وصنَّف الإبانة فلم يُقْبَل منه** » .

---

(١) وقد سألني صديقنا العالم الجليل الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني الحنفي متعه الله تعالى بالصحة والعافية عدة مرات عن رأيي في كتاب الإبانة مع أن له كتاباً حول كتاب الإبانة وعقيدة الأشعري ولم يصل فيه لرأي مقطوع كما لم ينته إلى جواب شاف في القضية !

وعقيدة الحنابلة الذين سلك الأشعري منهجهم وطريقتهم عقيدة غير مرضية عند عقلاء العلماء من أهل السنة مثل الحافظ ابن الجوزي[٢] وابن حزم وملا علي القاري ومتأخري الأشاعرة !

قال ابن حزم **في** ((**الفصل في الملل والأهواء والنحل**)) **(٢/١٢٧) : [وقال الأشعري إن المراد بقول الله تعالى أيدينا إنما معناه اليدان وإن ذكر الأعين إنما معناه عينان وهذا باطل مدخل في قول المجسمة] !!**

وقد ذكر الشيخ العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في مقدمة ((تبيين كذب المفتري)) أن أولى الناس بالأشعري الحنابلة حيث قال هناك ص (١٦) :

((وفقهاء المذاهب يتجاذبون الأشعري إلى مذاهبهم ويترجمونه في طبقاتهم **والحنابلة أحق بذلك ؛ حيث يصرِّح الأشعري في مناظراته معهم أنه على مذهب أحمد** ..)) .

وهذا تصريح لطيف من العلامة الكوثري رحمه الله تعالى يخبرنا بجلية الأمر .

والأشاعرة المنزهة الذين ذكرناهم هم على عقيدة الغزالي الذي أسس لهم مذهباً معتدلاً ما بين طوائف أهل السنة بالإضافة لما استفادوه من هنا وهناك من بعض كليمات في التنزيه وغيره من العقائد المعتدلة بالنسبة لباقي الاتجاهات الموجودة عند أهل السنة والجماعة !

فالأشعري حنبلي وكلامه مُدْخل في قول المجسمة والمشبهة ، و ((الإبانة)) كتاب فيه من الفظائع الشيء الكثير ، والقطعة التي نقلها الحافظ ابن عساكر من ((الإبانة)) في كتابه ((تبيين كذب المفتري)) تثبت بأنه كان يقول بتلك الطامات والبليات إذ لم تتلاعب بتلك القطعة الأيدي الأثيمة ولا الآثمة ، فالعقيدة البعيدة عن التنزيه ثابتة عليه والأشاعرة المتأخرون لا يسايرونه في ذلك وعلى رأسهم إمام الحرمين والغزالي وهما من الذين خالفوا الأشعري والباقلاني ولم يرتضوا مذهبهما[٣] !!

---

(٢) كما في كتابه الذي حققناه وعلقنا عليه المسمى ((دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه)) .

(٣) قال الأشعري في الإبانة : [وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول

قال الإمام السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/٣٨٦) أثنـاء حديثه عـن الكسب والاختيار : « ولإمام الحرمين والغزالي مذهب يزيد علـى المذهبيـن جميعـاً ، **ويدنو كل الدنو من الاعتزال** وليس هو هو » .

وقال الإمام الغزالي في « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة »[٤] ص (٣٩) :

« فإن زعم ـ صاحبك ـ أن حدَّ الكفر مـا يخـالف مذهـب الأشـعري أو مذهـب المعتزلي أو الحنبلي أو غيرهم فاعلم أنه غر بليد ، قد قيَّـده التقليـد ، فهـو أعمـى مـن العميان ، فلا تضيِّع بإصلاحه الزمان ... » .

وقال السبكي في « الطبقات » (٥/١٩٢) في ترجمة إمام الحرمين :

« **والإمام لا يتقيد لا بالأشـعري** ولا بالشـافعي ، لا سيما فـي البرهـان ، وإنمـا يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده ، **وربما خالف الأشعري** وأتى بعبارة عالية على عادة فصاحته ، تأدية نظره واجتهـاده ، **فـلا تحتمـل المغاربـة أن يقـال مثلهـا فـي حـق الأشعري** ، وقد حكينا كثيراً من ذلك في شرحنا على مختصر ابن الحاجب » .

فهذه نصوص صريحة تعطيـك صـورة واضحـة عـن جليـة الأمـر وحقيقـة هـذه القضية ، فالأشعري لا يعول على مقولاته عندنا والأشاعرة على خلاف قوله والمذهب لا يقبل التقليد للعلماء وطلبة العلم بل :

كل من قلَّد في التوحيد   إيمانه لم يخل من ترديد

ولا ينفـي ثبـوت هـذه الأقـوال الاعتقاديـة الفاســدة فــي كتــاب « الإبانــة » و « مقالات الإسلاميين » وتبني الأشعري لها ما قاله العلامة المحدث الكوثري رحمه الله تعالى في التعليق على « السيف الصقيل » ص (١٠٨) من الطبعة القديمة الأولى :

الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أنه استولى وملك وقهر] قلت : خالف ذلك الغزالـي فقال في « الإحياء » في كتاب قواعد العقائد (١/١٠٨) : [الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيـث قال في القرآن ﴿ ثم استوى إلى السماء ... ﴾ وليـس ذلـك إلا بطريـق القهـر والاسـتيلاء] . وانظـر الاقتصاد في الاعتقاد ص (١٠٤) بتحقيق الدكتور عادل العوا / طبع دار الأمانة / بيروت / ١٩٦٩م .

(٤) منشورات دار الحكمة / دمشق وبيروت / ١٤٠٦هـ .

« وتأليف الإبانة كان في أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدريج البربهاري إلى معتقد أهل السنة ، ومن ظنَّ أنها آخر مؤلفاته فقد ظن باطلاً ، وقد تلاحقت أقلام الحشوية بالتصرف فيها ولا سيما بعد فتن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه وأصحاب أصحابه » .

وقال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في التعليق على « تبيين كذب المفتري » ص (٢٨) :

« والنسخة المطبوعة في الهند من الإبانة نسخة مصحفة محرفة تلاعبت بها الأيدي الأثيمة فتجب إعادة طبعها من أصل وثيق » .

فهذه النصوص التي قالها العلامة الكوثري لا تنفي تورِّط الأشعري بالعقائد الفاسدة وإنما فيها أن الطبعة الهندية كان فيها تحريف وأما تلاحق أقلام الحشوية بالتصرف فيها فلا دليل عليه !

وهذا كله يثبت عنده أن « الإبانة » من تصنيف الأشعري ولكن فيها ما يحيِّر عقولهم وتأباه قلوب أهل التنزيه ، وما في القطعة التي نقلها ابن عساكر الأشعري في « تبيين كذب المفتري » كما أسلفنا يثبت أن المصنف نفسه ـ الأشعري ـ يقول بذلك الكلام المردود الدال على الميل إلى عقيدة التشبيه والتجسيم أعاذنا الله تعالى منها ، ولذلك فإن الأشاعرة من عصر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى لم يعرجوا عليها ولم يلتفتوا لها لأن الإمام الغزالي هو صاحب المذهب الأشعري على التحقيق الذي سار عليه القوم فيما بعد وخاصة المتأخرين منهم .

وما سنذكره في هذه المقدمة ونعرِّج عليه في التعليقات على عبارات وجُمَل الإبانة يصوِّر لك الحقيقة إن شاء الله تعالى ويَحُلُّ هذا اللغز وبالله تعالى التوفيق .

اسم الأشعري ونسبه :

ترجمة الأشعري شـهيرة ولكننـا ههنـا نذكـر الأشـياء المهمـة والتـي لا يعرفهـا الكثيرون فنقول :

الأشعري هو : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بـن سـالم بـن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصـرة بـلال بـن أبـي بـردة بـن أبـي موسـى عبدالله بن قيس بن حَضَّار الأشعري اليماني البصري .

وجده هو (أبو بردة) ابن أبـي موسـى الأشـعري وكـان ناصبيـاً وعمـل قاضيـاً للحجاج بن يوسف الثقفي عليه من الله تعالى ما يستحق ، وجاء في ترجمة أخيـه أبـي بكر في « تهذيب الكمال » (٣٣/ ١٤٥) : قال الآجُرِّي :

[قلت لأبي داود : أبو بكر بن أبي موسى سمع من أبيه ؟ قال : أراه قـد سـمع ، وأبو بكر أرضى عندهم من أبي بردة بن أبي موسى ، كان يذهب مذهـب أهـل الشـام ، جاءه أبو غادية قاتل عمار فأجلسه إلى جنبه وقال : مرحباً بأخي] .

وممن روى عنهم أبو بردة هـذا : عبـد اللـه بـن سـلام الإسـرائيلي وعمـرو بـن العـاص وهـؤلاء الذيـن أذاعـوا الإسـرائيليات ونقلوهـا لهـذه الأمـة مـع كعـب الأحبار وأمثاله !

وفي « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٦) : « روى سعيد بن أبـي بـردة عـن أبيـه قـال : بعثني أبي ـ أبو موسى ـ إلى عبدالله بن سلام لأتعلَّم منه » .

وقد ثبت أن سيدنا علياً رضي الله عنه دعا على أبي موسى عبداللـه بـن قيـس ؛ فروى ابن أبي شيبة بسند صحيح (٢/ ٢١٦) أن سيدنا علياً كان يقول في قنوته :

« **اللهم عليك بمعاوية وأشياعه** ، وعمـرو بـن العـاص وأشـياعه ، وأبـا الأعـور السلمي وأشياعه ، **وعبد الله بن قيس وأشياعه** » .

وكما هو معلوم أن عبدالله بن قيس أرسله سيدنا عليٌّ عليـه السـلام والرضـوان ليكون أحد الحكمين فخلع من أرسله .

على أن الأهوازي قد طعن في نسب أبي الحسن الأشعري كما نقل ابـن عسـاكر

في « التبيين » ص (٣٥) إذ قال :

« وفي نسبة أصحابه ـ أي الأشعري ــ أباه إلى أبي بشر تكذيب لأبي علي الأهوازي فيما اختلق ، فإنه زعم أنه غير صحيح النَّسَب ، وأنه ما كنى عن اسم أبيه إلا لهذا السبب ..... وفي إطباق الناس على تسميته بالأشعري[٥] تكذيب لما قاله هذا المفتري » .

في أي سنة ولد الأشعري وفي أي سنة توفي ؟ اختلاف ! وبيان ما هو القول الصحيح في ذلك :

اختلفوا في مولد الأشعري فقيل سنة (٢٦٠هـ) وقيل سنة (٢٧٠) وقيل سنة (٢٦٦) . والراجح أنه ولد سنة (٢٧٠) وهذا ما اعتمده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (١/ ٣٤٦) وابن الأثير في « اللباب » (١/ ٥٢) .

واعتمد المقريزي في « الخطط » (٣/ ٣٠٣) أن ولادته كانت سنة (٢٦٦) .

ورواية من قال إنه وُلِدَ سنة (٢٦٠) رواية مجازف لا تصح ! وقد اعترف ابن عساكر في التبيين ص (١٤٦) أن قائلها وهو أبو بكر الوَزَّان كان مجازفاً في سنة وفاة الأشعري وسكت عن سنة المولد مع أنها مجازفة أيضاً ! والوَزَّان هو القائل في جملة واحدة أن الأشعري ولد سنة (٢٦٠) وتوفي سنة (٣٣٣) ! فمن العجيب أن يقبل ابن عساكر من هذه الجملة سنة الميلاد وَيَرُدَّ سنة الوفاة بقوله هناك :

« ولكن أراه في تاريخ وفاته مجازفاً ... » !!

مع أن الوَزَّان[٦] مُتَفَرِّد بذلك ومخالفوه الأكثر يقولون سنة (٢٧٠) !!

فالمعتمد فيما أرى أن مولده كان سنة (٢٧٠) غير أن من أراد أن يفخم

---

(٥) وهذا ليس بدليل فقد أطبق الناس في زمن الباقلاني على تسميته بأبي بكر الأشعري ، انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٩٢) وكثير من الناس نسبوا إلى أشخاص ونسبتهم إليهم غير صحيحة !

(٦) هو رجل مجهول لم أقف له على ترجمة ! وهناك مَنْ اسمه : أبو بكر الوزان وهو أحمد بن إسحاق بن صالح ، وهو مترجم في تاريخ بغداد (٤/ ٢٨) ولكن هذا توفي سنة (٢٨١) فلا يستطيع أن يخبر بوفاة الأشعري لأن الأشعري توفي بعده !

بالأشعري ليعطيه وقتاً كافياً بعـد الاعـتزال للتـأليف اعتمـد سـنة (٢٦٠) ليطيـل عمـره ويثبت بأنه استطاع أن يصنف تلك التصانيف الكثيرة .

وحياة الرجل غامضة ولا يعـرف عنهـا شـيء يمكـن التعويـل عليـه إلا منامـات تحكى عنه أنه رآها لينصر الحق ، وقصص لا يعرف راويها عنه مباشرة في سـبب تركـه للاعتزال ! فالأمر يكتنفه الغموض والاستفهام والعجب !

واشتهر أنه أخذ علم الكلام على أبي علي الجبائي المعتزلي والله أعلم بحقيقـة الحال ، وأنه لازمه أربعين سنة كما في « تبيين كذب المفتري » ص (٣٩) حيث يقـول ابن عساكر :

[وذكر أبو القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي من أهل طرابلس المغرب قال : سألت أبا بكر إسماعيل بن أبي محمد بن اسحق الأزدي القيراوني المعروف بابن عزرة رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله فقلت له : قيل لي عنه إنه كـان معتزليـاً وإنه لما رجع عن ذلك أبقى للمعتزلة نكتاً لم ينقضهـا ! فقـال لـي : الأشـعري شـيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا **قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة** وكان لهم إماماً ....] .

وروى ابن عساكر هناك ص (٩١) بإسناده عن : [أبي محمد الحسن بن محمد العسكري بالأهواز وكان من المخلصين في مذهبه المتقدمين في نصرته يعنـي مذهـب الأشعري يقول :

كان الأشعري تلميـذ الجبـائي يـدرس عليـه فيتعلـم منـه ويـأخذ عنـه **لا يفارقـه أربعين سنة** ...] .

وقد توفي الجُبَّائي سنة ٣٠٣هـ ، فمتى يصاحب الأشعريُّ المولـود سـنة (٢٧٠) الجبائيَّ المتوفى سنة (٣٠٣) أربعين سنة ؟!!

فإن عمره حينما توفي الجبائي كان (٣٧) سنة ....

وكان الأشعري قد حضر أباه عند أوائل الطلب ـ لأن أبـاه توفـي وهـو صبـي ــ فأوصى أبوه به إلى الساجي فتعلم عنده وعنـد بعـض العلمـاء مـن أهـل السـنة والأثـر العقائد وطريقتهم في الصفات على مذهب مـن يسـمونهم بالسـلف ! فكيـف صحـب

الجبائي بعدما كان عمره ما بين الـ (١٥-٢٠) أربعين سنة ؟!

وقد أكَّد ابن تيمية الحراني في « دقائق التفسير » (٢/ ١٤٥) خرافة الأربعين سنة وأصَرَّ عليها حيث قال هناك :

[فإن الأشعري كان من المعتزلة **وبقي على مذهبهم أربعين سنة** يقرأ على أبي علي الجُبَّائي] .

وقال السبكي في الطبقات (٣/ ٣٤٧) : « يقال : أقام على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً .... » .

مع أنه لم يصر للمعتزلة إماماً !!

فهل كان هو بذلك المستوى العقلي حتى يكون ممن لا يستطيع أن يكتشف ضلال[٧] أو خطأ مذهب المعتزلة أربعين سنة ؟!

المفترض من الإمام الذكي أن يكتشف الضلال والخطأ من أول الجلسات أو خلال أشهر أو على الأكثر سنة ! لا أن تجري عليه أربعون سنة ثم يصور مذهب المعتزلة في الإبانة والمقالات بغير صورته الحقيقية ويتقوَّل عليهم أنواع الفِرَى[٨] وهم برءاء منها !

مع أن هناك قصة ثانية وهي : أن أول شيوخه ليس من المعتزلة ! وإنما هو يحيى بن زكريا الساجي ! والساجي هذا هو على التحقيق من المجسمة المشبهة[٩] أو على سبيل التنزل أو الأقل هو من أهل السنة المائلين إلى الإثبات كما يقولون ، وأن

---

(٧) هذا على فرض أنه ضلال كما يزعمون !

(٨) كقوله هناك بأنهم يقولون بأن الله في كل مكان حتى في الحشوش والأخلية ! وأنهم ينكرون عذاب القبر وغير ذلك من الفِرى !!

(٩) وهو القائل كما نقل عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٩٨) بأنه كان يقول بمقالة السلف في الصفات ، وذكره الذهبي في كتاب العلو (ص ٤٩٦ بتحقيقنا) في جملة مَنْ يقولون بالعلو وأن الله على عرشه في سمائه ......

أباه أوصى عند وفاته إلى الساجي أن يتكفله ويتعهده بالعلم[١٠] فقد قال الذهبي عن الساجي : « وكان من أئمة الحديث ، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات واعتمد عليها أبو الحسن في عدَّة تآليف »[١١] .

فهذا كان في أول حياة الأشعري بوصاية أبيه أن يتلقى عقيدة الساجي السُّنِّي .

كما روى الأشعري الحديث أيضاً عن « الجمحي وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقبري وعبد الرحمن بن خلف الضبي وأكثر عنهم في تفسيره »[١٢] !! وهؤلاء جميعاً من المحدّثين الذين هم من أهل السنة وعلى طريقة المثبتة ! وبذلك يتبين لنا أن أول مذهب تلقاهُ أبو الحسن الأشعري كان مذهب الإثبات على طريقة أهل السنة والسلف !

فيصح أيضاً أن يقال الآن : صار الاحتمال قوياً في أن الأشعري قد رجع من مذهب أهل السنة الذي اعتنقه في أوائل عمره إلى مذهب المعتزلة لا العكس !!

وهناك احتمال آخر وهو : أن رجوع الأشعري من مذهب المعتزلة إلى مذهب أهل السنة كان بأفكار الساجي لا برؤيا رآها ولا بقصص أخرى ! لا سيما والذهبي يقول في الساجي : « كان من أئمة الحديث أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات واعتمد عليها أبو الحسن في عِدَّة تآليف » .

وقال الذهبي في « السير » (١٥/ ٩٠) : « فقيل إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول : رددت على الجُبَّائي ، رددت على المجوس ، وعلى النصارى . فقال أبو محمد : لا أدري ما تقول ، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد ، **فخرج وصنَّف الإبانة فلم يُقبَل منه** » .

---

(١٠) كما في تبيين كذب المفتري ص (٣٥) والخطط للمقريزي (٣/ ٣٠٣) ، ومقدمة كتاب الدكتورة فوقية للإبانة ص (١٦-١٧) .

(١١) في « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ١٩٨) .

(١٢) كما يقول السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٥٥) .

ويَقْبل ابن تيمية « الإبانة » وينقل عنه ويمجده ويحتج به في كتبه ؟! مع أنه يـذم الأشعري نفسه[13] ؟!!

وهذا يبين إن صح أنه تزلَّف للحنابلة ! وما يكتبه في كتبه مـن أنـه يعتقـد عقيـدة أحمد بن حنبل يؤيد هذا ويقويه !

لكن من العجيب الغريب أن يبقى الرجل أربعين سـنة مـع اشـتغاله بـالعلم كمـا يصفونه على الاعتزال ولا يكتشف في سِنٍّ مبكرة فساد مذهب المعتزلـة ثـم بعـد هـذه المدة المديدة يعق شيخه ومذهبه الذي نشأ وترعرع عليه بهذه الغلظـة التـي نراهـا فـي كتبه ! بل يحكي عنهم أموراً لا يقولونها ولا يدينون بها بل كتبهم طافحـة بـالرد عليهـا والقول بخلافها ومن أهمها نسبة المكان إلى الله تعالى .

قال الذهبي هناك ص (٨٩) : « وقد ألَّف الأهـوازي جـزءاً فـي مثـالب ابـن أبـي بشر ؛ فيه أكاذيب ، وجمع أبو القاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضاً غير صحيح » .

سنة وفاته :

قال الذهبي في « السير » (١٥/ ٨٦) :

« مات ببغداد سنة أربـع وعشـرين وثلاثمائـة **حـط عليـه جماعـة مـن الحنابلـة والعلماء** ، وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك ، إلا مـن عصـم اللـه تعـالى اللهـم اهدنـا وارحمنا » .

وذكر القاضي عبد الجبار المعتزلي في « شرح الأصـول الخمسـة » ص (١٧٤)

---

(١٣) من ذلك قول ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٨٣) وفي الموافقة المطبوعة على هـامش منهـاج السنة (٢/ ٤١) نقلاً عن السجزي مقرًّا به : « إلـى الوقـت الـذي ظهـر فيـه ابـن كـلاب والقلانسـي والأشعري الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم معهم **بل أخس حالاً منهم في الباطن** » ، وقـول ابن تيمية في الموافقة أيضاً الذي هو درء التعارض المطبوع على هامش منهـاج السـنة (٢/ ٤٩) نقـلاً إقرارياً عن الشيخ أبو حامد ما نصه : « ولم تزل الأئمة الشافعية يـأنفون **ويسـتنكفون أن يُنسـبوا إلـى الأشعري ويتبرؤون مما بنى الأشعري مذهبه عليه** وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه على ما سمعت عدّة من المشايخ والأئمة منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد بن علي الساجي » .

أن شيخه أبا القاسم بن سهلويه كان يُلَقَّب بقاتل الأشعري ، قال : « وسبب تلقيبه به أنه ناظر الأشعري في مسألة فانقطع وحُمَّ » .

وقال الذهبي هناك : « ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاث مائة » .

وقال السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/٣٥٢) : « والصحيح أن وفاة الشيخ بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة ؛ والأقرب أنها سنة أربع وعشرين ، وهو ما صححه ابن عساكر وذكره أبو بكر بن فورك ، ويقال : سنة نيِّف وثلاثين » .

وتوفي ببغداد لكن لا يعرف مكان قبره ، ويقال بأنهم أخفوه خوفاً من الحنابلة وأنهم لولا خوفهم من السلطان لنبشوه(١٤) !

قلت : اختلفوا في موته ثلاث عشرة سنة ! من سنة ٣٢٠ إلى ٣٣٣ ! وهذا يثبت لنا أنه لم يكن من الأئمة ولا المشهورين آنذاك لأن الأئمة المشهورين تضبط وفياتهم باليوم وبأدق من ذلك !

فمختصر القول : ولد سنة ٢٧٠هـ + ١٥سنة كان عمره عندما طلب العلم على الجبائي على الأقل = ٢٨٥ + ٤٠ سنة درس على المعتزلة = صارت سنة ٣٢٥هـ وقد توفي سنة ٣٢٤هـ كما يقال فمتى صنف هذه التصانيف ومتى رجع ؟!

وقد ذكر الأشعريَّ الحاكمُ الجشمي البيهقي المعتزلي في طبقات المعتزلة فقال : [ومن المتأخرين ابن أبي بشر : قرأ على الشيخ أبي علي ثم خالفه ، وذكر القاضي عن أبي هاشم أن أكثر كلامه يدل على أنه لا يعتمد(١٥) وأنه كان صاحب دنيا ليس إلا طلباً للرياسة ، ويحكي أبو علي الزاهر من أصحاب الحديث عنه ما يؤكد ذلك] . هذا موجز عما يهمنا في حياة الأشعري ومولده ونشأته ووفاته .

<u>(١٤)</u> كما في « تاريخ ابن الوردي » ! ونقله عنه الآلوسي في « جلاء العينين » ص (١٣٢) ، كما في مقدمة « الإبانة » للدكتورة فوقية حسين ص (٣٧) .

<u>(١٥)</u> وقع في المطبوع بعض تصحف فكانت هذه الكلمة (يعتقد) والصواب ما أثبتناه ، كذلك وقع بعدها (ليس طلباً للرياسة) والصواب (ليس إلا طلباً للرياسة) كما أثبتناه وبه يلتئم الكلام ويتم المعنى مع ما قبله .

المذهب الأشعري

إن المذهب الأشعري في غالب مسائله وقضاياه لا يساير كتاب « الإبانـة » أو ما أودعه الأشعري في كتاب « مقالات الإسلاميين » ؛ والأشاعرة أو الأشعرية على التحقيق ليس مذهباً واحداً أو نهجاً واحداً وإنما هو عدة أشكال واتجاهـات من المذاهب والمناهج .

فهناك مذهب الأشعري نفسه ويمكن أن يضم إليه الباقلاني ، وهناك منهـج مثل البيهقي[١٦] وبعض المحدثين ، وكـذا منهـج شـيخه الحَلِيمـي[١٧] المختلـف عنه ، وهناك منهج إمام الحرمين وهو يميل إلى التعقيد والفلسفة والمنطـق نوعـاً ما[١٨] ، ومذهب حجة الإسلام الغزالي وهو بنظري المؤسـس الحقيقـي لمذهـب

(١٦) كان البيهقي متابعاً لإبانة الأشعري ! فإنه مـن تـأمل كلامـه فـي الاعتقـاد والهدايـة وقارنـه مـع نصوص الإبانة وجده مُتَّفِقَاً بل وجد العبارة أحياناً عبارة واحدة !

(١٧) الحَلِيمي هو كما قال الذهبي في سـير أعـلام النبـلاء (١٧/ ٢٣١) : [القـاضي العلامـة رئيـس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمـد بـن حليـم البخـاري الشافعي ، أحد الأذكياء الموصوفين ، ومن أصحاب الوجوه في المذهب ، وكان متفنناً سيال الذهن ، مناظراً ، طويل الباع في الأدب والبيان ..... ولد سنة (٣٣٨) .... بجرجان وحمل فنشأ ببخارى .... وله مصنفات نفيسة ، حدَّث عنه الحاكم وهـو أكبر منـه ... توفـي سـنة (٤٠٣) وللحـافظ أبـي بكـر البيهقي اعتناء بكلام الحليمي ولا سيما في كتاب شعب الإيمان] .

أقول : وكان الباقلاني البصري البغدادي معاصراً للحليمي وقد ماتا في سنة واحدة ! وكلام الباقلاني مختلف عن كلام الحليمي فإننا لا نلتفت إلى مقالة الباقلاني ولكننا ننظر إلى قـول الحليمـي بـاحترام وتقدير لما يحويه كلامه من الفهم والإدراك الثاقب !

(١٨) وكتابه « الرسالة النظامية » أجده غير صالح لأن يكون كتاباً في العقائد والتوحيد ، وما قاله فيه من الانكفاف عن التأويل والأخذ بما عليه السلف غلط محض وهـو مـردود لمخالفتـه الواقـع ! لأن الصحابة والسلف وعلى رأسهم ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يؤولـون النصـوص في الصفات وغيرها ، وتفسير ابن جرير خير شاهد على ذلك ! فلا تغفل عن هذا !

الأشاعرة المتأخرين وهو المذهب الصريح في التنزيه ـ النسبي في مذاهب أهل السنة ـ والتأويل والبعيد عن مذهب الأشعري والحنابلة ، ثم بعده منهج الرازي ، ثم مذهب السبكي والذي مشى عليه متأخروا الأشاعرة أمثال صاحب الجوهرة وشراحها وكثير من أصحاب المتون الأخرى مثل إضاءة الدجنة وغيرها ، وبعده السنوسي الذي كان أصلاً في تعقيد علم الكلام والقول بنظريات يتوهم القائل بها أنها أدلة عقلية مقطوعاً بها أو تحقيقاً دقيقاً وهي ليست كذلك !!

اللائق عدم التعصب للأشعري :

إذن فالمذهب الأشعري يتكون على التحقيق من عدة مذاهب يختلف بعضها عن بعض وإن سموها تجوزاً : المذهب الأشعري ؛ فنرى أن مذهب الأشعري والباقلاني متقاربان لكن الباقلاني يخالف الأشعري في أمور كما قال الغزالي في « فيصل التفرقة » والذهبي في « السير » (١٧/ ١٩٠) فإن الذهبي قال هناك في ترجمة الباقلاني :

« وقد يخالفه في مضائق فإنه من نظرائه ..... » .

وهناك مذهب إمام الحرمين والغزالي الذي يختلف عنهما وخاصة في مسألة التأويل والكسب والاختيار ، وهناك طريقة البيهقي وابن فورك ونحوهما المتميزة بالاعتماد على الأحاديث مع اضطراب وتضارب في الأفكار[١٩] ، وهناك مذهب الرازي ، وكذا مذهب أمثال السنوسي ، ثم طريقة أصحاب الحواشي كالباجوري والصاوي والدسوقي وأمثالهم !

ونجد الأشاعرة لا يعولون على مثل كتاب « الإبانة » بل نجد لهم اجتهادات وأقوالاً تخالف ما في كتاب « الإبانة » و « مقالات الإسلاميين » ! بل نجدهم يُصَرِّحون أحياناً بمخالفة الأشعري فيقولون : (خلافاً للأشعري) !

---

(١٩) في مثل كتابه « الأسماء والصفات » وكتاب « الاعتقاد والهداية » .

فهذا الفخر الرازي يقول في كتابه « أصــول الديـن »[٢٠] ص (٦٨) : « المسـألة التاسعة عشرة : **أنه تعالى باق لذاته خلافاً للأشعري** » .

وفي ذلك الكتاب مسائل أخرى خالف فيها الفخــرُ الـرازيُّ الأشـعريَّ [انظر ص (٨٩) و (٩٠) وغير ذلك] ، ومنها ما وافق فيها الرازيُّ المعتزلةَ وخالف فيها الأشـعريَّ مثـل قوله في ذلك الكتاب ص (٨٩) :

[قـال أبـو الحسـن الأشـعري : الاسـتطاعة لا توجـد إلا مـع الفعـل ، وقــالت المعتزلة : **لا توجد إلا قبل الفعل** ، والمختار عندنا أن القـدرة هـي عبـارة عـن سـلامة الأعضاء وعن المزاج المعتدل فإنها حاصلة **قبل حصول الفعل** ....] .

والفخر الرازي كما يدَّعي البعض شيخ المذهب الأشعري **!** مع أنـه ليـس هنـاك على التحقيق مَذْهَبٌ أشعري موحَّدٌ وخاصة في مسألة الصفات ، لأن من أصــول علـم التوحيد الذي نص عليها من يسمونهم علماء الأشاعرة هــو : عـدم جـواز التقليـد فـي العقائد وخاصة للعلماء **!**

وفي ذلك يقول صاحب الجوهرة العلامة اللقاني :

إذ كل من قلَّد في التوحيد　　إيمانـه لم يخـل من ترديـد

وقال السبكي في « الطبقات » (٥/ ١٩٢) في ترجمة إمام الحرمين :

« **والإمام لا يتقيد لا بالأشـعري** ولا بالشـافعي ، لا سـيما فـي البرهـان ، وإنمـا يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده ، **وربما خالف الأشعري** وأتى بعبارة عالية على عادة فصاحته ، تأدية نظره واجتهـاده ، **فـلا تحتمـل المغاربـة أن يقـال مثلهـا فـي حـق الأشعري** ، وقد حكينا كثيراً من ذلك في شرحنا على مختصر ابن الحاجب » .

وهذا يدل على تحررهم من الأشعري وآرائه وعدم تقيدهم به **!!**

وقال الإمام الغزالي في « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة »[٢١] ص (٣٩) :

---

(٢٠) طبعة دار الكتاب العربي / بيروت / ١٤٠٤هـ .

(٢١) منشورات دار الحكمة / دمشق وبيروت / ١٤٠٦هـ .

« فإن زعم ـ صاحبك ـ أن حدَّ الكفر **ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي أو الحنبلي أو غيرهم فاعلم أنه غر بليد ، قد قيَّده التقليد** ، فهو أعمى من العميان ، فلا تضيِّع بإصلاحه الزمان ... » .

وقال السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٨٦) أثناء حديثه عن الكسب والاختيار : « **ولإمام الحرمين والغزالي مذهب يزيد على المذهبين جميعاً ، ويدنو كل الدنو من الاعتزال وليس هو هو** » .

الأشعري ليس أول المتكلمين من أهل السنة ولا من غيرهم خلافاً لما يزعمه بعض المقلدة :

قال السبكي في « الطبقات » (٣/ ٣٦٧) : « قال المأيُرْقِيّ : **ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى على سنن غيره** » .

وأما علم الكلام فالذي اشتغل به وتتبع مسائله وسهله فهو أبو علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة ؛ قال الذهبي في « السير » (١٤/ ١٨٣) :

« وكان أبو علي على بدعته **متوسعاً في العلم سيال الذهن ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ويسَّر ما صعب منه** » .

ومن المعلوم أن ابن كُلاَّب والبخاري وأبا حنيفة وغيرهم من علماء أهل السنة والجماعة وكذلك غير أهل السنة تكلموا في علم التوحيد قبل الأشعري بدهر ! وهذا أمر مشهور لا نريد الإطالة فيه .

القول بظاهر النصوص عقيدة خطرة تُفْضي إلى التجسيم والتشبيه

القول بظاهر النصوص في الأسماء والصفات :

من العقائد الخطيرة السيئة أو الفاسدة غير المقبولة الأخذ بالظاهر في ما يُسَمَّى بالأسماء والصفات ، حيث يمرون نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها مع منع التأويل والترهيب من بيان المقصود من النص والكلمات لتتشكل في ذهن السامع والقارىء صورة إنسان ذو أعضاء للمولى سبحانه وتعالى عما يصفون .

وقد دعا لذلك ابن تيمية مع أنه يُؤَوِّلُ الاستواء بالجلوس والقعود وكان على ذلك مَنْ يسمونهم بالسلف من أهل القرون الثلاثة الأولى والأشعري معهم في اعتقاد الظاهر والحقيقة كما تفيد ذلك نصوصه مثل قوله في ((الإبانة)) :

[وجب أن يُرْجَع من قوله أيدي إلى يدين ؛ **لأن القرآن على ظاهره ، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة ، فإن وجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر آخر**(٢٢) ، **ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها إلا بحجّة**(٢٣)] .

---

(٢٢) إذن هو يقول بظاهر اليدين اللتين هما جارحتان وليس لهما ظاهر إلا ذلك ! والمعنى المغيب عنا الذي يدعيه غير ظاهر له ! فتبين تناقضه واضطرابه في هذه المسألة وانكشف أنه يقول بالظاهر وهو الجارحة ! تعالى الله سبحانه عما يهذي به الظالمون علواً كبيراً .

(٢٣) هذا تصريح واضح بالجارحة ! فهو يذكر (الظاهر) و (على حقيقته) وأي حقيقة وظاهر لليدين إلا هذه اليد وهي الجارحة المعروفة عند جميع الناس ؟!

وقال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ص (١٠٢) :

[ثم قلتم في الأحاديث : تُحمل على ظاهرها ! وظاهر القَدَم الجارحة .... فلو أنكم قلتم : نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح] .

ثم قال الأشعري :

[كذلك قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ **على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين** ، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة] .

وقال بعد ذلك :

[بل واجب أن يكون قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ **إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة**] **!!!** تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

والحقيقة عنده هو الظاهر كما صرَّح به في عبارته المذكورة آنفاً **!** وهذه طريقةٌ عرجاء عوجاء تعاكس ما كان عليه السلف الأُوَل من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين الذين أوَّلوا وفسَّروا وبينوا معاني النصوص كما في تفسير ابن جرير الطبري السلفي المتوفى سنة (٣١٠هـ) **!!**

ومن الأمور التي أخطأ فيها الأشعري أيضاً في الاعتقاد والتي تدل على أن قوله مطابق لقول المجسمة والمشبهة قوله في ((الإبانة)) :

[وأجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى صلى الله عليه وسلم إلى السماء ، ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً يا **ساكن السماء** ومن خلفهن جميعاً : لا **والذي احتجب بسبع سموات**] .

وهذا كله على ظاهره عنده **!** وهو يؤدِّي إلى التجسيم والتشبيه المحض **!!** نسأل الله تعالى العافية !

وأثبت ابن القشيري في رسالته ((شكاية أهل السنة)) أن الأشعري يثبت الوجه واليد وغيرها كما نقله السبكي عنه في ((طبقات الشافعية)) (٣/٤٠٥) .

وما يدَّعونه من أن قول السلف هو الأخذ بالظاهر وإمرارها كما جاءت بلا تفسير ولا تأويل قول مردود باطل فإن التفاسير وخاصة تفسير ابن جرير الطبري مملوءة بتفسيرات وتأويلات السلف لأحاديث الصفات وغيرها ومن ذلك تأويل ابن عباس

رضي الله عنه الساق بالشدة[٢٤] ، والنسيان بالتَّرْك[٢٥] ، والأيدي في قوله تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾ بالقوة[٢٦] ، والجنب بالأمر والحق[٢٧] وغير ذلك مما هو معلوم ومشهور !

والذين جاءوا بالقول بالظاهر هم جماعة من أهل الحديث كابن المبارك والسفيانين ووكيع والأوزاعي وأمثالهم ، فإنهم حاولوا أن يحافظوا على الإرث الأموي ـ بقصد أو بغير قصد ـ الذي تبنى التشبيه والتجسيم في تفسير الآيات بغير اللسان العربي المبين وإثبات الأحاديث المنحولة والقول بها والدعوة إلى وجوب الإيمان بما حوته من المفاهيم المؤدية بل والمصرحة بالتشبيه والتجسيم فمن ذلك :

١- ما ذكره الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (١٠/ ٥٠٥) بسنده عن العباس الدوري قال :

[سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام وذكر الباب الذي يروي فيه الرؤية ، والكرسي موضع القدمين[٢٨] ، وضحك ربنا ، وأين كان ربنا ؟[٢٩] ، فقال : هذه

---

(٢٤) كما في تفسير ابن جرير (٢٩/ ٣٨) وفتح الباري (١٣/ ٤٢٨) وقد بينت صحة السند إليه وبطلان من حاول أن يموِّه فيضعفه في كتاب التناقضات (٢/ ٣١٢-٣١٣) وقال ابن جرير هناك : [قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل : يبدو عن أمر شديد] .

وقال ابن القيم في الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢) : [ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يُذْكَر أنه من الصفات أم لا غير هذا الموضع] . وهذا غير صحيح بل هو من جملة التمويه والتدليس فإنَّ ابن عباس أوَّل الأيدي بالقوة في مثل قوله تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾ ! ولفظة (أَيْدٍ) معناها الحقيقي جمع يد لقوله تعالى ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدٍ يبطشون بها ﴾ الأعراف : ٧ .

وأول ابن عباس النسيان بالتَّرْك ، إلى غير ذلك من أمور لا نريد أن نطيل ههنا بذكرها !!

(٢٥) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ٢٠١) .

(٢٦) تفسير الطبري (٧/ ٢٧) .

(٢٧) تفسير الطبري (٢٤/ ١٩) .

(٢٨) (الكرسي موضع القدمين) ليس حديثاً صحيحاً بل قد حكم عليه الألباني في ((ضعيفته)) (٢/ ٣٠٦/ ٩٠٦) كما قدمنا بأنه : ((ضعيف)) ولي فيه رسالة خاصة بينت فيها بطلانه وهي مطبوعة

أحاديث صحاح[٣٠] حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض وهي عندنا حق لا نشك فيها[٣١] ولكن إذا قيل كيف يضحك وكيف وضع قدمه قلنا لا نفسر هذا ولا سمعنا أحداً يُفَسِّرُه[٣٢])) .

ثم قال الذهبي :

((**أقول :** قد فسَّر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم وما أبقوا ممكناً ،

مع ((القول الأسد في بيان حال حديث رأيت ربي في صورة شاب أمرد)) للسيد المحدث العلامة عبد العزيز ابن الصديق رحمه الله تعالى .

(٢٩) إسناده ضعيف والحديث موضوع جزماً !! فقد رواه أحمد في ((المسند)) (٤/ ١١) والترمذي (٥/ ٢٨٨/ ٣١٠٩) وابن ماجه (١/ ٦٤/ ١٨٢) والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٧/ ٤٦٨) وفي السند وكيع بن عُدُس ولم يوثقه إلا ابن حبان ولم يروِ عنه إلا يعلى بن عطاء ؛ ثمَّ إنَّ الترمذيَّ نقل في سننه عقبه تأويل الحديث عن يزيد بن هارون فقال :

((قال يزيد بن هارون : العماء أي ليس معه شيء)) . وأوَّلَه الحافظ ابن حبان عند روايته له في صحيحه (١٤/ ٩) ووهَّم حماد بن سلمة فقال هناك : ((وَهِمَ في هذه اللفظة حماد ابن سلمة من حيث في (غمام) إنما هو (في عماء) يريد به : أنَّ الخلق لا يعرفون خالقهم من حيث هم ، **إذ كان ولا زمان ولا مكان** ، ومَنْ لم يعرف له زمان ولا مكان ولا شيء معه لأنه خالقها كان معرفة الخلق إياه كأنه كان في عماء عن علم الخلق ، لا أنَّ الله كان في عماء ، إذ هذا الوصف شبيه بأوصاف المخلوقين)) .

وقد ضعَّف الحديث متناقض عصرنا **!!** في تخريجه لسنة ابن أبي عاصم حديث رقم (٦١٢) وفي ضعيف الترمذي ص (٣٨٢) حديث رقم (٦٠٢) وفي ضعيف ابن ماجه برقم (٣٢) كما قال في ضعيف الترمذي ، وقال في ((مختصر العلو)) ص (١٨٦) تعليق ١٩٣ : [وقال : رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن **! كذا قال وهو مردود لما ذكرنا** فتنبَّه .] **!**

(٣٠) هذه الأحاديث ليست بالصحاح وبعضها ليست بأحاديث أصلاً **!!**

(٣١) عقلاء أهل الحديث والفقهاء أوَّلوها وردوا غير الثابت منها **!** فهذه فرية حنبلية **!**

(٣٢) لقد امتلأت كتب التفاسير السلفية والخلفية وكتب السنن والأحاديث بتأويلات وتفسيرات السلف لهذه الأمور **!**

وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً[٣٣] ، وهي أهم الدين فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً لبادروا إليه[٣٤] ؛ فعلم قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق لا تفسير لها غير ذلك[٣٥] ، فنؤمن بذلك ونسكت اقتداء بالسلف ، **معتقدين أنها صفات لله تعالى**[٣٦] استأثر الله بعلم حقائقها وأنهما لا تشبه صفات المخلوقين)) .

٢- وجاء في ((تاريخ ابن معين)) رواية الدوري (٣/ ٥٢٠) :

[سمعت يحيى يقول : شهدت زكريا بن عدي سأل وكيعاً فقال : يا أبا سفيان هذه الأحاديث[٣٧] يعنى مثل حديث الكرسي موضع القدمين ونحو هذا ؟ فقال وكيع أدركنا إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعر يحدِّثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون بشيء[٣٨]] !!

---

(٣٣) هذا الكلام مردود على الذهبي جملة وتفصيلاً ! والظاهر أنه كان وقت كتابة هذه الأسطر مصاب بنوبة من نوبات ابن تيمية !! وإلا فلو كان بوعيه ساعتئذ لتذكر أن ابن عباس تأول الساق بالشدة ، والنسيان بالترك ، والكرسي بالعلم ! وكذلك من نقل تأويلاتهم الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره ومن نقلنا تأويلاتهم في مقدمة ((دفع شبه التشبيه)) وصحيح شرح العقيدة الطحاوية وغيرهم !

(٣٤) لقد بادروا إليه فيما نقله ابن جرير وغيره ونقلناه عنهم في الكتب المذكورة ! وكتب التفاسير مليئة بذلك ! ومنه يدرك العاقل ما في كلام الذهبي من المغالطة والتنطع !

(٣٥) هذا يقتضي الأخذ بظواهر الألفاظ وهو رأي باطل مردود ظاهر الفساد ! لأن ابن عباس وغيره من السلف والخلف لم يمروها هكذا بل تعرضوا لتأويلها وتفسيرها وبيان معانيها !

(٣٦) قد خالف هذا الذهبي في العلو فقال : [فأبصر حفظك الله من الهوى كيف آلَ الغلو بهذا المحدّث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر] بل الذهبي نفسه يروج الأفكار الباطلة في كتبه ومؤلفاته ثم يتظاهر بالإنكار على هؤلاء الذي يزعم بأنهم مغالون وهو مثلهم لا يختلف عنهم في مآل الأمر وخلاصته !!

(٣٧) لاحظ كيف يعتبرون هذا الأثر من جملة الأحاديث !!

(٣٨) وهذا إن ثبت عن وكيع وعن غير وكيع فهو مردود عليه وعليهم ! وهو مما يثبت لنا أن القوم

يعني يقولون بظاهرها الذي يعبرون عنه بقولهم : قراءتها تفسيرها !

٣- ما ذكره الذهبي في العلو ص (٤٩١) **عند ذكر ابن أبي عاصم [.. ــ ٢٨٧هـ] إذ قال :**

[قال الحافظ الإمام قاضي أصبهان وصاحب التصانيف أبو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا كتاب السنة الكبير الذي فيه الأبواب من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم **فنحن نؤمن بها** لصحتها وعدالة ناقليها ، **ويجب التسليم لها على ظاهرها** وترك تكلّف الكلام في كيفيتها . **فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا ، والاستواء على العرش**] .

٤- وما قاله الذهبي في « العلو » ص (٤٢٥) عند ذكر سفيان بن عُيَيْنَة إذ قال :

[قال أحمد بن إبراهيم الدورقي : حدثني أحمد بن نصر قال : سألتُ سفيان بن عيينة وأنا في منزله بعد العتمة فجعلتُ أُلِحُّ عليه في المسألة فقال : دعني أتنفَّس ، فقلت : كيف حديث عبدالله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أنَّ الله يحمل السماوات على أصبع والأرضين على أصبع »(٣٩) وحديث « إنَّ قلوب العباد

لا عقل لهم وقد فقدوا التمييز والأصول فأصبحوا لا يفرِّقون بين الحديث والأثر الباطل وبين ما هو مقبول في العقيدة وبين ما هو مردود !! ولا قيمة لمثل هذه الكلمات المروية عن السلف والمحدثين بل هي عندنا من الخطأ المردود عليهم ! لا سيما وأقوالهم ليست حججاً شرعية !

(٣٩) هذا هو قول يهودي قاله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ » وهذه الآية فيها إنكار صريح على فكر ذلك اليهودي وقد روى هذا الحديث البخاري (١٣/٤٣٨) ومسلم (٤/٢١٤٨) ، وزاد بعض الرواة عقب ذلك لفظ : « فضحك رسول الله تعجباً وتصديقاً له » وهي في البخاري (١٣/٣٩٣) !! أما قوله (فضحك) أي من سخافة عقل ذلك المجسم اليهودي وتعجب منه !! وأما قوله (وتصديقاً له) فهو كذب بحت وتقوّلٌ بالباطل !! قال الحافظ ابن حجر هناك في شرحه (١٣/٣٩٨) :

« وأما من زاد (وتصديقاً له) فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأنَّ النبي لا يصدّق المحال ، وهذه الأوصاف في حق الله مُحال ... » . انظر « دفع شبه التشبيه » ص (٢٠٥) .

وقد روى البخاري الحديث في مواضع في صحيحه دون لفظة (تصديقاً) ونبه على أنها من زيادات

بين أصبعين من أصابع الرحمــن))[٤٠] وحديـث ((أنَّ اللـه يعجـب أو يضحـك ممـن

الرواة ! وذلك عقب الحديث رقم (٧٤١٤) .

(٤٠) ضعيف . رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٥) وأحمد (٢/ ١٦٨) والترمذي (٤/ ٤٤٩/ ٢١٤١) وابن حبـان (٣/ ١٨٤) وغيرهم ، وهو من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وهو من رواة الإسـرايليات ، تفـرَّد به حميد بن هانيء عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو بن العاص ، وإذا اعتبرنا أن متابعة رشدين بـن سعد لحيوة بن شريح لا عبرة بها وهو كذلك فالحديث مما تفرَّد به عبد اللـه بـن يزيـد المقـري عـن حيوة بن شريح عن حميد بن هانيء عن أبـي عبـد الرحمـن الحبلـي الـذي هـو عبـد اللـه بـن يزيـد المعافري عن ابن عمرو وكل واحد تفرَّد به في الرواية ولـم يـروه غـيره عـن شـيخه ! وهـذا يوجـب ضعف الحديث وأنه غريب فرد في خمس طبقات ! فالإسناد على هذا غير صحيح ولا حسن !

وحميد بن هانيء قال عنه أبو حاتم : صالح ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وهذا ينبيء أنه ليس مـن الثقات الذين يعتمد عليهم !

ورواه ابن ماجه (١٩٩) والحاكم في ((المسـتدرك)) (١/ ٥٢٥) وغيرهمـا مـن حديـث النـواس بـن سمعان وهو أيضاً ممن يروي عن أهل الكتاب ! ولفظ روايته :

((ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغـه)) وكـان رسـول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ((يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك)) قال : ((والمـيزان بيـد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة)) .

فعندي أن هذا الحديث لا يصح لأنه صريح في الجبر ورواته ممن يروي من كتب أهل الكتاب .

وقد ينتصر بعض الناس لصحة هذا الحديث بقوله تعالى ﴿ واعلموا أن الله يحول بيــن المـرء وقلبـه وأنه إليه تحشرون ﴾ الأنفال : ٢٤ ، ومعنى الآية الكريمة عندنا : أن الله تعالى يطَّلع على كل ما يخطـر ببال المرء لا يخفى عليه شيء من ضمائره وما في قلبه ونفسه مما لم يفصح به لأحد فكأنه بينه وبيـن قلبه . وأما إذا قلنا بأن الله تعالى يمنعه من الهدى أو من الإيمان فقد بطل التكليف والتخلية لهما .

وكذلك قد يحتجون لتصحيح الحديث المذكور بقوله تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كمــا لـم يؤمنوا به أول مرَّة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ الأنعام : ١١٠ ، قال القرطبي في تفسـيره (٧/ ٦٥) : [هذه آية مشكلة ! ولا سيما وفيها ﴿ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ ، قيل المعنى : ونقلب أفئدتهم وأنظارهم يوم القيامة على لهب النار وحرِّ الجمر كما لم يؤمنـوا فـي الدنيـا . ﴿ ونذرهـم ﴾ أي فـي الدنيا أي نمهلهم ولا نعاقبهم ، فبعض الآية في الآخرة وبعضها في الدنيا ، ونظيرها ﴿ وجــوه يومئـذ خاشعة ﴾ فهذا في الآخرة ، ﴿ عاملة ناصبة ﴾ في الدنيا] .

يذكره في الأسواق))[41] فقال سفيان : هي كما جاءت نقرُّ بها ونحدِّث بها بلا كيف[42]] .

فهذه النصوص فيها إجبار وحض وتأكيد على وجوب الإيمان بتلك الترهات الباطلة وإقرارها وتصويرها على أنها من الثوابت والأحاديث الصحيحة مع أن بعضها ليس من أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كـ ((الكرسي موضع القدمين)) وبعضها من الآحاد الضعيف سنداً والبعض الآخر من الأحاد التي لا تثبت بمثلها الأصول والعقائد ! بل بعضها لا يقبل في الوضوء والتيمم بل ولا في الترغيب والترهيب !

ومثل كتاب ابن أبي عاصم الذي يقول فيما نقله الذهبي عنه في العلو بأن جميع ما في كتابه يوجب العلم والإيمان به مما يدعو إلى هزء الهازئين ! والاستخفاف بعقل قائله بعدما بَيَّن أهل الحديث وبعض من يتظاهر باتباعهم كالألباني في تعليقه عليه أن كثير مما فيه مما لا يصح إسناده ! فهو مردود لا يفيد الظن فضلاً عن أن يكون مما يفيد العلم !!

خطورة القول بظاهر النصوص في الأسماء والصفات :

وقد نص بعض كبار العلماء على أن الأخذ بالظاهر في نصوص ما يسمونه بالصفات خطأ عظيم وخطر جسيم يؤدِّي إلى التشبيه والتجسيم !

فمن ذلك :

قول السبكي في ((الطبقات)) (٥/ ١٩٢) :

[إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإصرار[43] **على الظاهر** والاعتقاد أنه

---

(٤١) لم أقف عليه !! وقد أخطأ المعلق والمخرج لسير أعلام النبلاء عندما خرج حديثاً آخر في التعليق عليه هناك (٨/ ٤٦٧) .

(٤٢) إسناد هذا القول عن سفيان صحيح وهذا يثبت أنه كان يفوّض ولا يؤول وهو مخالف في ذلك ما كان عليه ابن عباس والصحابة والتابعين الذين ذكر تأويلاتهم ابن جرير الطبري في تفسيره !!

(٤٣) في نسخة (الإمرار) وفي نسخة (الإيراد) !!

المراد] . وقد شهد ابن حزم بأن الظاهر الذي يقول به الأشعري يعتبر من التجسيم والتشبيه !

قال **الأشعري في** ((**المقالات**)) **(١/ ٣٤٥) : [وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تجري بأعيننا ﴾**] .

فعلَّق على هذا ابن حزم فقال **في** ((**الفصل في الملل والنحل**)) **(٢/ ١٢٧)** :

[وقال الأشعري إن المراد بقول الله تعالى أيدينا إنما معناه اليدان وإن ذكر الأعين إنما معناه عينان وهذا باطل مُدْخِلٌ في قول المجسمة] !!

وقد تقدَّم أن الأشعري قال بأن ذلك على ظاهره وعلى حقيقته !!

وقال ابن حجر العسقلاني في ((**فتح الباري**)) **(١٣/ ٤٣٢) عند شرح الحديث رقم (٧٤٤٤) :**

[فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله مُنَزَّهٌ عن الذي يقتضيه ظاهرها **إما أن يُكَذِّب نَقَلَتها وإما أن يُؤَوِّلها] .**

وقال الحافظ أيضاً في ((الفتح)) (١/ ٢٢٥) أن بعض السلف العقلاء كرهوا التحديث بأحاديث الصفات لئلا يعتقد الناس ظاهرها وبالتالي فإن الأخذ بالظاهر شيء مرفوض :

((وممن كرَّه التحديث ببعض دون بعض ..... مالك في أحاديث الصفات .... **وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد** فالإمساك عنه عند مَنْ يُخْشَى عليه الأخذ بظاهره مطلوب)) .

وقال ابن الجوزي في ((دفع شبه التشبيه)) ص (١٠٢) :

[ثم قلتم في الأحاديث : **تُحمل على ظاهرها ! وظاهر القَدَم الجارحة** .... فلو أنكم قلتم : نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر عليكم أحد **إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح**] .

وقال العلامة ابن جماعة الأشعري في ((إيضاح الدليل)) ص (٥٤) :

[**أما ترك هذه النصوص على ظاهرها دون تأويل سواء كان إجمالياً أو تفصيلياً**

فهو غير جائز وهو شيء لم يجنح إليه سلف ولا خلف] .

وقال الشهرستاني في « الملل والنحل » (١/ ٩٢) :

[**فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات** واقتصر بعضهم على صفات دلت الأفعال عليها وما ورد به الخبر فافترقوا فرقتين : فمنهم من أوَّلَه على وجه يحتمل اللفظ ذلك ، ومنهم من توقف في التأويل وقال : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبه شيء منها ، وقطعنا بذلك ، إلا أنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ومثل قوله ﴿ خلقت بيدي ﴾ ومثل قوله ﴿ وجاء ربك ﴾ إلى غير ذلك ، ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها ، بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بأنه لا شريك له وليس كمثله شيء وذلك قد أثبتناه يقيناً ، ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف فقالوا : **لا بد من إجرائها على ظاهرها فوقعوا في التشبيه الصرف وذلك على خلاف ما اعتقده السلف**] .

ولذلك اعتبر الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب الذي ألَّفه ابن خزيمة بأنه كتاب الشرك كما صرح بذلك في « تفسيره » (١٤/ ٢٧/ ١٥١) حيث قال :

[واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه بالتوحيد ! **وهو في الحقيقة كتاب الشرك** ، واعترض عليها ، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات لأنه كان رجلاً مضطرب الكلام ، قليل الفهم ، ناقص العقل ، فقال : « نحن نثبت لله وجهاً ونقول : إن لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سُبُحَات وجهه كل شيء أدركه بصره ... » ....] .

تعالى مولانا جلَّ وعزَّ عن ذلك علواً كبيراً !!

مناقشة ابن تيمية في الأخذ بالظاهر وبيان الحقيقة :

وبعد الوقوف على أقوال العلماء التي نقلناها نعرض كلام ابن تيمية في هذه القضية فنقول :

قال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٦/٤) :

[فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات وعلى هذا مضى السلف كلهم] .

وقال في ((مجموع الفتاوى)) (١٩٦/٣) : [ذكرت في ضمن ذلك كلام الخَطَّابي الذي نقل أنه مذهب السلف وهو : إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها] .

وإتماماً للفائدة نقول : بأن الحافظ البيهقي نقل في كتاب ((الأسماء والصفات)) عن الخَطَّابي وشيوخه القول بالظاهر وهو قول باطل مردود عندنا ! حيث قال البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص (٣٤٥) عند ذكر حديث ((يكشف ربنا عن ساقه)) ما نصه :

[قال أبو سليمان الخطَّابي رحمه الله : هذا الحديث مما تَهَيَّبَ القول فيه شيوخنا ، **فأجروه على ظاهر لفظه** ، ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب] .

فهنا يلتقي الحنابلة المجسمة وابن تيمية مع الأشعري والبيهقي والخطَّابي وشيوخه الأشاعرة في حمل الأمور على ظاهرها وهذا ما يأباه أهل التنزيه والحق !! مع أن هناك فريق كبير من الأشاعرة وغيرهم من أهل السنة لا يقولون بذلك بل يعتبرونه من التشبيه والتجسيم لأنهم مُنَزِّهون وقد قدَّمنا بعض النقول في ذلك قبل قليل !

فانظروا كيف يُجْرِي بعض أتباع الأشعري المتقدمين هذه النصوص على ظاهر ألفاظها ويصرحون بهذه القاعدة بكل وضوح !! فما هو الفرق بين هذا وبين ما يقوله ابن تيمية من إجراء تلك النصوص على ظاهرها !! وأين مَنْ يتغنون بأمجاد الأشاعرة وأهل السنة ؟! والأشعري أثبت اليدين والعينين والوجه والمجيء والنزول وأنه ساكن

السماء !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

فظهر أن طريقة من يسميهم بعض الناس بالمجسمة أمثال ابن تيمية هي نفس طريقة بعض السلف والأشعري والخطَّابي والبيهقي لا فرق ، مهما حاول المتعصبون أن يتمحلوا لإظهار فروق بين الفريقين لأنها فروق خيالية يتوهمونها وهي لا ثمَّ !!

قال الأشعري في « المقالات » (١/ ٣٤٥) : [وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿ تجري بأعيننا ﴾] .

فهل يقول الأشاعرة بإثبات عينين من هذه الآية لله تعالى وهل هذا هو التفويض ؟!

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الباب الذي فيه ذكر قوله تعالى ﴿ تجري بأعيننا ﴾ في كتاب التوحيد (١٣/ ٣٩٠) من صحيح البخاري موضحاً لنا الأمر أكثر :

[وقال البيهقي : منهم من قال العين صفة ذات كما تقدَّم في الوجه ، ومنهم من قال : المراد بالعين الرؤية ... ومال إلى ترجيح الأول لأنه مذهب السلف] .

ولما رأى الإمام الفخر الرازي مثل هذا الكلام الأخرق الذي جمعه ابن خزيمة في كتاب « التوحيد وإثبات صفات الرب » قال عنه في تفسيره (١٤/ ٢٧/ ١٥١) بأنه : (كتاب الشرك) !! مع أن ابن خزيمة من الشافعية ومن كبار المحدثين وفي عصر السلف ومن أهل السنة ومع ذلك فقد صار كتابه بنظر أحد كبار العلماء المنزهين (كتاب الشرك) !!

والأشعري وأمثاله من الحنابلة ومن نحا نحوهم اقتدوا بمن يسمونهم ويصفونهم بالسلف الصالح أمثال ابن سلام الإسرائيلي الذي يقول :

« إذا كان يوم القيامة **ينزل الجبار عن عرشه وقدميه على الكرسي** فَيُقْعِدُ محمداً على الكرسي »[٤٤] !! تعالى الله عن هذا الهراء علواً كبيراً !!

وقول مجاهد في الإقعاد على العرش بجنب الله تعالى معروف وقد أفتى به كما قال الذهبي في كتاب « العلو » جماعة من السلف ! قال الذهبي في « العلو » :

(٤٤) كتاب العلو التعليق رقم ٤٩١ التعليق على النص رقم (١٨٦) .

[فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الأثر يُسَلَّم ولا يعارض ــ يعني أثر مجاهد ـ : أبو داود السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي وخلق ، بحيث أن ابن الإمام أحمد قال عقيب قول مجاهد : أنا منكر على كل مَنْ رَدَّ هذا الحديث وهو عندي رجل سوء مُتَّهَم ، سمعته من جماعة وما رأيت محدثاً ينكره وعندنا إنما ينكره الجهمية .... سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا قد تلقته العلماء بالقبول] !!

وقد استنكر الشيخ الألباني المتناقض هذا المنقول عن (السلف الصالح !!) وقال في سلسلته الضعيفة (٢/ ٢٥٥/ ٨٦٥) :

[**ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائراً** أن يفتي بعض العلماء من المتقدّمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي ص (١٠٠ – ١٠١ و ١١٧-١١٨) عن غير واحد منهم ، بل غلا بعض المحدثين فقال : لو أنَّ حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يُقْعِدُ محمداً على العرش واستفتاني لقلت : صدقتَ وبررت] .

وقد كتب أحدهم مقالاً في الانترنت استفدت منه كثيراً في هذا الموضع ومن ذلك أن أحد الكاتبين حاول أن يسوغ لبعض العلماء الذين سلكوا مذهب التفويض والأخذ بالظاهر المفضي إلى عقيدة التشبيه والتجسيم ! وإنني أنقله ههنا للفائدة وهذا هو :

قال أحد الكاتبين (المخطئين المتعصبين) وهو يدافع عن القول بالظاهر تسويغاً للأشعري وبعض الأشاعرة المتقدمين :

[ثم أقول للأشاعرة قولان مشهوران في إثبات الصفات هل تمر على ظاهرها مع اعتقاد التنزيه أو تؤول ، والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزو إلى السلف <u>وهو اختيار الإمام في الرسالة النظامية وفي مواضع من كلامه</u> فرجوعه معناه الرجوع عن التأويل إلى التفويض ولا إنكار في هذا ولا في مقابله فإنها مسألة اجتهادية أعني مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد التنزيه إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد وأنه لا يستحيل على الباري فلذلك قول المجسمة عباد الوثن الذين في قلوبهم زيغ يحملهم الزيغ على اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى ما أجرأهم على الكذب وأقل فهمهم للحقائق] !

فأجابه مخالفه (الكاتب المصيب) فقال مجيباً على هذه الفقرة :

[أقول : ما نقلتَهُ هنا هو قول الإمام السبكي وهو يدينك كما أنه حجة عليك يبطل ما تدعيه وتقوله ! وسأزيدك أشياء أخرى من قول آخرين أما صِنْفُك أنت فالعصبية قد أعمته بحيث صار العناد يمشي في دمه ولحمه ! وإنما نخاطبك ليعتبر غيرك بفساد هذا الهذيان الذي تأتينا به .

لاحظ أن ابن السبكي ـــ مع أن قوله ليس بحجة ولا دليل ! ـــ قال قولان مشهوران في إثبات الصفات (هل تمر على ظاهرها مع اعتقاد التنزيه أو تؤول) ولم يأت بعد بالقولين إلى هذا الحد بالكلام ! بل شرع يُفَصِّل في هذا فبين أن هذا يحتوي ثلاثة أقوال على التحقيق ، قولان منهما مقبولان عند ساداتنا الأشعرية وهو منهم ، والثالث مردود ومرفوض ، بل هو من عقيدة الوثنيين وإليك تفصيل كلامه : لقد شرع السبكي في ذكر القولين المقبولين في « الطبقات » (١٩١/٥) فقال :

١- (والقول بالإمرار مع اعتقاد التنزيه هو المعزو إلى السلف وهو اختيار الإمام في الرسالة النظامية وفي مواضع من كلامه فرجوعه معناه الرجوع عن التأويل إلى التفويض) فهذا القول هو الإمرار مع اعتقاد التنزيه ! ولاحظ أنه لم يذكر فيه القول بظواهر النصوص في هذا القول بل ذكر الإمرار مع التنزيه ، وأخَّر القول بالإمرار مع القول بالظاهر فجعله قولاً ثالثاً ـ كما سيأتي ـ وهو مردود لأنه قول عُبَّاد الأوثان ! وبالتالي أصبح دفاعك ..... عن قول الإمرار والأخذ بالظاهر باطل فاسد ! وغير صحيح بل هو دفاع المتعصب الغالط المتعامي عن الحقائق !!

٢- والقول الثاني الذي ذكره السبكي هو : (ولا إنكار في هذا ولا في مقابله فإنها مسألة اجتهادية أعني مسألة التأويل أو التفويض مع اعتقاد التنزيه) ! وهذا هو القول بالتأويل وهو الحق الذي لا مرية فيه !

٣- وأما القول الثالث الذي يدافع عنه الكاتب المتعصب المخطىء فهو قول ابن السبكي (إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهياء الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد وأنه لا يستحيل على الباري فذلك قول المجسمة عباد الوثن الذين في قلوبهم

زيغ يحملهم الزيغ على اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة عليهم لعائن الله تترى واحدة بعد أخرى ما أجراهم على الكذب وأقل فهمهم للحقائق) !

والكاتب صار ملعوناً على لسان سيدنا السبكي رضوان الله عليه !!

فالأخذ بالظاهر مذهب مردود باطل عاطل يجب على الأخ أن يتخلى عن الدفاع عنه وعن كل قول قاله الأشعري وغير الأشعري مما يجرُّ .. ويقود للتشبيه والتجسيم ! لا سيما وقد نقلنا سابقاً أن ابن تيمية يقول أيضاً بالإمرار على الظاهر من غير تكييف ولا تلييف !

أبشرك بأن سيدنا إمام الحرمين ـ الغالط في الرسالة النظامية بترك التأويل مع أنها كلها تأويل إلا تلك الجملة ـ ما كان على مذهب الأشعري وإن شاعت الشائعات وانطلت المغالطات الفظيعات بأنه أشعري ! والبرهان على ذلك أن سيدنا ابن السبكي قال في « طبقات الشافعية الكبرى » (١٩٢/٥) هناك ـ ولعلك قرأت ذلك وتعاميت عنه أو لم تقرأه ـ ما نصه :

« **والإمام ـ أي إمام الحرمين ـ لا يتقيد لا بالأشعري** ولا بالشافعي لا سيما في البرهان وإنما يتكلم على حسب تأدية نظره واجتهاده **وربما خالف الأشعري** ، وأتى بعبارة عالية على عادة فصاحته ، فلا تحمل المغاربة أن يقال مثلها في حق الأشعري » .

فتمتع بذلك أخي الكريم ! وأزيدكم من أقوال سادتنا الأشاعرة (رضي الله عنهم !) نصوصاً ليعرف كاتبنا الموقر أني أفهم مذهب سادتنا ومطلع عليه ....] .

فأجاب الكاتب الأول (المتعصب !) قائلاً :

[تنبيه : إن وجدت في كلام أئمة السنة الموثوق بهم (تجرى على ظاهرها) فالمراد أن لا تفسر كما فعل المجسمة ولا تؤول كما فعل الخلف ، وليس المراد الظاهر والحقيقة المقابلة للمجاز] .

فأجابه الكاتب الآخر (المصيب) فقال :

لقد ذكرتم أو ذكر صديقكم المتعصب المدافع عن (القول بالظاهر عندما يصدر

من الأشعري أو بعض الأشاعرة) في كتاب « الفرق العظيم » ص (٢٦) :

[أرأيت أيها الحاذق ، هذا هو مفهوم الظاهر عند أهل السنة : إنه ما يفهم عند الإطلاق على الأجسام ... فالمعنى الذي يظهر للأذهان عند سماع الألفاظ إنما هو المتعلق بالأجسام] . انتهى الكلام المنقول من الانترنت .

وهذا مما يُعَدُّ من التناقض البالغ إلى الذروة من هذا الكاتب ! نسأل الله السداد والتوفيق !

سر هجوم الأشعري على المعتزلة

وتعصب بعض الأشاعرة لذلك والتأثيرات السياسية المؤثرة والموجهة لذلك

الجو المذهبي والسياسي في القرن الثالث والرابع الهجري :

إذا عرفنا الأجواء التي كان يعيشها علماء أهل السنة وأهل الحديث خاصة من الناحية الفكرية والاجتماعية والسياسية واتجاهات الحاكم التي كانت في الدولة العباسية في ذلك القرن عرفنا وأدركنا سر وسبب هذا الهجوم الصارخ الذي يشنه الأشعري بالباطل على المعتزلة ! فأهل الحديث كانوا يتناقلون قول مجاهد في تفسير المقام المحمود بالقعود وتقدَّم أن الذهبي قال في كتاب « العلو » حاكياً عن حالهم في ذلك :

[**فممن أفتى في ذلك العصر بأن هذا الأثر يُسَلَّم ولا يعارض** ـ يعني أثر مجاهد ـ : أبو داود السجستاني صاحب السنن وإبراهيم الحربي وخلق ، بحيث أن ابن الإمام أحمد قال عقيب قول مجاهد : أنا منكر على كل من رد هذا الحديث وهو عندي رجل سوء متهم ، سمعته من جماعة وما رأيت محدثاً ينكره وعندنا إنما ينكره الجهمية .... **سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا قد تلقته العلماء بالقبول**] !!

أما الأجواء السياسية فإليكم ما يحكيه الذهبي في « السير » (١٢/ ٣٤) في ترجمة المتوكل العباسي إذ يقول :

[وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكل السُّنَّة وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار **واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل صلاتهم ورووا أحاديث الرؤية والصفات**] .

ويقول الحافظ السيوطي في ((تاريخ الخلفاء)) (١/٣٤٦) :

[**فأظهر** الميل إلى السُّنَّة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك في سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم **وأمرهم** بأن يحدثوا **بأحاديث الصفات والرؤية** وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه أيضا نحو من ثلاثين ألف نفس وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له] .

وقال الذهبي أيضاً في ((سير أعلام النبلاء)) (١٢/ ٣٥) :

[وفي سنة ستٍ وثلاثين هدم المتوكل قبر الحسين رضي الله عنه ، فقال البساميُّ أبياتاً منها :

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتله فتتبعوه رميماً

وكان المتوكل فيه نصب وانحراف ، فهدم هذا المكان وما حوله من الدور ، وأمر أن يُزْرَعَ ومنع الناس من انتيابه] انتهى كلام الحافظ الذهبي .

فكان فعل المتوكل المجسم الناصبي هذا منعطفاً خطيراً في فكر أهل السنة وتحريضاً لهدم التنزيه وحب آل البيت عليهم سلام الله تعالى ومعاداة معتقدي التنزيه من أهل الحق سواء من أهل السنة أو من المعتزلة أو من غيرهم[٤٥] !

---

(٤٥) وقد حصل ذلك أيضاً مرة أخرى على يد القادر بالله العباسي سنة ٤٠٨هـ كما يجد ذلك من ينظر في التواريخ والسير والتراجم ، ويكفي الآن أن أقول لإثبات هذا بأن الحافظ ابن الجوزي قال في ((المنتظم)) (١٥/ ١٢٥) في حوادث سنة (٤٠٨هـ) : [عن هبة الله بن الحسن الطبري قال : وفي سنة ثمانٍ وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين **فقهاء المعتزلة الحنفية فأظهروا الرجوع وتبرأوا من الاعتزال** ...] .

وبقي هذا الذي فعله المتوكل هو تيار الحنابلة ومن يتسمون بأهل الحديث ـ مع أن في أهل الحديث مَنْ يخالفهم في هذه الأفكار المرفوضة ـ إلى زمن الأشعري ، ولا أدل على ذلك من محاربة الحنابلة لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ وذلك في عصر الأشعري وكان من أئمة الحنابلة أبو بكر بن أبي داود[٤٦] المتوفى سنة (٣١٦هـ) !

في هذا العصر الحنبلي وُلِدَ الأشعري وعاش ومات وأظهر الحنبلية ودافع عن عقائدها وانساق للطعن في المعتزلة وأهل التنزيه .

الأشعري مائل مع الحنابلة وتلك السياسة العباسية الوارثة للفكر الأموي :

وقد ذكر الشيخ العلامة الكوثري رحمه الله تعالى في مقدمة ((تبيين كذب المفتري)) أن أولى الناس بالأشعري الحنابلة حيث قال هناك ص (١٦) :

((وفقهاء المذاهب يتجاذبون الأشعري إلى مذاهبهم ويترجمونه في طبقاتهم **والحنابلة أحق بذلك ؛ حيث يُصَرِّح الأشعري في مناظراته معهم أنه على مذهب أحمد** ..)) .

وهذا تصريح لطيف من العلامة الكوثري رحمه الله تعالى يخبرنا بجلية الأمر .

وقال السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) (٤/ ٢٣٦) عن الأشعري :

[وعقيدته وعقيدة الإمام أحمد رحمه الله واحدة ؛ لا شك في ذلك ولا

وقال ابن كثير في تاريخه ((البداية والنهاية)) (١٢/ ٦) : [وفي سنة ثمانٍ وأربعمائة استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام] لاحظ التعبير [وأُخذت خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامتثل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين في ذلك واستنَّ بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها **في قتل المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة**] والقرامطة والمشبهة زيادة لا علاقة لها بالموضوع [**وصلبهم وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على المنابر** وأبعد جميع طوائف أهل البدع ونفاهم عن ديارهم ، وصار ذلك سنة في الإسلام] . انتهى من تاريخ ابن كثير . وقال ابن الأثير في ((الكامل)) (٩/ ٣٠٥) قريباً من ذلك مختصراً .

(٤٦) وترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢١-٢٣٧) وفيها ما جرى بينه وبين الحافظ ابن جرير .

ارتياب ، **وبه صرَّح الأشعري في تصانيفه وكرر غير ما مرة** ؛ « أن عقيدتي هي عقيدة الإمام المبجل أحمد بن حنبل » ، هذه عبارة الشيخ أبي الحسن في غير موضع من كلامه][٤٧] ..

<u>هجوم الأشعري على المعتزلة وكون الأشعري ليس أول من وضع علم الكلام ولا أول المتكلمين والمصنفين والباحثين عن دقائق هذا العلم :</u>

وقال الشيخ الكوثري في مقدمة تبيين كذب المفتري ص (١٨) :

« والمعتزلة على ضد الحشوية بخط مستقيم ..... » .

وهنا يقف الإنسان متفكراً ما هي الجريمة الكبرى التي اقترفها المعتزلة وأهل التنزيه حتى يقف الأشعري منهم هذا الموقف ويرميهم بالعظائم وما هم بُرءاء منه ؟! وكيف يعقهم هذا العقوق بعدما درس عندهم كما يقولون أربعين سنة أو فترة زمنية طويلة وهم الذين فتحوا مغاليق علم الكلام والعقائد ؟! (ومن عق شيخه لا يفلح أبداً) !!

ولم يكن الأشعري هو من أسس هذا الفن ولا هو الذي قَعَّد قواعده وفتح مغاليقه وأطال الكلام فيه بشهادة الواقع والتاريخ والعقلاء !! فهذا السبكي يقول في « الطبقات » (٣/ ٣٦٧) :

« قال المَأْيُرْقِيّ : ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة إنما جرى

<u>(٤٧)</u> إلا أن السبكي بيَّن أنه بعد ذلك تبنى المالكية رأي الأشعري أو آراء الأشعرية الذين جاءوا بعد الأشعري فقال في الطبقات (٣/ ٣٦٧) : « فإن المالكية أخص الناس بالأشعري ، إذ لا نحفظ مالكياً غير أشعري ، ونحفظ من غيرهم طوائف جنحوا إما إلى اعتزال أو إلى تشبيه ، وإن كان من جنح إلى هذين من رعاع الفرق » .

ولذلك عادى المالكية الإمام الغزالي لأنه كان يخالف الأشعري وقد نقلنا شيئاً من ذلك من كتاب الإمام الغزالي « فيصل التفرقة .. » !! على أن قول الإمام السبكي (لا نحفظ مالكياً إلا أشعري) قول لا نُسلِّم به ولا هو بالصحيح عندنا فإن الطلمنكي وابن زمنين وأبا زيد القيرواني الذي يقول بأن الله استوى بذاته على العرش وغيرهم ينقض ذلك !!

على سَنَنِ غيره » .

واعترف الذهبي بأن الذي اشتغل بعلم الكلام وتتبع مسائله وسهله هو أبو علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة قبل الأشعري حيث قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ١٨٣) :

« وكان أبو علي على بدعته متوسعاً في العلم سيال الذهن ، وهو الذي ذلل الكلام وسهله ويسَّر ما صعب منه » .

ومنه يتبين لنا أن بعض الجهات والسياسات الغابرة أعطت الأشعري منزلة فوق حجمه بكثير بكرات ومرات !! مع أن الأشاعرة المتأخرين لا يسايرونه على عقيدته في الصفات وما يتعلق بها التي أودعها في « الإبانة » و « مقالات الإسلاميين » لا سيما وهما من أتفه الكتب في هذه البابة وفي نقل مذاهب الفرق اعتماداً على ابن الراوندي الملحد وأمثاله ! حيث لا ندري ما هو سر اعتماد الأشعري على ابن الراوندي الذي رماه أهل السنة والمعتزلة جميعاً بالإلحاد في الدين ؟!

وقد كان الأشعري يتزلف للحنابلة بشكل غريب وعجيب وكتب الحنابلة وعلى رأسها كتاب السنة لابن أحمد وما ينقلونه عن أحمد ابن حنبل نفسه طافحة بالتجسيم والتشبيه واعتماد الروايات التالفة الهزيلة الغير لائقة في حق مولانا جل وعز المنزه والمتعالي عن الخلق أجمعين الذي ليس كمثله شيء ولم يكن له كفواً أحد !!

ومما يدل على تزلفه للحنابلة ما يصرح به في كتبه أنه على مذهب أحمد وما ينقله العلماء المترجمون والمؤرخون من وقائع في ذلك مثل قول الذهبي في « السير » (١٥/ ٩٠) :

« فقيل : إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول : **<u>رددت على الجبائي</u>**[٤٨] ، رددت على المجوس ، وعلى النصارى . فقال أبو محمد : لا أدري ما تقول ، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد ، **<u>فخرج وصنَّف الإبانة</u>**

<u>(٤٨)</u> أي على المعتزلة ! والجبائي شيخه كما يقولون لأربعين سنة ! فمن العار والشنار أن يقابل إحسانه إليه بهذا العقوق !!

فلم يُقْبَل منه)) .

فتأمل كيف لم يقبلوا منه ذلك وهو يتزلف ويتقرَّب لهم بطرق مختلفة ! وهم يذمونه ويشتمونه وينتقصونه !! وكم رأينا في عصرنا هذا من يتزلف للمجسمة المتمسلفين ويتظاهر أنه معهم وهو يظهر خلاف ما يبطن ولم ينفعه ذلك لا عندنا ولا عندهم !!

نسأل الله تعالى العافية ! وأن يجعلنا من المخلصين البعيدين عن النفاق والتزلف والمصرحين بالعقيدة الحقة من غير خوف ولا وجل !!

ثم إن تبني مسألة تكفير المعتزلة وتضليلهم عند الأشعري ومن يتعصب له كالشيخ عبد القاهر البغدادي تقليداً في ذلك للحنابلة وإمامهم مسألة خطيرة جداً ! وهو تكفير بغير حق ! بل ظلم وافتراء ! أدَّى أن ينظر هؤلاء بنظرة حقد سوداوية مظلمة إلى باقي المسلمين وفِرَقِ هذه الأمة الذين يقرون ويشهدون بأسس الإسلام وأركانه !!

فالأشعري يقول في ((الإبانة)) عن المعتزلة : ((ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول **إخوانهم من المشركين** ...)) ، وقال : ((فإن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم ...)) .

وقال عبد القاهر البغدادي متابعة منه للأشعري في ((أصول الدين)) ص ٣٣٥ : [اعلم أن تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب من وجوه .....] واعتمد البغدادي على نقولات عن ابن الراوندي الملحد !!

ادعاء عبد القاهر أن الشافعي كفر المعتزلة ولم يجز الصلاة خلفهم وتفنيد هذه الفرية :

وقال الشيخ عبد القاهر في ((الفرق بين الفرق)) ص (٣٥٨) :

[**وقد أشار** الشافعي إلى بطلان صلاة من صلى خلف مَنْ يقول بخلق القرآن ونفي الرؤية ..... **وأشار** في كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وسائر أهل الأهواء .....] !!

أقول : هذه الإشارات هي مجرَّد أوهام وخيالات قائمة في ذهن عبد القاهر

البغدادي ولذلك لم ينقل الشيخ عبد القاهر للإمام الشافعي أقوالاً في هذه الأمور وإنما ذكر أن هناك إشارات !!

ومما يبطل ويدحض بل ينسف ادِّعاءات عبد القاهر البغدادي أن شيخ الإمام الشافعي هو الإمام إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الذي طعن فيه أصحاب الحديث ورموه بالكذب وأثنى عليه الإمام الشافعي وشهد بأنه ثقة مع أنه كان معتزلياً قدرياً شيعياً !!

ففي ترجمة العلامة ابن أبي يحيى المعتزلي في « تهذيب التهذيب » (١/١٣٧) :

[قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : **كان قدرياً معتزلياً جهمياً كل بلاء فيه** ، ... وقال بشر بن المفضل : سألت فقهاء أهل المدينة عنه فكلهم يقولون كذاب ، ... وسمعت يحيى يقول : كان فيه ثلاث خصال : كان كذاباً وكان قدرياً وكان رافضياً ..... **وقال العجلي : كان قدرياً معتزلياً رافضياً** وكان من أحفظ الناس وكان قد سمع علماً كثيراً ......

وقال البزار : .... وهو من أستاذي الشافعي وعز علينا .....

وقال إسحاق بن راهويه : **ما رأيت أحداً يحتج بإبراهيم بن أبي يحيى مثل الشافعي ....**

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول : كان إبراهيم بن أبي يحيى قدرياً .... **وكان ثقة في الحديث** .....] .

وفي « تهذيب » المزي (٢/١٨٨) أن الشافعي كان يقول في إبراهيم : « **أخبرني مَنْ لا أَتَّهِم** » .

فمن يتخذه الإمام الشافعي شيخاً وإماماً له ويضعه في مكانة التنزيه عن الاتهام ويصرِّح بتوثيقه ويتخذه حجة في رواية الأحكام في أحاديث الرسول الكريم بينه وبين الله عز وجل يستحيل أن يقول ببطلان صلاته أو أن الصلاة خلفه لا تصح كما يهذي بذلك الهاذون !! ويتبين أن تلك الإشارات التي فهمها عبد القاهر وأضرابه ما هي إلا خيالات وأوهام من بابة أضغاث الأحلام التي لا عبرة بها ولا التفات إليها !!

لا سيما وقد تواردت أقوال أئمة الشافعية المزهقة لادعاءات الشيخ عبد القاهر وبعض من يقول بقوله ! قال النووي في ((المجموع شرح المهذب)) (٤/ ٢٥٤) :

[وقال القفَّال وكثيرون من الأصحاب يجوز الاقتداء بمن يقول بخلق القرآن وغيره من أهل البدع ، قال صاحب العدة : هذا هو المذهب ، قلت : وهذا هو الصواب ، فقد قال الشافعي رحمه الله : أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية لأنهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم ، **ولم يزل السلف والخلف يرون الصلاة وراء المعتزلة ونحوهم ومناكحتهم وموارثتهم وإجراء سائر الأحكام عليهم**] .

وفي ((الفتاوى الفقهية الكبرى)) لابن حجر المكي (٤/ ٣٥٥) :

[وسئل : رحمه الله تعالى هل تقبل شهادة المعتزلة إذا تبيَّن منهم سب الصحابة أم لا ؟

فأجاب : نفعنا الله سبحانه وتعالى بعلومه بقوله : **تقبل شهادة المعتزلة والرافضة وغيرهما** من سائر المبتدعة ما لم نكفرهم ببدعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم] .

وهذا كافٍ في نسف الهجوم بالتكفير والتضليل على المعتزلة الذي يقوم به الأشعري وبعض المتعصبين له !!

ولذا فإن من الخطير جداً أن نذم المخالفين وعلى رأسهم المعتزلة اعتماداً على ترهات الشيخ عبد القاهر ومن يقول بقوله ويبهتهم بما هم بُرَءاء منه !!

الطعن في غير مطعن تعصباً ونبزاً ، تعصب بعض الأشاعرة لما يسمى بالمذهب الأشعري ورمي مخالف جمهورهم بالاعتزال والتشيع والقدرية ، والمثال على ذلك طعن مصطفى صبري المخطىء بالعلامة الكوثري مع أن الذي يقوله ويذهب إليه العلامة الكوثري هو الحق :

وقد توارث كثير من الناس الطعن بالمعتزلة والإباضية وأتباع مدرسة آل البيت وهم السادة الزيدية والسادة الإمامية وزرعوا في أذهان العامة بغضهم وكراهيتهم دون أن يعرفوا أقوالهم ويتحققوا منها أو يطَّلعوا على أدلتهم !!

وقد طعن الأشعري بالجهمية متابعة منه للحنابلة مع أن مذهب جهم لا يدرى ما هو باعتراف الإمام السبكي ! فقد قال السبكي في « طبقات الشافعية » (١/ ٩١) عن الجهم بن صفوان (بأننا نجزم أنه مبتدع **ولا نعرف عن مذهبه شيئاً**) فكيف صار مبتدعاً وهم لا يعرفون عن مذهبه شيئاً ؟! وما حكموا عليه بالابتداع إلا تأثراً بكلام الحنابلة المشبهة ! وهذا نص السبكي من كتابه المذكور :

[**وأما جهم فلا ندري ما مذهبه** ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع ومع ذلك لا أعتقد أنه ينتهي إلى القول بأن من عاند الله وأنبياءه ورسله وأظهر الكفر وتعبد به يكون مؤمناً لكونه عرف بقلبه **فلعل الناقل عنه حَمَّل اللفظ ما لا يطيقه أو جازف كما جازف في النقل عن غيره** وما لنا ولجهم وهو عندنا من شر المبتدعة من قال بهذه المقالة فهو كافر لا حياه الله ولا بياه كائناً من كان] !! ومما يشابه هذا أنني وجدت مصطفى صبري (شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقاً)[٤٩] ، يرمي العلامة المحدث محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى بالاعتزال والقَدَر !

فقد رمى الشيخ مصطفى صبري العلامة الكوثري رحمه الله تعالى بالقدرية والاعتزال لأن كل متحرر منصف يترك التعصب ويتبع الدليل والبحث العلمي يرمونه بذلك !! قال الشيخ مصطفى صبري في كتابه « موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين » (٣/ ٣٩٢) :

[كنت حين كنت في تركيا ماتريدياً في مسألة أفعال العباد كسائر علماء بلادنا ؛ وكنت أعرف **فضيلة صديقي الشيخ زاهد** أيضاً ماتريدياً مثلهم ، ثم تقرر في نظري رجحان مذهب الأشاعرة في هذه المسألة ؛ غير ناحية الترجيح بلا مرجح ؛ على عكس التيار العصري المتوجه نحو ترجيح المذاهب المضادة لمذهب الأشاعرة ، حتى شرعت في تأليف « تحت سلطان القدر » وأنا في تركيا الغربية اليونانية ، ثم انتقلت إلى مصر وانتهيت فيها من تأليفه ، وكنت كلما اجتمعت مع فضيلة الصديق ودار

---

(٤٩) وهو من الجبرية كما اعترف هو نفسه بذلك ! وإنني لا أرى لكتاباته أي فائدة ولا أي لون ولا طعم !

الكلام حول المسألة التي ارتأيتُ فيها الرأي الأخير وجدته يخالفني وكان لا يرغب في إطالة المباحثة ، حتى قال لي مرة : لا تُتْعِب نفسك لترجعني عن رأيي فهو محال . وقد ظننت في إبَّان الأمر أنه يدافع عن المذهب الماتريدي ، ثم رأيته معجباً بمذهب إمام الحرمين الذي انتقدته في « تحت سلطان القدر » عائباً عليه اضطرابه وكونَه يخالف المعتزلة في الظاهر ويوافقهم في المعنى ، ولم يبق فضيلته مُصِرًّاً على مذهب إمام الحرمين ، فكنت أقول لعله أثر فيه ما كتبته في نقده .

والآن أجده قدرياً صريحاً ، وقد سمعته يقول : إن مذهب المعتزلة القدرية الذي انقرض رجاله ، ما زال يعيش في هذه المسألة تحت اسم الماتريدية ، وفي بعض البلاد باسم الشيعة الإمامية ، فكنت أفهم منه أنه يُفَضِّلُ ما في الاعتزال من التفويض الخالص على اضطراب الماتريديين وأشباههم من الباحثين عن أمر بين أمرين ، فهو معتزلي أي قدري قائل باستقلال العباد في أفعالهم الاختيارية في حين أنـي أشعري قائل بالجبر المتوسط أي الجبر في أفعالهم بواسطة الجبر في إراداتهم .....

ومع هذا لم يكن الأمر سراً بيننا غير جائز الإفشاء ولا ذكرُ اسمه عند نقد رأيه منافياً لاحترامي له وإعجابي بسعة علمه وقوة جهاده ضد المبتدعة الذين يتزعمهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .....] انتهى كلام الشيخ مصطفى صبري .

الكلام على نُسخِ الإبانة

والنسخة التي حققتها الدكتورة فوقية على أربع نسخ خطية

النسخ الموجودة المتداولة بين أيدي الناس اليوم ليس فيها كما وجدت ذاك التلاعب الكبير ! وما يحاول أن يتشبَّث به البعض بكلام العلامة المحدث الكوثري بأن النسخة المطبوعة في زمنه في الهند (تلاعبت بها الأيدي الأثيمة) تشبث غير نافع ولا مُجْدٍ ! لأن القطعة التي نقلها الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » المطابقة تقريباً لما في النسخ المطبوعة ، وما في كتابه « مقالات الإسلاميين » موافق لذلك أيضاً ! زد على ذلك أن الأشعري كان يتزلف للحنابلة كما هو محكي عنه ! بالإضافة إلى أن أمثال الغزالي وإمام الحرمين والرازي خالفوه ولم يوافقوه !!

ونحن إذا بينا ذلك وطعنَّا في فكره وآراءه وما يقوله من الترهات الموافقة للمجسمة والمشبهة إنما لحرصنا على العقيدة الإسلامية الحقة المبنية على التنزيه ونبذ القول بالتشبيه والتجسيم والجبر وما إلى ذلك ! فغيرتنا هي للعقيدة الإسلامية لا للأشعري والباقلاني ! فإذا فهمنا ذلك تخلصنا من الحيرة والتردد الذي يعاني منه كثير من الأشاعرة وأهل السنة قاطبة ! لا سيما والقوم يعانون من عدم القدرة على إيجاد جواب مريح ومقنع عن الإشكالية الفكرية العقائدية التي أحدثها الأشعري من خلال كتاب « الإبانة » و « مقالات الإسلاميين » و « رسالة أهل الثغر » ونحو هذه المؤلفات !

ففكر الأشعري في هذه الكتب فكر هزيل ضعيف عقلاً ونقلاً وقد لاحظنا أن الأشعري يأتي بكلام كثير غير منطقي ولا معنى له بل ركيك ومتضارب ، وأن الحامل له على ذلك مجرد حب تغليط المعتزلة وأشخاص كانوا يعيشون في عصره ليبين أنهم مخطئون ولو بباطل القول ! فهو يريد أن يخالف المعتزلة ويعاندهم ويكايدهم ولو فيما كانوا فيه محقين ومصيبين ولو بالباطل من القول !

وأما نسخة الدكتورة فوقية فقد اغتررنا بما فيها برهة من الزمن إذ ظننا أن كل

كلمة فيها هي للأشعري حتى تبين لنا أن النسخ الخطية الأربعة التي حققت « الإبانة » ونسختها منها نسخ خُطَّتْ وكُتِبَتْ بعد الألف من الهجرة ، فهي بعيدة العهد جداً بزمن المؤلف ، والدكتورة المذكورة لديها ميول إلى المشبهة والمجسمة الحنابلة وغيرهم وهي تتهم بعض ناسخي « الإبانة » لأجل أنه كتب تعليقات تخالف ما في « الإبانة » في مثل قضية الاستواء بالجهل والميل إلى الاعتزال ! فهي تقول هنالك ص (١٨٨) عند الكلام على النسخة الأولى الخطية :

[غير أنه يجب أن يلاحظ أن ما بها من زيادات في حاجة إلى المراجعة الدقيقة ، لاستبعاد ما علق به من عبارات مدسوسة ، فقد ظهر رغم أن هذه الزيادات تؤكد بصفة عامة اتجاه السلف ، تصريحاً يخالف هذا الاتجاه مثال ذلك ما ورد بصفحة ٨١ لتفسير الاستواء من أنه بالقهر والقدرة ، فهذا تصريح لا بد وأنه بيد أحد قراء المخطوط الميالين إلى الاعتزال والذين هم في نفس الوقت على جهل بحقيقة الأمور ، ويؤكد هذا تعليقة بصفحة ٨٢ نصها : (قف على هذا الباب فإن المؤلف تسامح في إيراده هذه العبارات فإنها تدل على الجهات صريحاً وعلى الجسمية ضمناً فتأمله) يدل الكلام هنا على أن صاحبه يتجه للتنزيه المطلق الذي يقول به المعتزلة والذي ترتب عليه نفي الصفات على نحو ما بينا قبل ذلك ....] .

وهذا الكلام من الدكتورة فوقية ينبئنا أنها لم تفهم عقيدة التنزيه ولم تستوعبها أو أن ضغط المشرفين على الدكتورة من أصحاب الاتجاه السلفي ألجأها للقول بذلك ! وكم يضطر أصحاب الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراة) أن ينحرفوا عن الحقيقة للانصياع وراء مشرف أو مناقشين منحرفين في الفكر والاعتقاد يفرضون أفكارهم على الطلبة ويقبرون الإبداع العلمي بجهلهم المدقع وضحالة فكرهم المنحصر أو المنحرف وعدم اطلاعهم وإفلاسهم ! وهم سبب التقهقر العلمي الحاصل في البلاد وبين العباد ! بالإضافة إلى كون التقوى والورع والخوف من الله تعالى يسمع بها أكثرهم عند سرد القصص والمواعظ ولم يلتقوا بها قط في حياتهم !!

وعلى كل حال فالدكتورة فوقية مشكورة على إخراج هذه النسخة المقابلة على

نسخ خطية لأنها تتيح للباحث من الاطلاع على هذه النسخ الأربع دون عناء فتجعلها كأنها بين يديه ، رغم أننا نرى أن عقيدتها لا تسير في الاتجاه الصحيح الذي نراه حقاً !

فتلخص أن نسخة الدكتورة فوقية حسين لنا عليها الملاحظات التالية :

١- أن النسخ الخطية الأربعة التي حققت الكتاب عليها نسخ كتبت بعد الألف من الهجرة وهذا يجعل تلك المخطوطات لا قيمة لها تُذكَر لطول العهد والزمن بينها وبين زمن حياة المؤلف ، فمن تمسك بما فيها فقد تمسك بغير متمسك .

٢- أنه قد دخل فيها جمل وعبارات من بعض النُّساخ المنزهة الذين عَقَّبوا بها على بعض جُمَلِ وعبارات الأشعري المستشنعة ، ومن ذلك الزيادة في موضوع الاستواء التي فيها (استواء منزهاً عن المماسة ....) .

٣- أن من فوائد تلك النسخة أنها جمعت أربع نسخ خطية كأنها بين يدي القارىء وإن كانت بعيدة العهد عن المؤلف .

٤- أن الدكتورة المذكورة تميل إلى مذهب المجسمة والمشبهة وتعيب على أهل التنزيه فهي لم تدرك ولم تستوعب كارثة التجسيم والعقيدة الحقة .

مسألة القضاء والقدر وتفسيرها بعقيدة الجبر والإكراه في الأفعال :

لقد أظهر الأشعري في كتاب « الإبانة » عقيدة الجبر في أعرض صورها وهو يتحدَّث عن القضاء والقدر ويفسر نصوص الكتاب والسنة تفسيراً مخطئاً بعيداً عن جادة الصواب ويتمحل في ذلك الأعذار ، كما يفسِّر من جهة أخرى النصوص الشرعية خطأ ليثبت أن القرآن غير مخلوق معارضاً بذلك أدلة العقل والنقل ، وقد رددنا عليه في تعليقنا على تلك النصوص هنالك ، ومما يهمنا ههنا هو بيان مصدر القول بالجبر وأن العباد مسيرون ليس لهم من الأمر شيء ، وقد ذكر العلامة المحقق الأستاذ

المجتهد جعفر السبحاني في كتابه « الإلهيات » (٢/١٦٦-١٦٩) ذلك فقال [٥٠] :

[**الأمويون وتفسير القضاء بالجبر :**

١- قال أبو هلال العسكري في الأوائل : إن معاوية أوَّل من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها[٥١] .

٢- لقد سعى معاوية بن أبي سفيان ـ بعدما سمَّ سيدنا الحسن عليه السلام ورأى الجو السياسي مناسباً ـ إلى نصب ولده يزيد خليفة من بعده ، فلما اعترض عليه عبد الله بن عمر قال له : (إني أُحَذّرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملئهم وأن تسفك دماءهم ، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم)[٥٢] .

وأجاب بهذا الكلام أيضاً عائشة أم المؤمنين عندما نازعته في هذا الاستخلاف فقال لها : (إن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم)[٥٣] .

فإنك ترى أن معاوية يتوسل في تحقيق أهدافه بأيدولوجية دينية مُسَلَّمة بين الناس من المعترضين وغيرهم وهي تفسير عمله بالتقدير والقضاء الإلهي .

وفي هذا الصدد يقول أحد الكتاب المصريين المعاصرين :

[إن معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوة فحسب ولكن بأيدولوجية تمس العقيدة في الصميم ، ولقد كان يعلن في الناس أن الخلافة بينه وبين علي (عليه السلام) قد احتكما فيها إلى الله فقضى الله له على عليٍّ (عليه السلام) وكذلك حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز ، أعلن اختيار يزيد للخلافة كان قضاءً من القضاء ليس للعباد خيرة في أمرهم ، وهكذا كاد أن يستقر في أذهان المسلمين أن كل ما يأمر به الخليفة حتى ولو كانت طاعة الله في خلافه فهو قضاء

---

(٥٠) وقد نقلناه مختصراً بحذف بعضه !!

(٥١) الأوائل (٢/ ١٢٥) .

(٥٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة (١/ ١٧١) .

(٥٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة (١/ ١٦٧) .

من الله قد قُدِّرَ على العباد][٥٤] .

٣- ومن مظاهر هذه الفكرة المخطئة (مساوقة التقدير للجبر) تبرير عمر بن سعد بن أبي الوقاص قاتل الإمام الطاهر الحسين بن علي سلام الله عليه مبرراً[٥٥] جنايته بأنها تقدير إلهي ، وعندما اعترض عليه عبد الله بن مطيع العدوي بقوله : اخترت همدان والري على قتل ابن عمك . قال عمر بن سعد : كانت أموراً قضيت من السماء وقد أعذرت إلى ابن عمي قبل الوقعة فأبى إلا ما أبى[٥٦] .

وعلى هذا الأصل قامت الدولة الأموية ونشأت وارتقت فكان الخلفاء من هذا البيت يهددون من يخالفهم فيه ، ويعاقبون بما هو مسجل مضبوط في التاريخ .

٤- إن الحسن البصري كان من الشخصيات البارزة في عصره وكان يشغل منصة الوعظ والخطابة والإرشاد . ومع ذلك كله لم يكن معتقداً بالتقدير المُصَوّب عند الأمويين فلما خوَّفه بعض أصدقائه من السلطان وعد أن لا يعود ، روى ابن سعد في طبقاته عن أيوب قال : نازلت الحسن في القدر غير مرة حتى خوَّفته من السلطان فقال : لا أعود بعد اليوم[٥٧] .

٥- إن محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية المعروفة التي قام بتلخيصها ابن هشام ، أتهم بالمخالفة في التقدير وضُرِبَ عدة سياط تأديباً .

قال ابن حجر في التهذيب : إن محمد بن إسحاق اتُّهِمَ بالقدر ، وقال الزبير عن الدراوردي : وجلد ابن إسحاق يعني في القدر[٥٨] .

٦- وروى ابن قتيبة أن عطاء بن يسار كان قاضياً للأمويين ويرى رأي معبد الجهني ، فدخل على الحسن البصري ، وقال له : يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك

---

(٥٤) نظرية الإمامة عند الإمامية للدكتور أحمد محمود ص (٣٣٤) .

(٥٥) الصواب أن يقال مسوغاً .

(٥٦) طبقات ابن سعد (٥/ ١٤٨) .

(٥٧) طبقات ابن سعد (٧/ ١٦٧) .

(٥٨) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨ و ٤٦) .

يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجري أعمالنا على قضاء الله وقدره ، فقال له الحسن البصري : كذب أعداء الله[٥٩] .

ونقل المقريزي أن عطاء بن يسار ومعبد الجهني دخلا على الحسن البصري فقالا له : إن هؤلاء يسفكون الدماء ويقولون إنها تجري أعمالنا على قدر الله ، فقال : كذب أعداء الله فطعن عليه بهذا[٦٠] .

٧- ويقول ابن المرتضى : « ثم حَدَثَ رأي المُجَبِّرة من معاوية وملوك بني مروان فَعَظُمَتْ به الفتنة »[٦١]] .

انتهى كلام العلامة السبحاني جزاه الله تعالى خير الجزاء .

وقد تميز أسلوب الأشعري في الطرح في كتابه هذا بطريقة اختراع سؤال وقول لا يقول به خصومه ثم اختراع جواب معوج عليه ! وابن تيمية يحتج كثيراً بالإبانة وأسلوب ابن تيمية في كتبه نفس أسلوب الإبانة في اختراع السؤال واختراع الجواب له ! ولله في خلقه شؤون !

---

(٥٩) الملل والنحل (١/ ١١٣) والمذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص (١٧٥) ، قلت : وهو ثابت عن الحسن كما في « ضعفاء العقيلي » (٣/ ٤٠٤) .

(٦٠) الخطط المقريزية (٢/ ٣٥٦) .

(٦١) طبقات المعتزلة ص (٦) لأحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي .

الإبانـــة

عن أصول الديانة

لأبي الحسن الأشعري

قدم لها وعلق عليها وخرَّج أحاديثها
حسن بن علي السقاف

تنبيه مهم لا تغفل عنه

لقد جعلتُ نص الإبانة الثابت في كتاب تبيين كذب المفتري لابن عساكر باللون الأزرق
وهو يبدأ هنا في هذا الكتاب ص (٥٥) وينتهي ص (١٠٢)
وهو موجود في نسخة الإبانة المطبوعة بتحقيق العلامة الكوثري رحمه الله تعالى ص (١٥٢) وينتهي ص (١٦٣)

كما نبهنا على زيادة النُّساخ ، أي نبهنا على بعض العبارات والجُمَل التي زادها بعض نُسَّاخ الإبانة وأكثرها عبارات في التنزيه لأن الناسخ استفظع بعض العبارات الصريحة أو التي يلزم منها التجسيم أو الطعن في الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى فكتب عبارات
ترد على الجُمَل المستفظعة عقبها مباشرة
فقد نبهنا عليها لتعلموا أنها من الناسخ وليست من المصنف الأشعري

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل ، وصلى الله علــى سيدنا محمــد وعلــى آلــه وصحبــه وسلَّم .

قال الشيخ الإمام العالم أبو الحسن علي بـــن إسـماعيل بـن علـي بـن أبـي بشـر الأشعري البصري رحمه الله :

[الحمد لله الواحد الأحد ، العزيز المــاجد ، المتفـرّد بـالتوحيد ، المتمجـد[٦٢] بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، ليس له مِثْلٌ ولا نديد ، وهو المبدئُ المعيد ، الفعال لما يريد ، جلّ عن اتخــاذ الصاحبـة والأبنـاء ، وتقـدَّس عـن ملامسـة النسـاء ، وملابسة الأجناس والأرجاس ، ليست لـه صـورة تقـال[٦٣] ، ولا حَـدٌّ تضـرب لـه فيـه الأمثال[٦٤] ، لم يزل بصفاته أولاً قديراً ، ولا يزال عالماً خبيراً ، سـبق الأشـياء علمـه ، ونفذت فيها إرادته ، فلم تعــزب عنـه خفيـات الأمـور ، ولـم تغـيِّره سـوالف صـروف الدهور ، ولم يلحقه في خلق شيء ممَّا خلــق كـلالٌ ولا تعـب ، ولا مسَّـه لغـوب ولا نصب ، خلق الأشياء بقدرته ، ودبرها بمشيئته ، وقهرها بجبروته ، وذللها بعزته ، فــذل لعظمته المتكبرون ، واستكان لعظم ربوبيته المتعظِّمون وانقطع دون الرسوخ في علمــه

---

(٦٢) في بعض النسخ (والمنفرد) ، وانتبه إلى أن النص المطبوع باللون الأزرق هو النص الموجود في كتاب « تبيين كذب المفتري » لابن عساكر حيث ينتهي هنا ص (١٠٠) .

(٦٣) الذي نراه ثابتاً هو (ليست له صورة تقال) فهذه الأليق بالسياق مع ذكر الحد بعدها ، وقد وقع في نسخة في تبيين كذب المفتري المطبوع (فليست له عزة تنال) وهذا المعنــى غـير مسـتقيم وهـو تصحيف جزماً ! وقد وقع في طبعة دار ابن حزم ٢٠٠٣م : (ليست له عثرة تقال) وهي بعيـدة أيضـاً ووقع لفظ (صورة) في ثلاثة من النسخ الخطية التي كانت قد اطلعت عليها الدكتورة فوقيــة حسـين في النسخة التي طبعتها من الإبانة .

(٦٤) حرَّف بعضهم هذه العبارة إلى (ولا حَد يضرب له فيه المثال) مــع أن المعنـى فـي العبـارتين واحد وهو تنزيه الله تعالى عن الحد وهذا مخالف لما عليه ابــن تيميـة وسـلفه عثمـان الدارمـي مـن إثبات الحد لله ! تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً .

الممترون ، وذلت له الرقاب ، وحارت في ملكوته فطن ذوى الألباب وقامت بكلمته السموات السبع ، واستقرّت الأرض المهاد ، وثبتت الجبال الرواسي ، وجرت الرياح اللواقح ، وسار في جو السماء السحاب ، وقامت على حدودها البحار ، وهو إله قاهر يخضع له المتعززون ويخشع له المترفعون ويدين له طوعاً وكرهاً العالمون .

نحمده كما حمد نفسه ، وكما ربنا له أهل ، ونستعينه استعانة من فوض أمره إليه ، وأقرّ أنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ، ونستغفره استغفار مقرّ بذنبه ، معترف بخطيئته ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بوحدانيته وإخلاصاً لربوبيته ، وأنه العالم بما تبطنه الضمائر ، وتنطوي عليه السرائر ، وما تخفيه النفوس ، وما تجنّ البحار وما تواري الأسرار ، وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكلّ شيء عنده بمقدار ، لا توارى منه كلمة ولا تغيب عنه غائبة ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ[٦٥] إلا يَعْلَمُهَا[٦٦] وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ الأنعام : ٥٩ .

ويعلم ما يعمل العاملون ، وإلى أين ينقلب إليه المنقلبون .

ونستهدي الله بالهدى ونسأله التوفيق لمجانبة الردى .

ونشهد أن محمداً عبده ونبيّه ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بالنور الساطع ، والسراج اللامع ، والحجج الظاهرة ، والبراهين الزاهرة ، والأعاجيب القاهرة ، فبلّغ عن الله رسالاته ، ونصح له في برياته ، وجاهد في الله حقّ الجهاد ، ونصح له في البلاد ، وقابل أهل العناد ، حتى تمت كلمة الله وظهر أمره ، وانقاد الناس للحقّ أجمعين ، حتى أتاه اليقين ، لا وانياً ولا مقصراً ، فصلوات الله عليه من قائد إلى الهدى ، ومبيِّنٍ عن ضلالة وعمى ، وعلى أهل بيته الطيبين ، وعلى أصحابه المنتجبين ، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ، صلوات الله على من أظهر

---

(٦٥) في نسخة ابن عساكر من « تبيين كذب المفتري » زيادة هذه اللفظة (من شجرة) وهي لا توجد في الآية !!

(٦٦) وهذه اللفظة (إلا يعلمها) غير موجودة في نسخة تبيين كذب المفتري ! وهي ثابتة في الآية !

الشرائع والأحكام ، والحلال والحرام ، وبَيَّنَ لنا به شريعة الإسلام ، حتى انجلت عنا طخياء[٦٧] الظلام ، وانحسرت عنا به الشبهات ، وانكشفت به عنا الغيابات ، وظهرت لنا به البينات .

جاءنا بكتاب عزيز ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت :٤٢ ، جمع فيه علم الأولين والآخرين ، وأكمل به الفرائض والدين ، وهو صراط الله المستقيم ، وحبله المتين ، مَن تمسك به نجا ، ومَن خالفه ضل وغوى ، وحثنا في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر : ٧ ، وقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ النور : ٦٣ ، وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء : ٨٣ ، وقال : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ يقول : إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وقال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ النجم : ٣-٤ ، وقال : ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ يونس : ١٥ ، وقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور : ٥١ ، وأمرهم أن يسمعوا قوله ، ويطيعوا أمره ، ويحذروا مخالفته ، وقال : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ المائدة : ٩٢ ، فأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بطاعته ، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه .

فنبذ كثير ممن غلبت عليه شقوته ، واستحوذت عليه بليته سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم ، ومالوا إلى أسلافهم وقلَّدوهم دينهم ، ودانوا بديانتهم ، وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفضوها وأنكروها وجحدوها افتراءً منهم على الله ، ﴿ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ الأنعام : ١٤٠ .

وأوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحذركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، تغرّ

---

(٦٧) الطَّخياء : الليلة المظلمة ، وظلام طاخٍ : أي شديد .

أهلها ، وتخدع ساكنها ، قال الله عز وجل : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ الكهف : ٤٥ .

إن امرءاً لم يكن منها في حيرة إلا أعقبته بعدها عبرة ، لم يلق من سَرَّائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهوراً ، غَرَّارة غرور ما فيها ، فانية فانٍ من عليها ، كما حكم عليها ربها بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن : ٢٦ .

فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة ، ولخلود الأبد ، فإن الدنيا تنقضي عن أهلها ، وتبقى الأعمال قلائد في رقاب أهلها .

واعلموا إنكم ميِّتون ، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم تصيرون ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ النجم : ٣١ .

وكونوا بطاعة ربكم عاملين ، وعما نهاكم عنه منتهين .

فصل

في قول أهل الزيغ والبدع

أما بعد : فإن كثيراً من الزائغين عن الحق[٦٨] من المعتزلة[٦٩] وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم ومَن مضى من أسلافهم[٧٠] ، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً ، ولا أوضح به برهاناً ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين[٧١] .

---

(٦٨) هذه من زيادات الحاقدين على المعتزلة كما يظهر لأن نسخة ابن عساكر خلو منها !!

(٦٩) سيتبين من هذا التحقيق والتعليق من هو الزائغ المعتزلة الذين يعيبهم المؤلف أم كلماته وعباراته المتنكبة عن الكتاب والسنة والعقل والله تعالى الهادي .

ثم من العيب أن يدرس إنسان عند مذهب أو فرقة إسلامية كما يقال أربعين سنة ثم يكتشف أنهم ضُلال فيبهتهم وينبزهم بهذه الطرق التي هي محض افتراء !! كما سيتضح لنا إن شاء الله تعالى !!

فهل كان المصنف بهذه غير ذكي ولا نبيه حتى أنه جلس طوال هذه السنين ولم يكشف زيف مذهبهم ؟! فإن الإنسان لا يقطع هذه السنين وهو لم يكتشف ذلك إلا لكونه ثقيل الفهم !!

ومما رووه من كونه مكث عند المعتزلة أربعين سنة ما ذكره ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ص (٩١) حيث روى بإسناده عن العسكري قال : [قال الحسن بن محمد العسكري بالأهواز وكان من المخلصين في مذهبه المتقدمين في نصرته يعني مذهب الأشعري يقول : كان الأشعري تلميذ الجبائي يدرس عليه فيتعلم منه ويأخذ عنه لا يفارقه أربعين سنة] كذلك قال أيضاً ابن عزرة كما في « تبيين كذب المفتري » ص (٣٩) ، فمن قال إنه بقي لسن الأربعين في الاعتزال وليس أربعين سنة بقي في الاعتزال فهو مغالط ومكابر ومتهرب من الحقيقة ! لأنهم يحاولون أن يثبتوا أن الأشعري انقلب على الاعتزال في أوائل الثلاثمائة ليفسحوا له برهة كافية من الزمن تتيح له تأليف تلك الكتب التي تتخابط الأفكار فيها وتتناقض وتسقط بنفسها !

(٧٠) ومجسمة أهل الحديث وغيرهم ألم تمل بهم أهواؤهم حتى قلدوا مشائخهم ورؤسائهم ومن مضى من أسلافهم في أخطائهم التي اقترفوها وأساليبهم في الاستدلال التي ابتدعوها ؟!

(٧١) والسلف الذين تمدحهم أيها المؤلف ألم يؤولوا القرآن بأهوائهم تأويلاً باطلاً كتأويل عبد الله بن سلام ومجاهد المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجنب

وخالفوا روايات الصحابة عن نبي الله صلى الله عليه وسلم في رؤية الله عز وجل بالأبصار[٧٢] ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات[٧٣] ، وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار[٧٤] .

وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين[٧٥] ، وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين .

وجحدوا عذاب القبر[٧٦] ، وأن الكفار في قبورهم يعذَّبون ، وقد أجمع على

الله تعالى على العرش يوم القيامة تعالى الله وتقدس عما يقولون ؟! وكما نقل عن ابن عباس أن الكرسي موضع القدمين !! وكما نقل عن مجاهد في تفسير ابن جرير أن الله تعالى يأتي يوم القيامة من طاقات في الغمام أو نحو هذا !! والكلام في هذا الباب كثير عن السلف المعصومين عندهم !!! حتى التأويلات التجسيمية التي يزعمون نقلها في تفسير بعض الآيات عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي في الصحاح هي تأويلات باطلة مردودة يتنزه الله تعالى عنها ونعتقد جزماً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقلها كما جاء في حديث الصورة الطويل في الصحيحين والذي فيه ((فيأتيهم الله بغير صورته التي يعرفون)) وغير ذلك من الترهات الإسرائيلية التي ظنوها أحاديث نبوية !! تعالى الله عن ذلك وتقدس علواً كبيراً .

(٧٢) قد بينا في كتابنا في مسألة الرؤية أن كل ما احتجوا به عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث في ذلك لا دلالة فيه !! ولم تتواتر تلك الأحاديث وسيأتي إن شاء الله تعالى بعض ذلك في التعليق على ما ذكره المصنف هنا في هذا الكتاب مما يتعلق بالرؤية !!

(٧٣) وكلها لا تثبت وهي معارضة لما تقرر في القرآن الكريم !!

(٧٤) لم يتواتر منها شيء والمؤلف لا يعرف صحيح الحديث من ضعيفه !!

(٧٥) شفاعة الرسول للمذنبين إن لم يكونوا من أصحاب الكبائر فلا بأس بها وأما المجرمين من أصحاب الكبائر فلا يشفع لهم لقوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً ﴾ النساء : ٣١ ، فشفاعته للمذنبين المجرمين من أصحاب الكبائر باطلة بصريح قول الله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ الأنبياء : ٢٨ ، وحديث ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) رواه ابن حبان ولا يثبت كما سيتبين في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى عند تخريجه ! انظر التعليق رقم (٨٩٨) .

(٧٦) لم تجحد المعتزلة عذاب القبر وهذا من الخرافات !! وقد نقل القاضي عبد الجبار في ((شرح

ذلك الصحابة والتابعون .

ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين[(٧٧)] ؛ الذيـن قـالوا : ﴿ إِنْ هَذَا إلا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾[(٧٨)] المدثر : ٢٥ ، فزعموا أن القرآن كقول البشر .

وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر[(٧٩)] ، نظيراً لقول المجوس[(٨٠)] الذين يثبتون خالقين : أحدهما يخلق الخير ، والأخر يخلق الشر ، وزعمت القدريـة أن اللـه تعـالى يخلق الخير وأن الشيطان يخلق الشر[(٨١)] .

الأصول الخمسة » ص (٧٣٠) أن الأمة متفقة علـى ذلـك وأن المعتزلـة منهـم وأنمـا يشـغِّب علـى المعتزلة في ذلك ويكذب عليهم ابن الراوندي الملحد !!

(٧٧) كان ينبغي أن يستحي المؤلف على نفسه وأن يتق الله تعالى مـن تشـبيه المسـلمين بالمشـركين وعدهم بأنهم من إخوانهم ! والقول بخلق القرآن هو الصواب الذي لا مرية فيه لقول الله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ والمُحْدَث هـو المخلـوق الـذي أحدثـه الله تعالى وخلقه ! فإن قالوا : المحدث هو الجديد ! قلنا لهم : الجديد ما ليس بقديم وكل مـا لـيس بقديم فهو مخلوق حادث وهو المطلوب !! والقرآن شيء مقدس أنزله الله تعالى إذ قال ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾ وهذا الشيء ليس هو الله تعالى ولا جزء منه إذ أنه تعالى يستحيل في حقه الجزئية ! بل هو حروف وألفاظ تعبر عن مراده سبحانه وكل ما سواه فهو مخلوق حادث !!

(٧٨) وأهل الحق الذين قالوا بخلقه لم يقولوا بأنه قول البشر بل قالوا هو قول الله تعالى ولم ينسبوه إلى غير المولى جل وعز ! وقالوا بأنه قول معجز خلقه الله تعالى وأنزله بواسطة الملك سيدنا جبريل عليه السلام على نبينا سيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسـلم !! فـلا داعـي للتهويـل الـذي لا معنى له !!

(٧٩) قال تعالى ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ وقال سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ إنـي أخلـق لكـم مـن الطيـن كهيئة الطير ﴾ وهذا كله يدل على أن الإنسان يخلق فعله وأما الخلق بمعنى إبراز الأعيـان مـن العـدم فهو لله تعالى **وحده وعليه تحمل الآيات الدالة على أنه لا خالق إلا الله تعالى !!**

فلا وجه إذن لتشبيه سيدنا عيسى والناس الذين قال لهم الله تعالى ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ بالمجوس إلا التهويلات التي لا معنى لها !!

(٨٠) تهويل فارغ لا معنى له كما تقدَّم !

(٨١) هم لم يقولوا بأن الشيطان فقط يخلق الشر وإنما قـالوا بـأن العبـد يخلـق (أي يفعـل) الفعـل

وزعموا أن الله تعالى يشاء ما لا يكون ، ويكون مالا يشاء ، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون[(٨٢)] من أن ما شاء الله كان ، وما لا يشاء لا يكون ، ورداً لقول الله تعالى[(٨٣)] : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الانسان : ٣٠ .

فأخبر أنا لا نشاء شيئاً إلا وقد شاء أن نشاءه[(٨٤)] ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

القبيح وكذلك الفعل الحسن !! فقالوا بأن العبد يخلق القبيح والحسن وبالتالي بطل كلام المصنف وإشكاله !!

والعجب العجاب أنه كما يقال كان الأشعري قد درس عند المعتزلة أربعين سنة كما في ((تبيين كذب المفتري)) لابن عساكر ص (٣٩و٩١) ثم يفتري عليهم هذه الفرى التي هم برءاء منها !!

وهذا يبين أنه إما أن القول بأنه درس عند المعتزلة أربعين سنة وأنه تاب من عقيدتهم غير صحيح ولم يحصل ذلك وإما أن هذا الكتاب من وضع الحنابلة وليس هو من مؤلفاته لأن الأشاعرة لا يعولون عليه !! مع الراجح أنه من تصنيفه وتأليفه .

(٨٢) مما يرد على المصنف فكرته هذا : التأمل في معنى قوله تعالى ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ والظلم واقع ! ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ فوجود ما لا يريده ولا يحبه ولا يرضاه واقع ! وادعاء الإجماع باطل لأن إجماع المسلمين لا يتم دون قولهم (أي المعتزلة) ! وهم لم يقلوا ذلك وكثير أيضاً من أهل السنة ومن رواة الحديث من رجال الستة وغيرهم ممن رموهم بالقدر والتجهم !! وعلى هذا المنطق المعوج نقول : بل الأشعري اخترع الكسب وخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن أفعالنا وأعمالنا هي لنا وليست أفعال الله تعالى وأعماله وخالف القرآن الكريم الذي بين الله تعالى فيه أن أفعالنا وما نقوم به هي أعمالنا وليست أعمال الله تعالى في مثل قوله جل وعز : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ وقوله تعالى ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ !!

(٨٣) كلا لم يردوا قول الله تعالى وإنما ردوا فهم المصنف لكلام الله تعالى في غير ما أراده سبحانه !! ومن يرجع إلى كتبهم يعرف ذلك !!

(٨٤) الله تعالى شاء أن يجعلنا مخيرين فيما نعمل ونفعل وطريقة المصنف في فهم الآيات الكريمة تفيد أنه يقول بالجبر وهذا ما يعاب عليه من قِبَل مخالفيه وهم محقون في ذلك ! والآيات الكريمة لا تفيد أن العبد مجبور في صورة مختار !

وفي ((شرح المواقف)) (٣/ ٧١٢) ما نصه : [الفرقة السادسة من تلك الفرق الكبار : الجبرية ؛ والجبر إسناد فعل العبد إلى الله ؛ والجبرية متوسطة أي غير خالصة في القول بالجبر المحض بل متوسطة بين الجبر والتفويض تثبت للعبد كسباً في الفعل بلا تأثير فيه كالأشعرية والنجارية والضرارية] .

مَا اقْتَتَلُوا ﴾ البقرة : ٢٥٣ ، ولقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ السجدة : ١٣ ، ولقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ هود : ١٠٧ ، ولقوله مخبراً عن شعيب أنه قال : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إلاأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ الأعراف : ٨٩ ؛ ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة(٨٥) ؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس(٨٦) ،

وقال الجرجاني في « التعريفات » ص (١٠١) : [الجبرية ؛ هو من الجبر وهو : إسناد فعل العبد إلى الله تعالى ، والجبرية اثنان متوسطة تثبت للعبد كسباً في الفعل كالأشعرية ، وخالصة لا تثبت كالجهمية] . أقول : والجهمية فرقة لا وجود لها ولا يمكن أن ينقلوا عنها من مصادرها !! لأنه لا وجود لها !!

ومما يدل على ما قلناه ونقلناه أن الأشاعرة ومن ينقل عنهم ممن يدعي الأخذ بمذهبهم واتخاذهم قدوة يقول : [ويجب أن نعتقد أن الأفعال كلها لله تعالى] انظر « تهذيب شرح السنوسية » (أم البراهين) ص (٤١) ، وفي الحاشية رقم (٣) هنالك : [ليس في الوجود فعل لغيره عز وجل بل هو تعالى الفاعل لجميع الأفعال] !! فتأملوا !!

(٨٥) هذا حديث موضوع لا يثبت ! والمصنف لا يعلم صناعة الحديث ولا يتقنها !! ومن ألفاظ هذا الحديث : « القدرية مجوس هذه الأمة ... » رواه ابن أبي عاصم في « كتاب السنة » (١/ ١٤٩) وهو حديث منكر في إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف منكر الحديث ! انظر ترجمته في « تهذيب التهذيب » (٣/ ٢٨٧) والكامل في الضعفاء (٣/ ٢١١) ، وكذا أبو حازم بن دينار ولم يلق ابن عمر . ورواه أبو داود (٤٦٩١) والبيهقي (١٠/ ٢٠٣) والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً : « القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم » . وفيه انقطاع بين سلمة بن دينار ـ والد عبد العزيز بن أبي حازم ـ وبين ابن عمر !

ورواه أبو داود (٤٦٩٢) وأحمد وغيرهما من حديث سيدنا حذيفة أيضاً ولفظه : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ... » وهو تالف منكر ، في إسناده عمر مولى غُفْرَة وهو ضعيف ومتروك عند الإمام مالك بن أنس ، وفي السند أيضاً رجل مجهول العين والحال .

والحديث موضوع تجد الكلام على بعض طرقه الأخرى في علل الدارقطني (٨/ ٢٨٩) ، والكامل في الضعفاء (٢/ ٢٠٧) و (٧/ ٧٧) ولسان الميزان (٦/ ٢٢٢) وتاريخ البخاري الصغير (٢/ ٢٧١) وميزان الذهبي في ترجمة الحكم بن سعيد الأموي وقد قال عنه البخاري : منكر الحديث .

وله لفظ آخر من حديث ابن عباس مرفوعاً : « صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية » رواه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٦٢) فيه نزار بن حيان وهو ضعيف وفي

وضاهوا أقوالهم ، وزعموا أن للخير والشرّ خالقين[٨٧] كما زعمت المجوس ، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس ذلك ، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم من دون الله عز وجل ، رداً لقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً ولا نفعاً إلا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ يونس : ٤٩ ، وانحرافاً عن القرآن وعما أجمع المسلمون عليه .

وزعموا أنهم منفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله[٨٨] عز وجل ؛ ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله عز وجل بالقدرة عليه ، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشرّ ما لم يثبتوه لله عز وجل ، فكانوا مجوس هذه الأمة ؛ إذ دانوا بديانة المجوس ، وتمسكوا بأقوالهم ،

أحاديثه عن عكرمة كلام وابنه علي بن نزار الراوي عنه ضعيف وكذا القاسم بن حبيب ، فهو حديث واهٍ تالف .

وله لفظ ثالث عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه : « إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف وهو في الزنديقية والقدرية » رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٦) وهو تالف أيضاً ومن جملة الموضوعات الظاهرة الوضع . ، انظر ترجمة الوليد بن سلمة في « الميزان » للذهبي ، و « لسان الميزان » لابن حجر (٦/ ٢٢٢) .

ومنه يظهر أن المصنف يبني أفكاره على جرف هار في التشنيع على خصومه العقلاء العلماء !!

(٨٦) كذب بحت وافتراء عليهم !! فالقدرية مؤمنون ومن أهل الإسلام والمجوس كفار لا يدينون الله تعالى بعقيدة الإسلام !! والقدرية يشهدون أن لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون ويحجون والمجوس لا تفعل ذلك !! والله تعالى يقول ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ ومن ذلك تعلمون مدى افتراء المصنف وغلوه !! ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ﴾ ؟! ولذلك فإن أصحاب الحواشي من متأخري الأشعرية اعتبروا هذا القول في المعتزلة من الغلو والمبالغة في التضليل ! انظر حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي على أم البرهين للسنوسي ص (٥٨) .

(٨٧) بل قالوا العبد نفسه يعمل ويخلق أعماله وأفعاله من خير ومن شر ! وهذا مما يبطل قول المصنف ويجعله هباءً !!

(٨٨) كل هذا تهويل فاشل لا يسمن ولا يغني من جوع !!

ومالوا إلى أضاليلهم[٨٩] .

وقنَّطوا الناس من رحمة الله ، وآيسوهم روحه ، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها[٩٠] خلافاً ؛ لقول الله تعالى ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾النساء : ٤٨ .

وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها[٩١] ، خلافاً لما جاءت به الرواية عن رسول الله[٩٢] صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يخرج من النار قوماً بعد أن

---

(٨٩) كله كلام فاشل باطل عاطل لا أساس له من الصحة !! والغرض منه التهويش والتهويل على مخالفيه !!

(٩٠) لاحظ كيف يدافع هذا المصنف عن العصاة والله تعالى يقول : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ سورة الجن : ٢٣ ، وقال تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً ﴾ النساء : ٣١ ، وقال تعالى : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾ النجم : ٣٢ ، فقد بيَّن الله تعالى أنه شاء أن يغفر ما دون الكفر من الصغائر واللمم أما الكبائر فأوضح في آيات أخرى أنه لا يُكَفِّرُها كما هو صريح الآيات السابقة إن لم يتب العبد منها ! فقوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فيه بيان أن الناس ثلاثة طوائف ، طائفة مشركة فهؤلاء لا يغفر الله لهم ، وطائفة يشاء الله أن يغفر لها ، وطائفة لم يشأ أن يغفر لها ، فالطائفة التي لا يغفر لها ولا يكفر عنها سيئاتها هي أصحاب الكبائر الذين أخبر الله عنهم في الآيات الأخرى !! انتهى المقصود وهو المطلوب في الرد على المصنف !!

(٩١) هذا هو ما في القرآن فكيف ينكره المصنف ؟!! فقد بين الله تعالى أن اليهود قالوا : ﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ﴾ آل عمران : ٢٤ ، وقد بين الله تعالى أن فكرة دخول النار ثم الخروج منها فكرة يهودية إذ قال سبحانه : ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ؛ قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة ٨١ . ولم تأت في القرآن فكرة أن أناساً يدخلون في النار ثم يخرجون منها !! بل جاءت هذه الفكرة في أحاديث مردودة كما قرر ذلك فريق من علماء المسلمين يقولون بمقتضى ما تفيده الآيات المتحدثة عن الكبائر !! وبذا ينهدم تشغيب المصنف على خصومه ويذهب أدراج الرياح !!

(٩٢) وهذه الرواية مردودة لمخالفتها للقرآن !!

قال الحافظ البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (١/ ١٣٢) : [باب القول فيما يُرَدُّ به خبر الواحد : ...

امتحشوا فيها وصاروا حُمَمَاً))[٩٣] .

ودفعوا أن يكون لله وجه[٩٤] مع قوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ الرحمن : ٢٧ . وأنكروا أن يكون لله يدان[٩٥] مع قوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ

وإذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الإسناد رُدَّ بأُمور :

أحدها : أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه ، لأنّ الشرع إنّما يَرِدُ بمجوّزات العقول وأمّا بخلاف العقول فلا .

والثاني : أن يخالف نصَّ الكتاب أو السُنَّة المتواترة فيعلم أنّه لا أصل له أو منسوخ .....] .

(٩٣) شاذ مردود رواه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو حديث الصورة الطويل الإسرائيلي المردود الذي فيه أن الله تعالى يكشف لهم عن ساقه كما في رواية البخاري (٧٤٤٠) وعليه فإن هذا من الخرافات الإسرائيلية التي لا يجوز أن يُعَارَض بها كتاب الله تعالى !!

(٩٤) ليس لله تعالى وجه بمعنى العضو المعروف جلَّ ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه !! وإنما معنى الآية ويبقى الله تعالى ذو الجلال والإكرام ! وهذا مثل قول الله تعالى حكاية عن بعض الكفار ﴿ آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ﴾ والنهار لا وجه له بمعنى العضو المعروف وإنما المراد أول النهار !

والله تعالى لا أعضاء له لأنه ليس جسماً وليس مركَّباً من هذه الأعضاء ! ثم إن قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ... ﴾ الآية يلزم أن يكون معناه عند المجسمة فناء الساق واليدان والأصابع والجنب والقدم ونحوها من الأعضاء التي أثبتوها لله تعالى ولا يبقى منها إلا الوجه !! أي يفنى كله إلا وجهه وهذه من الخرافات البالغة إلى ذروة السفه !! فالمصنف سائر بذلك في ركب المجسمة القائلين بأن الله تعالى على صورة سيدنا آدم أو على صورة الشاب الأمرد تعالى الله عن هذا الهراء علواً كبيراً وسبحان ربك رب العزة عما يصفون !!

(٩٥) نعم أنكروا ذلك ونحن ننكره أيضاً !! لأن معنى الآية هنا : لما خلقته أنا ولم يخلقه غيري ! وهذا مثل قوله تعالى في القرآن ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ مع أن القرآن ليس له يدان ولا خلف وكل ذلك من مجاز اللغة العربية التي بها نزل القرآن والمصنف ومن يقول بقوله لا يريد أن يفهم القرآن باللغة التي نزل بها !!

وقال الحافظ أبوحيان رحمه الله تعالى في تفسيره ((البحر المحيط)) (٤/٣١٦ طبعة دار الفكر) :

((وقال قوم منهم القاضي أبوبكر بن الطيب : هذه كلها صفات زائدة على الذات ثابتة لله تعالى من

بِيَدَيّ ﴾ ص : ٧٥ . وأنكروا أن يكون له عين(٩٦) مع قولـه سـبحانه : ﴿ تَجْـرِي بِأَعْيُنِنَـا ﴾ القمر : ١٤ ولقوله ﴿ ولِتُصْنَع على عيني ﴾ وأنكروا أن يكون له سبحانه علم(٩٧) مع قوله :

غير تشبيه ولا تحديد ، وقال قوم منهم الشعبي وابن المسبب والثوري نؤمن بها ونقرُّ كمـا نصـت ولا نُعَيّن تفسيرها ولا يسبق النظر فيه . وهذان القولان حديث مَنْ لم يمعن النظر فـي لسـان العـرب » .
فتأمل !! وهو كلام حسن جداً يكتب عندنا بماء الذهب !!

(٩٦) وفي بعض النسخ (عينان) . والعينان هو مذهب المصنف كما فـي « مقـالات الإسـلاميين » (١/ ٣٤٥) طبعة المكتبة العصرية / بيروت / ١٩٩٩م .

ونقول : نعم ننكر أن يكون لله عينان وننزهه سبحانه عن الأعضاء والتركيب والمراد بذكر العيـن فـي القرآن الكريم في هذه الآية الحفظ والرعاية ! قال القرطبي في التفسير (١٧/ ١٣٣) :

[﴿ تجري بأعيننا ﴾ أي بمرأى منا ؛ وقيل : بأمرنا ، وقيل : بحفظٍ منا وكلاءة ، وقد مضى في هـود ؛ ومنه قول الناس للمودع عين الله عليك أي حفظه وكلاءتـه ، وقيـل : بوحينـا ، وقيـل : أي بـالأعين النابعة من الأرض ، وقيل : بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها ؛ وكل ما خلـق اللـه تعـالى يمكن أن يضاف إليه] .

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٤) : [وذكر عن سفيان في تـأويل ذلـك : مـا حدثنـا ابـن حميد قال ثنا مهران عن سفيان في قوله ﴿ تجري بأعيننا ﴾ يقول : بأمرنا] .

(٩٧) لم ينكر أحد من المسلمين أن الله تعالى عالم !! قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في « شرح الأصول الخمسة » ص (١٥٦) : « فصل **والغرض به الكلام في أن الله تعالى عالم وتحرير الدلالـة على ذلك** ... » .

وأما زيادة صفة على الذات فهذا الذي أنكره بعض العلماء وكثير مـن المذاهـب كالزيديـة والإباضيـة والمعتزلة والإمامية وابن حزم وعزاه في « الفصـل فـي الملـل » (٢/ ١٤٠) للشـافعي وبعـض أهـل السنة خوفاً من تعدد القدماء والجميع يعتقدون ويؤمنون بهذه الآية الشريفة !! قال ابن حزم هناك :

« **وذهبت طوائف من من أهل السنة منهم الشافعي وداود بن علي وعبـد العزيـز بـن مسـلم الكنـاني رضي الله عنهم وغيرهم إلى أن الله تعالى سميع بصير ولا نقول بسمع ولا ببصر لأن الله تعـالى لـم يقله ولكن سميع بذاته وبصير بذاته** » .

قال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصـول الخمسـة » ص (١٨٣) : [**ثـم نبـغ الأشـعري وأطلـق القول بأنه تعالى يستحق هذه الصفات لمعانٍ قديمة لوقاحته وقلة مبالاته بالإسلام والمسلمين**] .

وقال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصـول الخمـس » ص ٢١١ : [فمـن جملـة مـا لـم نذكـره

﴿ أَنْزَلَـهُ بِعِلْمِـهِ ﴾ النساء : ١٦٦ . وأنكـروا أن يكـون لـه قــوة[٩٨] مــع قولــه ســبحانه : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ الذريات : ٥٨ .

ونفوا ما رويَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « أن الله ينــزل إلـى سماء الدنيا »[٩٩] ، وغير ذلك ممَّا رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تعلقهم بقول الله سبحانه ﴿ أنزله بعلمه ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا يحيطـون بشـيء مـن علمـه ﴾ وقولـه تعالى ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ وهذا يدل على أنه تعالى عالم بعلمه ، ..... ثـم يقـال لهـم لا تعلـق لكم بالظاهر لأن هذه الباءات إنما تدخل في الآلة كقولهم ... وأجذب بيـدي وكتبـت بقلمـي وليـس العلم بآلة فيما دخل فيه فلا يصح التعلق بظاهر الآية وإذا عدلتم عن الظاهر فلستم بالتأويل أولى منا ، فنحمله على وجه آخر يوافق الدلالة العقلية **فنقول : قوله عز وجل ﴿ أنزله بعلمه ﴾ أي : وهـو عـالم به ، وقوله تعالى ﴿ فلنقصنَّ عليهم بعلم ﴾ أي ونحن عالمون به ، وقوله تعالى ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ أي معلوماته . والعلم قد يستعمل في العالم مرة وفي المعلوم مرة أخـرى يقـال : جـرى هذا بعلمي ؛ أي وأنا عالم به ؛ ويقال : هذا علم أبي حنيفة وعلم الشافعي ، أي : معلومهما**] .

(٩٨) تهويل فارغ ! لأن هذا لا يعني أن يكون هناك شيء غير الله تعالى وهم لـم ينكـروا كـون الله تعالى قوياً ولم ينكروا الآية بل آمنوا بها كبقية عباد الله تعالى المؤمنين ! وهذا تشـغيب لا طـائل مـن ورائه وهو مثل تشغيب المجسمة عندمـا يذكـرون آيـات الاسـتواء فيقولـون وأنكـرت هـذا الجهميـة والمعتزلة و....... وهم لم ينكروا الآيات وإنما اختلفوا معهم فـي معانيهـا ، فالمخـالفين ذكـروا لهـا معاني مردودة وحملوها على الظاهر الذي يقتضي المشابهة والمماثلة والتحـيز ونحـو ذلـك !! وهـم أنكروا عليهم وبينوا معاني سليمة مستساغة !!

(٩٩) نص العلماء وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر ذكر فـي « الفتـح » (٣/ ٣٠) أن بعـض المشـايخ ضبط الحديث الذي أورده المصنف هنا بضم ياء (يُـنْزِل) . أي أن الذي ينزل هو ملك من الملائكة ودلل على ذلك بالأحاديث الواردة في هذا المثبتة بأن النزول هو للملك لا لله جل وعلا المنزه عــن الحلول في السماء والانتقال من مكان إلى آخر فمن تلك الأحـاديث مـا رواه النسـائي فـي « السـنن الكبرى » (٦/ ١٢٤) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً : « **إنَّ الله تعالى يمهل حتـى يمضـي شطر الليل ثم يأمر منادياً أن ينادي يقول : هل من داع فيستجاب له** .... » . وإسناده صحيح .

ورواه أحمد (٤/ ٢٢و٢١٧) والطبراني (٩/ ٥١) والبزار (٤/ ٤٤كشف الأستار) من حديث عثمان بن أبي العاص بأسانيد صحيحة كذلك أنه ينادي منادٍ . فهذا كله ممـا يعكِّـر علـى المجسـمة اسـتدلالهم بالحديث على ما يريدون .

وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية ، أهل الزيغ فيما ابتدعوا خالفوا الكتاب والسنة(١٠٠) ، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين وأجمعت عليه الأمة ، كفعل المعتزلة والقدرية ؛ وأنا ذاكر ذلك إن شاء الله باباً باباً وبه المعونة والتأييد ، ومنه التوفيق والتسديد .

على أننا نميل ونرجح أن هذا الحديث الذي في الصحيحين وغيرهما من جميع طرقه ورواياته هو من كلام كعب الأحبار الذي نقله من التوراة المحرَّفة كما في « الحلية » لأبي نُعَيم (٦/ ٤) وليس بحديث وإن روي في الصحيحين !! وغاية أمره عند من يصححه أنه يقول : صحيح الإسناد ولا دلالة فيه !! ولنا فيه كلام طويل سابغ الذيل ذكرناه في كتبنا وتعليقاتنا !!

والاستدلال بهذا الحديث على أنَّ الله تعالى في السماء أو فوق العرش باطل من وجوه ذكرناها في كتبنا نلخصها هنا بالنقاط التالية :

١- أن في الأخذ بظاهر هذا الحديث إثبات حلول الله تعالى في السماء الدنيا وهي من جملة خلقه ، أي حلول الله الخالق المنـزه عن المكان في المخلوق المحدود . فصارت السماء إذن أكبر منه فإذا كانت المسألة بالكبر بالأجسام بطل قولنا الله أكبر !! وهذا باطل محال !!

ومن العجيب الغريب قول ابن قيم الجوزية الزرعي في « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص (١٠٩) محقق ، وأشار إلى حسنه أنَّ الله ينزل فيجلس على كرسيه وله في كل سماء كرسي ! تعالى الله عن هذا الهراء علواً كبيراً !

٢- أنه جاءت أحاديث صحيحة تثبت أن النزول هو نزول مَلَك من ملائكة الله تعالى ينادي في الشطر الأخير من الليل بأمر الله تعالى وقد تقدمت قبل قليل !!

٣- أنَّ عقيدة نزول الله حقيقة إلى السماء الدنيا في شطر الليل الآخر باطلة بصريح المعقول ، لأنَّ شطر الليل مستمر على وجه الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة .

وبهذا التقرير رُفِع الإشكال والله المعين .

(١٠٠) كل هذه دعاوى فارغة !! وإنما خالفوا فهمه للآيات والأحاديث ! وأنكروا تلك الأحاديث التي فيها إثبات التشبيه والتجسيم كحديث : « يضع قدمه في النار » و « ينزل إلى السماء الدنيا » وحديث الجارية !! وأمثالها من الحديث التي أَوَّلَها حتى أهل السنة كالنووي والقاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيرهم من العلماء الذين ذكر أقوالهم ابن حجر في الفتح في تأويلها وعدم الأخذ بظاهرها !! بل نقل الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره تأويل السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم لتلك الآيات التي يستدل بها المصنف والمجسمة والمشبهة !!

فصل
في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فَعَرِّفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له :

قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم[١٠١] ، وما رويَ عن الصحابة[١٠٢] والتابعين وأئمة الحديث[١٠٣] ، ونحن بذلك معتصمون[١٠٤] ، وبما كان عليه أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله

---

(١٠١) كل المسلمون بجميع طوائفهم وفرقهم متمسكون بالكتاب والسنة !!

(١٠٢) الصحابة قالوا بتأويل مثل قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ كما ثبت عن ابن عباس وغيره مع أن الساق ليست مضافة لله تعالى ، ومثل قوله تعالى ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ كما في تفسير ابن جرير الطبري فهل يقول المصنف والمجسمة وحشوية الحنابلة وابن تيمية وشيعته بمثل قول الصحابة في تأويل أمثال هذه الآيات أم يجمدون على الظواهر ويتبعون المتشابه فيكونون ممن عناهم الله تعالى بقوله ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ أي تفسيره بما يروق لهم كتفسير وتأويل ابن تيمية للاستواء بالقعود على العرش حيث يقول في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٧٤) : [إذا تبين هذا فقد حدَّث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون أن محمداً رسول الله **يجلسه ربه على العرش معه**] !!
فلعل المصنف يقصد بالصحابة والتابعين والسلف وأئمة الحديث هؤلاء المشبهين المجسمين المرضيين عند ابن تيمية !! ولله في خلقه شؤون !

(١٠٣) وأما أئمة الحديث الذين يعنيهم ممن صنفوا كتباً في العقائد سموها كتب السنة كعبدالله بن أحمد بن حنبل والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي والمروذي وأضرابهم من المجسمة والمشبهة فبئس الأئمة وسحقاً لهم والظاهر أنهم قدوة المصنف في هاتيك المسائل !

(١٠٤) إذا كان معتصماً بما ينقله أمثال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة عن أبيه كقوله : بأن الكرسي موضع القدمين ، وما ولد في الإسلام مولود أشأم من أبي حنيفة ! وأن الله تعالى لما كتب الألواح لسيدنا موسى كتبها وهو مسند ظهره إلى الصخرة كما في سنة ابن أحمد (نص٥٦٨و١٠٤٦) !!

وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيع الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين[١٠٥] .

فبئس ما اعتصم به من تلك الترهات التي جاء بها سلفهم الطالح !!

ولذلك حار الألباني المتناقض من أقوال السلف تلك التي فيها قعود المولى سبحانه وجلوسه على العرش عندهم ! فقال الألباني المتناقض !! في سلسلته الضعيفة (٢/ ٢٥٥/ ٨٦٥) ما نصه : ((**ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائراً أن يفتي بعض العلماء من المتقدّمين بأثر مجاهد هذا كما ذكره الذهبي (ص ١٠٠ – ١٠١ و ١١٧–١١٨) عن غير واحد منهم ، بل غلا بعض المحدثين فقال : لو أنَّ حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يقعد محمداً على العرش واستفتاني لقلت : صدقتَ وبررت !**)) .

وأعلّق على هذا الكلام فأقول : لا داعي للتعجب والحيرة أيها الألباني من هذا !! لأنَّ الحق لا يعرف بالرجال !! وإنما اعرف الحق تعرف أهله !! ولـمَّا كنتم قد اتخذتم تقليد السلف منهجاً تعرفون به الحق من الباطل تحيرتم وتعجبتم واضطربت عقولكم عند تصادم هذا المنهج المتهاوي بنفسه مع بعض الحقائق الثابتة في القرآن والعقل !! فعقلك الآن حائر في مثل هذه المسائل أو المواقف لأنّه كان من الواجب عليك أن لا تتشبَّث بأقوال بعض الرجال التي سمّونها مذهب السلف ! فعقلك الآن في هذا الموقع أثبت أنَّ أقوال (السلف !) و (المحدثين !) المنقولة في ذلك عند الخلال مثلاً في كتاب السنة من ص (٢٠٩–٢٦٠) وعقائدهم في هذه القضية مردودة باطلة ليست بشيء !! ولذلك احترتَ !!

إذن فالمعيار والضابط هو العقل والقرآن اللذان يقرران بأن الله تعالى مُنَزَّه عن الحلول في المكان لا مذهب السلف والمحدثين !! باعتراف الألباني !! فتأملوا !!

وليس للألباني أن يقول بل هي مسألة صحَّ الإسناد أو لم يصح !! فكم من حديث صحَّ فيه الإسناد ولم يقل به سلفكم أو لم تقولوا به أنتم فحكمتم عليه بالشذوذ !! والشاذ هو من رواية الثقة !! وردت السيدة عائشة أشياء وأنكرتها مع صحة السند وبينت أنها خطأ !! وما عرفت بطلانها إلا بالعقل حيث تدبرت قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ فأدركت بعقلها أنَّ ما يقوله سلفكم يقف الشعر عند ذكره !! انظر البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧) .

<u>(١٠٥)</u> وهذا يثبت أن المصنف الأشعري كان حنبلياً !! وقال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى :

وجملة قولنا : أن نُقِرّ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٠٦) ، لا نردّ من ذلك شيئاً(١٠٧) ،

وأولى الناس به الحنابلة ! كما في مقدمة ((تبيين كذب المفتري)) ! وقد الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (١٥/ ٩٠) :

[فقيل إن الأشعري **لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول رددت على الجبائي رددت على المجوس وعلى النصارى ، فقال أبو محمد : لا أدري ما تقول ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد . فخرج وصنف الإبانة فلم يُقْبَلْ منه**] . والقصة مذكورة أيضاً في المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٣٢٩) لابن مفلح الحنبلي .

ثم إن أحمد بن حنبل ليس له مذهب مدون في العقائد كما يقولون ! وإن كان الصواب عند بعض العلماء وضعه في قائمة المجسمة والمشبهة ، وكان ينهى عن علم الكلام وليس له فيما نعلم إلا في مسألة خلق القرآن !! فأين منهجه وفكره وعقائده ؟! أهي المدونة في كتاب ((السنة)) لابنه إن كان كذلك فعلى العقيدة وهذا المنهج العفاء !!

وتخصيص أحمد بن حنبل هنا بالذكر يثير علامات استفهام !! وشك وريبة في القضية !! فهو إما صنف هذا الكتاب تقية من الحنابلة ليتقي أذاهم ولم يقبلوا ذلك منه كما جاء في قصة البربهاري ! وإما أن الكتاب ليس له برمته لأنه منهج حنبلي مجسم ! لا سيما وقد وضعت كتب في تلك الفترات على أئمة وعلماء مثل الحيدة وضعت على الكناني والفقه الأكبر على أبي حنيفة ووصية الشافعي وضعها الحنابلة على لسان الشافعي وهو بريء منها وكتاب الرد على الجهمية ورسالة الإصطخري وضعها الحنابلة على أحمد كما بين ذلك الذهبي في السير (١١/ ٢٨٦) .

وقد ذكرت في التعليق على كتاب العلو للذهبي ما ملخصه أن هذه الإبانة هي من تأليف الباقلاني وأن أسلوبها يشبه أسلوب الباقلاني ؛ والباقلاني كان مرضياً عند الحنابلة ! وله كتاب اسمه كتاب الإبانة وكان الباقلاني معروفاً في عصره باسم أبي بكر الأشعري فحصل في المسألة التباس ! فنسبت الإبانة لأبي الحسن الأشعري !! والقضية برمتها عليها علامات استفهام والله أعلم بحقيقة الحال ! وعلى كل الأحوال فكتاب الإبانة من أوله إلى آخره كتاب مردود لاحتوائه على أفكار مخطئة وهزيلة لا تصمد أمام البحث العلمي سوى أحرف يسيرة كتنزيهه الله تعالى عن الصورة والحد ونحو ذلك !

والآن أرى أن الكتاب من تصنيف الأشعري وأنه كان حنبلياً يعتقد عقيدتهم كما بينت في المقدمة !

(١٠٦) ما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمكن أن يكون شاذاً مردوداً !! فهناك أحاديث ردها مثل ابن تيمية والألباني وغيرهما واعتبروها من الشاذ المردود كحديث مسلم

وأن الله إله واحد فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسـوله ، أرسله بالهدى ودين الحق .

وأن الجنة والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيهـا ، وأن اللـه يبعـث مـن فـي القبور .

وأن اللـه تعـالى مستوٍ علـى عرشـه كمـا قـال ﴿ الرحمـن علـى العـرش استوى ﴾ طه : ٥ .

[على الوجه الذي قالـه ، وبـالمعنى الـذي أراده ، اسـتواء منزهـا عـن المماسـة والاستقرار والتمكن والحلـول والانتقـال ، لا يحملـه العـرش ، بـل العـرش وحملتـه محمولون بلطف قدرته ، ومقهورون في قبضته ، وهو فوق العرش ، وفوق كل شـيء ، إلى تخوم الثرى ، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء ، بل هو رفيع الدرجات عـن العرش ، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى ، وهو مع ذلك قريبٌ من كلِّ موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وهو على كل شيء شهيد][١٠٨] .

(٢٧٨٨) ((**ثم يطوي الأرضين بشماله**)) وهذا يعارض حديث مسلم (١٨٢٧) الآخر : ((**وكلتا يديـه يمين**)) . بين الألباني إنه شاذ في ((تخريـج المصطلحـات الأربعـة الـواردة فـي القـرآن)) رقـم (١) للمودودي ؟!!!

(١٠٧) بل ردت الصحابة أشياء مما رواها غيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبين أن هذه المرويات لم تصح ، ومن ذلك رد السيدة عائشة على رواية ابن عمر عن رسول الله صلـى اللـه عليه وآله وسلم الذي فيها إن الميـت يعـذب ببكـاء أهلـه عليـه !! والقصـة برمتهـا فـي الصحيحيـن (البخاري ١٢٨٨ومسلم ٩٢٩و٩٣٢) .

وأول ما حصل في الأمة في زمن الصحابة في صدر الإسلام نقد المتون قبل أن توجد الأسـانيد وقـد ردت السيدة عائشة رضي الله عنها على بعض الصحابة أحاديث جمعها الحافظ الزركشي فـي كتـاب ((الإجابة في استدراك السيدة عائشة على الصحابة)) فلينظر !!

(١٠٨) ليس هذه الفقرة من الإبانة كما كنا نظن سابقاً ! وهذه زيادة في نسخة الدكتورة فوقية وجدتهـا في بعض النسخ الخطية ، وهي من زيادات بعض النساخ من المنزهة وليسـت مـن كـلام المصنـف ، وهناك زيادات أخرى مثلها أيضاً في هذا الكتاب وقعت من بعض النساخ تخالف الكلام الـذي قبلهـا

وأن له [سبحانه] وجهاً[109] [بلا كيف][110] ، كما قال : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ الرحمن : ٢٧ .

وأن له [سبحانه] يداً[111] بلا كيف[112] ، كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[113] ص : ٧٥ ، وكما قال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[114] المائدة : ٦٤ .

أو الذي بعدها ننبه عليها إن شاء الله تعالى ! فتنبهوا لذلك !

(١٠٩) تقدم الجواب على استدلاله بهذه الآية الكريمة وأنها لا تصلح دليلاً لمدعاه لأن المراد بها ويبقى الله ذو الجلال والإكرام ! وإلا فهم ملزمون بالقول بفناء الأعضاء والصفات الأخرى التي زعموها كاليدين والساق والجنب والأصابع والقدمين وغيرها !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !!

(١١٠) هذه من زيادات النساخ أعني لفظة (سبحانه) ولفظة (بلا كيف) ولا توجد في نسخة ابن عساكر المذكورة في « تبيين كذب المفتري » .

(١١١) في غير نسخة ابن عساكر (يدين) بدل (يداً) .

ونقول : تنزه الله أن يكون له يد أو يدان أو أيدي وتعالى عما يصفون ! لأن هذه أعضاء والله منزه عن ذلك ! وكما قال جل جلاله يدان قال أيدي أيضاً فلماذا أثبتوا له يدين ولم يثبتوا أيدي ؟!!

قال تعالى ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت **أيدينا** أنعاماً فهم لها مالكون ﴾ وقال تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون ﴾ وأيدٍ هنا جمع يد بدليل قوله تعالى **﴿ ألهم أَرْجُلٌ يمشون بها أَمْ لهم أيْدٍ يبطشون بها ﴾** الأعراف : ٧

(١١٢) لا توجد هذه اللفظة في نسخة ابن عساكر المعتمدة ! وكذلك لفظة (سبحانه) .

وهذه اللفظة (بلا كيف) تنقض ما أبرمه وهو وغيره من إثبات الصفتين ! وكيف يثبت لله تعالى صفتين والله تعالى لم يقل : لي صفتان ؟! فهذا من البدع المحدثة في الكلام على ذات الله تعالى ! بل الله تعالى نزه نفسه عن ذلك فقال ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ !!

(١١٣) أي خلقت أنا ولم يخلقه غيري ، وإلا كما تقدم فإن السماء والأنعام خلقها الله بأيديه أو بيديه يعني بقدرته ، واليد تُذْكَر في القرآن وفي لغة العرب ولا يراد بها الجارحة مثل قوله تعالى عن القرآن ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ والقرآن لا يد ولا يدان له !! والمراد بذلك معانٍ مجازية ! ولما كان سبحانه ليس بجسم ولا له شكل ولا هيئة ولا صورة ولا تدركه العقول ولا الأفهام تنزه أن يكون له يدان بمعنى الجارحتين وإنما معناهما بحسب السياق الذي سيق اللفظ فيهما !

(١١٤) هذه كناية عن الكرم وليس فيها أن لله جارحتين تعالى الله عما يصفون ! ولاحظ ههنا أن المصنف لم يذكر الآيات التي فيها ذكر الأيدي لأنها تهدم استدلاله بالآيتين المذكورتين !!

وأن له عيناً [115] بلا كيف ، كما قال سبحانه : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ القمر : ١٤.
وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالاً[116] .

---

(١١٥) في بعض النسخ (عينين) وفي نسخة ابن عساكر (عيناً) ! و (عينين) هو مذهبه كما في ((مقالات الإسلاميين)) كما تقدم قبل قليل . ونسي المصنف أن يُكْمِل فيقول ﴿ ولساناً وشفتين ﴾ ! وبالمناسبة ؛ فإن هؤلاء المجسمة أوردوا أحاديث فيها ذكر اللهاة والأضراس لله تعالى ! تعالى الله عما يقولون ويهذون ! فقد روى أبو عوانة في ((صحيحه)) (١/ ١٢٣و١٣٩) حديث الصورة الطويل من حديث جابر بن عبد الله وفيه : ((فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك ؛ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **حتى يبدوَ لهواته أو أضراسه** فينطلق ربهم فيتبعونه)) !! ومن هنا تعرف مبلغ هؤلاء الرواة وأصحاب المسانيد من الدين والعقل وأنهم من دهور طويلة فقدوا عقولهم وأدمغتهم ومبلغ علمهم صح الإسناد أم لم يصح وفيه علة أم هو خلو من التعليل ! أما العقل الذي يُدْرِك فساد هذه الروايات ولو كانت في الصحاح فهم أبعد الناس من ذلك !! وهذه أمور يدرك بطلانها وفسادها أبسط العوام المحرَّرين فمال بال حفاظ الأحاديث والآثار لا يكادون يفقهون حديثاً ؟!!

تنزه الله عز وجل أن يكون له عينان أو عين كما يدعي المصنف !! بل هو السميع البصير !! من غير جارحة وحدقة وأجفان ، ولا أدري لماذا قال المصنف (عينين) ولم يذكر أنه له (أعين) مع أن النص الذي أورده ليس فيه إلا أعين (بأعيننا) وهذا يدل أنه يرى أن الله تعالى كالإنسان وباقي المخلوقات له عينان كالإنسان الذي قال الله عنه ﴿ ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ﴾ .

ومن قال بأن لله عينين وشبهه بالإنسان وفرّق بينه وبين المسيح الدجال بأن المسيح أعور أي له عينان ولكن يبصر بواحدة منهما والأخرى طافية والله تعالى يبصر بكلتي عينيه فهو مجسم مشبه زائغ القلب فاسد الاعتقاد وإن تظاهر بأنه يذم التشبيه والتجسيم ، فهو لابس له لبوساً لا انفكاك له منه رغم أنفه !

وأما قول الله تعالى ﴿ تجري بأعيننا ﴾ الذي أورده المصنف فجميع العقلاء قالوا بأن معناها بحفظنا وأمرنا ونحو ذلك ! وقد تقدم نقل شيء من ذلك في الحاشية رقم (٩٦) .

(١١٦) لا أعرف لماذا أورد المصنف هذه النقطة وما هو دليله عليها وما هي الفائدة منها ؟! وقال الفخر الرازي في ((شرح أسماء الله الحسنى)) أو المسمى ((لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)) ص (٢١) : ((المشهور من قول أصحابنا رحمهم الله تعالى أن الاسم نفس المسمى وغير التسمية ، وقالت المعتزلة : إنه غير التسمية وغير المسمى واختيار الشيخ الغزالي رضي الله عنه

أن الاسم والمسمى والتسمية أمور ثلاثة متباينة هو الحق عندي .... **وكان اللائق بالعقلاء أن لا يجعلوا هذا الموضع مسألة خلافية**)) .

وقال ابن منظور في ((لسان العرب)) (١٤/ ٤٠٢) : ((وسئل أبو العباس عن الاسم أهو المسمى أو غير المسمى ؟ فقال : قال أبو عبيدة : الاسم هو المسمى ، **وقال سيبويه : الاسم غير المسمى**)) .

إذا عرفت هذا تعرف فساد قول الباقلاني في ((تمهيد الأوائل)) ص (٢٥٨) حيث يقول :

((فصل : واختلف الناس في الاسم هل هو المسمى نفسه أو صفة توجد به أو قول غير المسمى ، والذي يذهب إليه أهل الحق أن الاسم هو المسمى نفسه أو صفة متعلقة به وأنه غير التسمية ، وزعمت المعتزلة مع سائر مَنْ وافقها من أهل الأهواء والبدع أن الاسم غير المسمى وأنه قول المسمى وتسميته لما سماه ، **والذي يدل على صحة ما قلناه أن أهل اللغة الذين هم العمدة قد صرحوا بذلك وقالوا إن الاسم هو المسمى نفسه** وبذلك كان يقول أبو عبيدة وغيره من أهل اللغة)) .

أقول : وهل سيبويه ليس من أهل اللغة يا باقلاني ؟!!

وقد خالف ابنُ تيمية الأشعريَّ في هذه المقالة وقال إن السلف اعتبروا الخوض فيها بدعة وحماقة **!** وهو كذلك فقد قال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ١٨٧) :

[فلهذا يروى عن الشافعى والأصمعى وغيرهما أنه ـ أي الشافعي ـ قال : اذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة ، ولم يعرف أيضاً عن أحد من السلف أنه قال الاسم هو المسمى ؛ بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وأنكره أكثر أهل السنة عليهم ؛ ثم منهم من **أمسك عن القول فى هذه المسألة نفياً وإثباتاً إذ كان كل من الإطلاقين بدعة** كما ذكره الخلال عن إبراهيم الحربى وغيره ؛ وكما ذكره أبو جعفر الطبرى فى الجزء الذى سماه صريح السنة ؛ ذكر مذهب أهل السنة المشهور فى القرآن والرؤية والإيمان والقدر والصحابة وغير ذلك ؛ وذكر أن مسألة اللفظ ليس لأحد من المتقدمين فيها كلام كما قال : لم نجد فيها كلاماً عن صحابى مضى ولا عن تابعى قفا ؛ إلا عمن فى كلامه الشفاء والغنا ؛ ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى ؛ أبو عبدالله أحمد بن حنبل فإنه كان يقول : اللفظية جهمية ويقول من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع **وذكر أن القول فى الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التى لا يُعرف فيها قول لأحد من الأئمة** وأن حسب الإنسان أن ينتهى إلى قوله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ وهذا هو القول بأن الاسم للمسمى وهذا الإطلاق اختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره] .

وبذلك يتبين أن ما حكاه المصنف ههنا من الحماقات !! وليس وراءه إلا مخالفة المعتزلة فيما

وأن لله علماً[117] كما قال : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ النساء : ١٦٦ ، وقوله : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلا بِعِلْمِهِ ﴾[118] فاطر : ١١ .

ونثبت لله قدرة [119] كما قال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فصلت : ١٥ .

ونثبت لله السمع والبصر[120] ، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية

يقولون ولو كان الذي يقولونه حقاً !!

(١١٧) وقال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » ص ٢١١ : [فمن جملة ما لم نذكره تعلقهم بقول الله سبحانه ﴿ أنزله بعلمه ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ وقوله تعالى ﴿ فلنقصن عليهم بعلم ﴾ وهذا يدل على أنه تعالى عالم بعلمه ، ..... ثم يقال لهم لا تعلق لكم بالظاهر لأن هذه الباءات إنما تدخل في الآلة كقولهم ... وأجذب بيدي وكتبت بقلمي وليس العلم بآلة فيما دخل فيه فلا يصح التعلق بظاهر الآية وإذا عدلتم عن الظاهر فلستم بالتأويل أولى منا ، فنحمله على وجه آخر يوافق الدلالة العقلية فنقول : قوله عز وجل ﴿ أنزله بعلمه ﴾ أي : وهو عالم به ، وقوله تعالى ﴿ فلنقصنَّ عليهم بعلم ﴾ أي ونحن عالمون به ، وقوله تعالى ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ أي معلوماته . والعلم قد يستعمل في العالم مرة وفي المعلوم مرة أخرى يقال : جرى هذا بعلمي ؛ أي وأنا عالم به ؛ ويقال : هذا علم أبي حنيفة وعلم الشافعي ، أي : معلومهما] .

(١١٨) كل المسلمين يؤمنون بهذا النص ولا يوجد أي مسلم من أي فرقة لا يؤمن بهذه الآيات وإنما الاختلاف بالمعاني كما تقدم في الحاشية السابقة عن القاضي عبد الجبار رحمه الله تعالى .

(١١٩) في بعض النسخ (ونثبت لله قوة) ؟!

والقوة هي القدرة وإلا فما هو الفرق ؟! أفي الحروف والألفاظ !

قال في « لسان العرب » (١٣/ ٣٩٩) : [وقوله عزوجل ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ **معناه ذو الاقتدار** والشدة] .

وفي « اللسان » (١٣/ ٤٦٢) : [قال أبو منصور : اليمين في كلام العرب على وجوه ؛ يقال : لليد اليمنى : يمين ؛ **واليمين : القوة والقدرة**] . أي أن القوة والقدرة بمعنى واحد .

وفي « القاموس المحيط » في مادة (قدر) : « **والقوة كالقدرة** » .

(١٢٠) كل المسلمين بجميع مذاهبهم وفرقهم يثبتون أن الله تعالى سميع وبصير ! وإنما اللغز في هذا الكلام أن الأشعري زاد بأنهما صفتان متغايرتان قائمتان بذات الله تعالى لا هما عين الذات ولا

والخوارج .

ونقول إن كلام الله غير مخلوق[121] ، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن[122]

غير الذات ! وهذه فلسفة وهرطقة فارغة !! ولما لم يجد دليلاً على مدعاه في ذلك لم يذكر دليلاً عليه ! وإنما اكتفى بالتشنيع والإغارة على المعتزلة والجهمية والخوارج !! وهو تشنيع باطل عاطل ! قال القاضي عبد الجبار في ((شرح الأصول الخمسة)) ص (١٦٧) : [فصل : والغرض به الكلام في كونه تعالى سميعاً بصيراً مدركاً للمدركات ، وقبل الشروع في هذه المسألة لا بد أن نبين حقيقة السميع والبصير والسامع والمبصر والمدرك والفرق بينها ، أما السميع البصير فهو المختص بحال لكونه عليها يصح أن يسمع المسموع ويبصر المبصر .....] .

(١٢١) ما هو دليلك على ذلك ؟ الآية التي ذكرتها لا تدل لمدعاك وإنما يدل ظاهرها على أنه مُحْدَثٌ وليس قديماً مع أن الظاهر غير مراد قطعاً !! بل الذي تفيده نصوص القرآن والسنة أن القرآن مُحْدَث وليس قديماً أي مخلوقاً وذلك في صريح قوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم **محدَثٍ** إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ .

(١٢٢) كلام غير صحيح إطلاقاً ! لأن الله تعالى منزه عن النطق بحرف الكاف والنون المتعاقبين لأن هذا يفيد حدوث الكلام وهو يقول بأنه قديم وغير مخلوق فكيف يتم له ذلك ! كما يقتضي ذلك بأن كلامه حرف وصوت وفيه تقدُّم بعض الحروف وتأخر بعضها على بعض وهذا معنى التعاقب !! والله منزه عن النطق بكلمات وحروف وأصوات ولغات كما هو معلوم !

وأصل هذه المسألة مشتقة من تصور الإله عز وجل !! فمن تصوره جسماً سواء على صورة سيدنا آدم أو على صورة الشاب الأمرد أو تظاهر بأنه ليس على صورة المخلوقين تخيل أنه ينطق ويتلفظ بالحروف والكلمات وأنه يسكت متى شاء ويتكلم متى شاء كما يقوله الشيخ ابن تيمية الحراني وينقله عن سلفه المجسمة والمشبهة ، ومن ذلك أنهم يتخيلون أنه ينطق بكلمة كن كلما أراد أن يخلق شيئاً وهذا اعتقاد فاسد وتصور عاطل بارد !

وأما من اعتقد أن الله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وأنه متعال عن الوهم والخيال والتصور والمثال وأنه فوق مستوى تفكير الملائكة والنبيين والإنس والجان علم أنه منزه عن الجسم والنطق والتلفظ واللغات وغيرها من سمات المحدثات وقال بأن لفظة ﴿ كن فيكون ﴾ عبارة عن إخبارنا بأنه إذا أراد إيجاد شيء فلا بد لذلك الشيء أن يوجد ولا يستطيع أحد أن يمانعنا في ذلك ووافقنا على ذلك الأئمة العلماء المحققون كما سننقله عنهم إن شاء الله تعالى !! فافهم ذلك ولا تغفل عنه !

وربما يوافق المجسمة على القول بظاهر اللفظ أبلـه أحمـق غـير مجسـم لا يـدري مـا يقـول ويـأخذ بالظواهر دون إدراك للمعاني والمفـاهيم وهـذا أخس مـن أن يذكـر فـي زمـرة العقـلاء كالمجسـمة والمشبهة النواصب !

إذن معنى ﴿ أن نقول له كن فيكون ﴾ كما قال القرطبي فـي تفسـيره (٢/ ٩٠) : [أنـه خـبر مـن اللـه تعالى عن نفوذ أوامره في خلقه الموجود] وبعبارة أخرى عند القرطبي هناك ص (٩١) :

[أن ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه ويكونه إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ؛ ووجد مـن غير أن يكون هناك قول يقوله ؛ وإنما هو قضاء يريده فعبر عنه بالقول وإن لم يكن قولاً ، كقـول أبـي النجم : قد قالت الأنساع للبطن إلحقي ....

ولا قول هناك ، وإنما أراد أن الظهر قد لحق بالبطن ، وكقول عمرو بن حممة الدوسي :

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تَطْيارا يقـال لـه قَـعِ

وكما قال الآخر :

قالت جناحاه لساقيه الحقا وَنَجِّيا لحمكما أن يمزاقـا] .

وذكر مثل ذلك الإمام الحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥١٠) . وهو معاصر للأشعري وتوفي قبله بنحو ١٥ سنة .

وقال الفخر الرازي في التفسير (٢/ ٤/ ٢٩) : [اعلم أنه ليس المراد من قوله تعالى ﴿ فإنما يقول لـه كن فيكون ﴾ هو أنه تعالى يقول له ﴿ كن ﴾ فحينئذ يتكون الشيء ؛ فـإن ذلـك فاسـد ؛ والـذي يـدل عليه وجوه ....

المراد من هذه الكلمة سرعة نفاذ قدرة الله تعالى في تكويـن الأشـياء وأنـه تعـالى يخلـق الأشـياء لا بفكرة ومعاناة وتجربة ؛ ونظيره قوله تعالى عند وصف خلق السموات والأرض ﴿ قال لها ولـلأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾ من غير قول] .

وقال الإمام الحافظ أبو حيان الأشعري في ((البحر المحيط)) (١/ ٥٨٥) :

[وظاهر الآية يدل على أن الله تعالى إذا أراد إحداث شيء قال له : كن ؛ تبينه الآية الأخـرى ﴿ إنمـا قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وقوله ﴿ وما أمرنا إلا واحـدة كلمـح بـالبصر ﴾ **لكـن دليل العقل صدَّ عن اعتقاد مخاطبة المعدوم ؛ وصد عن أن يكون الله تعالى محلاً للحوادث ، لأن لفظة كن محدثة ، ومَنْ يعقل مدلول اللفظ وكونه يسبق بعض حروفه بعضاً لم يدخله شك في حدوثه ، وإذا كان كذلك فلا خطاب ولا قول لفظياً ؛ وإنما ذلك عبارة عن سرعة الإيجاد وعدم اعتياصه فهو من مجاز التمثيل] .**

فيكون كما قال ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ النحل : ٤٠ .

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير أو شرّ إلا ما شاء الله[١٢٣] ، وأن الأشياءَ تكون بمشيئة الله ، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله[١٢٤] الله ، ولا نستغني عن الله ، ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل[١٢٥] .

وكلامهم هذا موافق لكلام المعتزلة أيضاً كما في « المغني في أبواب التوحيد والعدل » (٧/ ١٦٥-١٧٥) .

فتبين أن العقلاء مخالفون لأبي الحسن الأشعري في هذه المسألة ! والمجسمة موافقون له وخاصة في قولهم يسكت متى شاء ويتكلم متى شاء ! كما يقوله ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه ! كما في « العقيدة الأصفهانية » ص (٩٦) وفي مواضع أخرى كثيرة .

(١٢٣) وهذا لا يخالف فيه أحد بمعنى أن الله تعالى لا يجري شيء في الكون إلا وقد شاء الله سبحانه ذلك ، ومما شاءه أن يكون العباد مخيرون يفعلون ما يريدون ولو شاء لسلبهم هذا الاختيار ، فما يحاول أن يثبته المصنف ههنا باللف والدوران من الجبر مردود عليه ! وما يحاول أن يبرهن عليه من أن الإنسان مثل الآلة يُسَيَّر (بالريموت كونترول) وأن تفكيره واختياره وعمله مخلوق وعمل لله لا عمل للعبد فهو اعتقاد فاسد صاد عما هو مقرر في كتاب الله تعالى وما هو ملموس في الواقع !

وعلى كل حال فالمسألة سياسية بحتة أحدثها الأمويون الذين صاروا يحتجون على أفعالهم القبيحة من قتل وفجور بمشية الله تعالى لئلا يعترض عليهم أحد مثل إخوانهم وإخوان المصنف المشركين الذين قال الله عنهم ﴿ **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا** ولا حرمنا من شيء **كذلك كذب الذين من قبلهم** حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا **إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون** ﴾ الأنعام : ١٤٨ .

(١٢٤) كلا !! بل يستطيع الإنسان أن يفعل الشيء في أي وقت شاء ! على رغم أنف المصنف وبمشيئة الله تعالى ! لأن الله تعالى هكذا شاء أن يَتَـرَغَّم أنفه ومَكَّننا سبحانه وشاء أن نعمل ما نريد وقت قيامنا بالفعل وقبله وبعده !

وهذا الفكر الانحطاطي الذي يدعو إليه المصنف والذي هو حجة المشركين كما جاء ليس مؤداه إلا دهورة الأوضاع والاتكالية وهبوط الحضارة واندثار الأمم !!

(١٢٥) ومن يقول بأنه يقدر على الخروج من علم الله تعالى ؟ وما معنى هذه العبارة أولاً !! ولننظر كيف ينساق المصنف ويلهث وراء رضى الحنابلة المجسمة !!

وأنه لا خالق إلا الله[126] ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقـدورة[127] لـه ، كمـا

---

(١٢٦) لو كان هذا الكلام حقاً لما قال الله تعالى ﴿ وتخلقون إفكـاً ﴾ ولمـا قـال ﴿ وإذ يخلـق مـن الطين كهيئة الطير ﴾ ولما قال ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ !! نعـم إبـراز الأعيـان مـن العـدم لا يكون إلا لله وأما الأفعال فلا ! لأن الله تعالى أثبت أفعالنا ونسبها إلينا ولم ينسبها إليه تعالى !!

والمصنف يريد جَرَّنَا إلى الجبر بكلامه هذا ! وإلى مسألة الكسب حسب تعريفه المغلوط للكسب !! وهو أننا مُسَيَّرِين (بالريموت كنترول) !

وتقدم أنا نقلنا من شرح المواقف (٣/ ٧١٢) ما نصه : [الفرقـة السادسـة مـن تلـك الفـرق الكبـار : الجبرية ؛ والجبر إسناد فعل العبد إلى الله ؛ والجبريـة متوسـطة أي غـير خالصـة فـي القـول بـالجبر المحض بل متوسطة بين الجبر والتفويض تثبـت للعبـد كسـباً فـي الفعـل بـلا تـأثير فيـه كالأشـعرية والنجارية والضرارية] . مع أن هذه الكتب بنظري كالمواقف وشرحها وأمثالها كتب هرطقة ومنطقـة غير مفيدة ولا تشفي غليلاً !

(١٢٧) غير صحيح !! بل الصحيح أنها مخلوقة للعباد والله قدّر أن يخلقوا أفعالهم ويعملوا ما أرادوا ولذلك هو جل جلاله يحاسبهم عليها ويثيبهم ويعاقبهم بمقتضاها !

ثم اعلموا أنه حتى الاختيار الذهني يقول المصنف وأضرابه أنه مخلوق لله تعالى وليس للعبد فما هو دور العبد إذن ؟! إن دوره عندهم هو كالآلة الغير عاقلة التي يضغط علـى زر الكهربـاء فتتحـرك كمـا أراد صانعها وليس لها دور في الاختيار ! أما في العمل فجعلوا الإنسان أسوأ مــن الآلـة التـي تعمـل فقالوا إن الإنسان لا يعمل وإنما الله هو الذي يعمل أي يخلق الفعل ! والإنسان كالدمية التي يحركها المهرج العارض للألعاب الفكاهية بيده والتحريك الذي فيها هي تحريك يد العارض وليس تحريكـاً من ذاتها !

وهذه هي عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد التي يتظاهر البعض بإنكارهـا وهـو قـائل بهـا مـن حيث لا يدري !! كما أن أبا إسماعيل الأنصاري الهروي المجسم الخبيث صـاحب منـازل السـائرين يقول بها ! أي بالوحدة التي هي حلول واتحاد ! وابن تيمية يبارك له في ذلك ويصفه بشـيخ الإسـلام ويتعذر له المعاذير !! فقد ذكر ابن تيمية أبيـات الهـروي فـي وحـدة الوجـود فـي ((منهـاج السـنة)) (٥/ ٣٤٦محقق) ثم قال ص (٣٥٨) :

[وشيخ الإسلام وإن كان رحمه الله من أشد الناس مباينة للجهمية فـي الصفـات وقـد صنـف كتابـه الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطلة وصنف كتاب تكفير الجهمية وصنف كتاب ذم الكلام وأهلـه وزاد في هذا الباب حتى صار يوصف بالغلو في الإثبات للصفات ؛ **لكنه في القدر على رأي الجهمية**

قال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(١٢٨)] الصافات : ٩٦ ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً ، وهم يخلقون[(١٢٩)] ، كما قال : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ فاطر : ٣ ، وكما قال : ﴿ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ النحل : ٢٠ ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ ﴾ النحل : ١٧ ، وكما قال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ الطور : ٣٥ ، وهذا في كتاب الله كثير[(١٣٠)] .

وأن الله وفَّق المؤمنين لطاعته ، ولطف بهم ، ونظر لهم ، وأصلحهم وهداهم ،

نفاة الحكم والأسباب] فالهروي في رأي ابن تيمية جهمي في نفي الحكم والأسباب ومع ذلك يصفه بشيخ الإسلام ويبجله وهو ضال مارق .

وقد ذم ابن تيمية هذا التوحيد الذي يقول به المصنف ههنا في « منهاج السنة » (٥/ ٣٥٨محقق) فقال : [وأما الفناء في توحيد الربوبية لا في توحيد الإلهية وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفي الأسباب والحكم كما هو قول **القدرية والمجبرة كالجهم بن صفوان ومن تبعه والأشعري وغيره**] !! فتأملوا كيف جعل الأشعري والجهم سيان في هذا ، وبذلك يثبت أن ابن تيمية غير موافق للمصنف في هذا !!

وبهذا يبطل قول الأشعري ههنا عندنا وعند ابن تيمية ولذلك يجب على ابن تيمية ومن يقلده ويتعصب له تحايد الاحتجاج بما في كتاب « الإبانة » هذا !!

(١٢٨) هذه الآية الشريفة ليست دليلاً على أن الأفعال مخلوقة لله تعالى بل هي دليل على أن الأعيان مخلوقة جميعاً لله جل جلاله ! لأن الآية تتحدث عن الأصنام التي ينحتونها من الحجارة وغيرها ! وسياق الآية يبين ذلك فإن الله تعالى يقول : ﴿ قال أتعبدون ما تنحِتون ، والله خلقكم وما تعملون ﴾ فالمعنى أن ما تعملون منه هذه الأصنام من الحجارة والمعادن والخشب وغيرها كله من خلق الله تعالى ! فالكلام ههنا عن الأعيان المعمول منها الأصنام لا على الأفعال !

فبطل الاستدلال !! فهم بتروا سياق الآية ليتم لهم الاستدلال !!

(١٢٩) نعم لا يستطيعون أن يبرزوا أي شيء من العدم إلى الوجود ، وأما أفعالهم فليست أشياء وهم فاعلوها ومحدثوها !!

(١٣٠) وليس في جميع هذه الآيات دلالة على أن أعمالهم وأفعالهم ليست لهم وأنهم ليسوا فاعليها ولا عامليها أو محدثيها وخالقيها بدليل قوله جل جلاله ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ وقوله ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ وغيرها في كتاب الله تعالى كثير وكله يبطل رأي المصنف وما يحاول إثباته !!

وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان ، كما زعم أهل الزيغ والطغيان[131] ، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين[132] . كما قال تبارك وتعالى ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ﴾ الأعراف : ١٧٨ .

وإن الله يقدر أن يصلح الكافرين ، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين[133] ، ولكنّه

---

(١٣١) ما يريد إثباته المصنف هو باطل من القول !

لأنه يفيد أن الكفار كفروا جبراً وقهراً وقسراً وأن الله تعالى قدَّر عليهم ذلك بمعنى أنهم لا يستطيعون فعل خلافه !!

وهذا قول فاسد !! لأن الله تعالى لا يظلم أحداً فكيف يعذب الكفار إذا كان قد جبرهم وقدر عليهم الكفر وهم لا يستطيعون فعل الإيمان ؟!

بل الله تعالى بيَّن أنه بين للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال وتركه مختاراً يستطيع أن يفعل ما يشاء ! فإما شاكراً وإما كفوراً ! وأما الآيات التي فيها ﴿ يضل من يشاء ﴾ فمعناه يضل الله تعالى من شاء أن يكون كافراً وسلك سبيل الغواية والضلال فكلما أنزل الله تعالى آية زاد أولئك بها كفراً وضلالاً لجحدهم أموراً جديدة ، ويدل على ذلك تمام الآية وهي قوله تعالى ﴿ ويهدي إليه من أناب ﴾ أي من رجع إلى الله فأسلم وتاب وتمسك بأمره تعالى . وانظر تفسير الرازي (١٠/١٩/٥٠) .

وقال تعالى ﴿ فإن الله لا يهدي من يضل ﴾ النحل : ٣٧ ، أي من يضل الناس عن الدين الذي هو سبيل الله بدليل قوله تعالى في آية أخرى ﴿ ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾ الحج : ٩ ، وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾ لقمان : ٦ ، وقال تعالى ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ طه : ١٢٣ ، وقال تعالى : ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ الإسراء : ١٥ .

وأما الهدى فهو مثل الكفر والضلال من ناحية أن الله تعالى لم يجبر إنساناً على الهدى أيضاً فمن اهتدى زاده الله هداية وتوفيقاً كما قال سبحانه ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم ﴾ سورة سيدنا محمد : ١٧ .

(١٣٢) والمؤمنون أيضاً لم يرغمهم الله تعالى على الإيمان بل آمنوا بمحض اختيارهم وإرادتهم كما تقدم !

(١٣٣) وهذا لا شك ولا نزاع فيه عند العقلاء !

أراد أن يكونوا كافرين كما علم ؛ وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم[١٣٤] .

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره[١٣٥] ، وإنا نؤمن بقضـاء اللـه وقـدره ، خيره

---

(١٣٤) إنما طبع الله على قلوبهم كما بيَّن لنا في كتابه الكريم بكفرهم لا بسابق علمه بهم ! فقد قـال الله تعالى ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف **بل طبع الله عليها بكفرهم** فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ النساء : ١٥٥ ، وقال الله تعالى ﴿ ذلك بأنهم ءامنـوا **ثم كفروا فطبع على قلوبهم** فهم لا يفقهون ﴾ المنافقون : ٣ .

فتبيَّن من هذه الآيات وغيرها أن الله تعالى طبع على قلوبهـم لكفرهـم لا أنهـم ولـدوا مطبـوع علـى قلوبهم لأن الله تعالى يقول ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمـون شـيئاً ﴾ **لا سـيما وهـم يقولون بأن كل مولود يولد على الفطرة !!**

(١٣٥) مختصر المسألة أن المصنف يريد أن يثبت بأن الإجرام والشرور والأفعال القبيحة التي يقـوم بها الناس هي من الله تعالى وأنه أرغم العبد عليها والعبد لا يستطيع أن يعمل سواها أو خلافها وأنها لا بد أن تحصل وليس بإمكان العبد أن يهرب منها ! وكل ذلك بـاطل مـن القـول وخـلاف للشـريعة والمصنف تابع فيه لشبه وخيالات لا تستقيم عند المحاججة والنظر والاستدلال !!

فهو يريد أن يقول بكلامه هذا أنه إذا قتل إنسان إنساناً مثلاً فله أن يحتج بأن ذلك بقضاء الله وقـدره ! ولو كان يصح هذا لما توعد اللـه القـاتل بـالخلود فـي النـار ! فقـد روى سـيدنا علـي عليـه السـلام والرضوان كما في صحيح مسلم (٧٧١) عن سيدنا رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم أنـه كـان يقول في دعائه الله تعالى : ((والخير كله في يديك **والشر ليس إليك**)) ! وأما بمعنـى أن اللـه تعـالى مكن الإنسان من عمل الشر والخير فهذا صحيح ولكن لا يرضى بالشر مثل الكفر لقوله تعـالى ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ؛ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ الزمر : ٧ .

فما يحاول المصنف أن يثبته من أن الشر من الأفعال هي بتقدير اللـه وقضائـه علـى العبـد بحيـث لا يستطيع أن يفلت منه والعبد كان لا يستطيع فعل خلاف ذلك من الخيرات محاولة فاشلة ! وإلا لماذا أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل الكتب وأمر العلماء أن يبينوا للناس الخير وينهونهـم عن الشر !

وأما قول الله تعالى ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سـيئة يقولـوا هـذه مـن عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ﴾ النسـاء : ٧٨ ، هنـا الحسـنة والسيئة هي المحل والخصب وليس الخير والشر من أفعال العباد ! ولذلك بَيَّـنَ الله تعالى ذلك فـي الآية التي تليها إذ قال : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** وأرسـلناك

وشره ، حلوه ومُرِّهِ ، ونعلم أن ما أخطأنا لـم يكـن ليصيبنـا ، وأن مـا أصابنـا لـم يكـن ليخطئنا[١٣٦] .

للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً ﴾ النساء : ٧٩ وليس بعد هذا البيان بيان ! وأزيد أن الله تعـالى قـال في آية أخرى : ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها **وإن تصبهم سيئة بمـا قدمـت أيديهـم** فـإن الإنسان كفور ﴾ الشورى : ٤٨ .

فيكون معنى الآيتين : ما أصابكم من الرخاء والشدة الخارج عن الإرادة البشرية كـالقحط والخصـب فكله من عند الله تعالى ، لكن السيئات والحسنات ليست كذلك لأنها أعمالكم وأفعـالكم فهـي مـن صنعكم !

ومعنى ما أصـابك مـن حسـنة فمـن اللـه أي الإثابـة عليهـا تفضـلاً ولا يعنـي هـذا أنهـا ليسـت مـن فعل العبد ، وما أصابك من سيئة وعقوبة من الله تعالى فلأجل ما اقترفت يداك من فعالك وأعمـالك هذا معنى الآيتين عندنا !

وفي كل الأحوال محال أن يكون إجرام المجرمين وقتل القاتلين من اللـه وهـو لا يرضـى المعـاصي ولا يأمر بالفحشاء فكيف يقدرها على فاعليها فيفعلونها رغـم أنوفهـم ؟! ومـا فـائدة إرسـال الرسـل وإنزال الكتب والإنذار والتبليغ والعقل ؟!

وإلا لماذا قال جل جلاله بأن السيئة من الإنسان والحسنة من الله مع أن المصنف ومـن يقـول بقولـه يدعون بأن كلاً منهما من الله تعالى ؟!

ومثل هذه الآيات قوله تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ وهذه في الأمور التي لا علاقة لنا بها وهي لا تتكلم عن أفعالنا وأعمالنا ! والآية التـي قبلهـا ﴿ إن تصبـك حسـنة تسـؤهم وإن تصبـك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ﴾ التوبة ٥٠-٥١ . ودليـل العقـل والشـرع صَدَّ أن يكون المقصود بهذه الآيات أن أعمالنا من خير وشر مقدرة علينـا ومقهوريـن علـى فعلهـا لا يمكننا الفرار منها ! لأن الواقع وما نشعر به يخالف هذا والشرع يثيب ويعاقب علـى شـيء نحـن فيـه مخيرون لا مكرهون ولا مجبورون !!

والحاصل أن هذه مسألة سياسية اخترعها الأمويون وصيروها من العقائد ليسوغوا جرائمهم وأفعالهم القبيحة ! وتجدون في المقدمة نقولاً فيها أن أول من اخترع المسألة ظلمة حكام بني أمية !

(١٣٦) هذا مأخوذ من حديث ابن عباس الذي رواه الترمذي (٢٥١٦) عـن ابـن عبـاس قـال : كنـت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمـات ؛ احفـظ اللـه يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ؛ إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ؛ واعلم أن الأمة

وأنا لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرًّا إلا ما شاء اللـه[137] ، كمـا قـال عـز وجـل : ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إلا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ الأعراف : ١٨٨ .

وإنا نلجىء أمورنا إلى الله[138] ، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه سبحانه

لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعـوك إلا بشـيء قـد كتبـه اللـه لـك ولـو اجتمعـوا علـى أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) .

قال الحافظ العقيلي في كتابه الضعفاء (٣/ ٥٤) : [وقد روي هذا الكـلام عـن ابـن عبـاس مـن غـير طريق أسانيدها لينة وبعضها أصلح من بعض] . ومع هذا قال الترمذي : حسن صحيح ، وليس كمـا قال ! ورواه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣و٣٠٣و٣٠٧) .

وقد أخطأ شعيب ومن معه حينما حكموا على هذا الحديث في تخريج المسند (٤/ ٤١٠) بأن إسناده قوي !! فمن أين له القوة والحديث **لم يروَ في الكتب الستة إلا عند الترمذي** وقد ليَّن طرقـه الحفـاظ وهو معاكس للواقع !

وكل هذا لا يفيد العلم ولا يجوز أن يبنى عليه أصل الاعتقاد !!

(١٣٧) هذا أمر متفق عليه فالعباد ينفعون بعضهم البعض ويضرون بعضهم البعض بإذن اللـه وإرادتـه ومشيئته ، فالمسلم ينفع أخاه المسلم بل الكافر ينفع أخاه الكافر وكل ذلك بإذن الله تعالى هكذا شاء وأراد ؛ وهناك أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده ! والمصنف إنما أتى بهذا الكلام وهـذه الآيـة الكريمة ليدعو إلى الجبر لا غير !! ليقول بأنه لا فعل في الكون والوجود إلا لله تعالى وبالتالي نحـن لا فعل لنا !! والله تعالى يقول ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وكل عـاقل يـدرك بأنـه يمكنـه أن ينفع نفسه وأن يضرها !

وظاهر الآية التي أوردها المصنف واحتجَّ بها يدل على أن الإنسان يملك لنفسه الضر والنفع وقد أذن الله تعالى في ذلك ، فلو كان كما يحاول المصنف إثباته لمـا صـح دخـول الاسـتثناء علـى الكـلام ! ومراد الآية الكريمة أن بعض الأمور الغير اختيارية المقدرة تصيب الإنسان كلونه وطولـه وعاهـة فيـه مثلاً أو سلامته أو ولادته في عائلة فقيرة أو غنية مثلاً أو غير ذلك !

(١٣٨) كل مؤمن يرجىء أمره إلى الله لكنه لا يتواكل ويجلس في بيته ويقـول لا أريـد أن أتعلـم ولا أريد أن أعمل ولا أريد أن آكل وأشرب حتى يأتي رزقي أمامي ! قال تعـالى ﴿ فانتشـروا فـي الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكـم تفلحـون ﴾ الجمعـة : ١٠ ، وقـال تعـالى : ﴿ ليـس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ البقرة : ١٩٨ .

وتعالى[١٣٩] ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن مَن قال بخلق القرآن كان كافراً[١٤٠] .

وندين أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار[١٤١] يوم القيامة ، كما يُرى القمر ليلة

---

(١٣٩) وهذا صحيح لا غبار عليه ولكن ليس بمعنى الجبر الذي يريده المصنف .

(١٤٠) القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو إما ألفاظ وحروف منطوقة أو كلمات وحروف مرسومة ومكتوبة ! أو ما في صدور الحفظة وليسموه ماشاءوا وكل ذلك غير الله تعالى وليس هو الله تعالى ولا جزء منه (لاستحالة الجزئية عليه سبحانه) وكل ذلك مخلوق محدث ومن قال بأنه قديم فهو المختل المكابر !! ومن جرأته بالباطل أنه يكفر من يقول بخلق القرآن ! وكل المسلمين بجميع فرقهم ومذاهبهم يقولون بخلق القرآن من أشاعرة وماتريدية وإمامية وزيدية وإباضية ومعتزلة ولا يقول بقوله إلا أحمد بن حنبل ومعه شرذمة من المحدثين الذين لا يعقلون ما يقولون !! حتى أن ابن تيمية يقول في منهاج السنة (٢/ ٣٧١) : ((والكلام الذي كلم به موسى هو حادث وإن كان نوع كلامه قديماً لم يزل)) !!

ويقول الأشعري في ((مقالات الإسلاميين)) (١/ ٣٤٦) في فصل سماه (هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة) ما نصه : ((ويقولون : إن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ، لا يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ؛ ولا يقال : غير مخلوق)) .

قلت : وهذا خلاف قول البخاري الذي قال لفظي بالقرآن مخلوق . كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/ ١٩١) حيث قال في ترجمة البخاري : [**سمع منه أبي وأبو زُرْعة ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق**] .

(١٤١) ونحن وجماعة من أئمة أهل السنة والزيدية والإمامية والمعتزلة وأئمة أهل البيت ندين الله تعالى بخلاف ذلك ! فنرى أن الله تعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة !! ولنا رسالة كاملة في هذا الموضوع سنذكر ههنا فصولاً منها عند كلام المصنف فيما بعد على مسألة الرؤية وتوسعه فيها ، ومن أدلتنا قول الله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ وهذا عام في الدنيا والآخرة ! وجميع الأحاديث الواردة في تجويز الرؤية أو ثبوتها لا يتم الاستدلال بها كما بينت ذلك في تلك الرسالة مفصلاً !!

بقي أن نقول بأن ابن تيمية نقل أن هناك من السلف الصالح من أنكر الرؤية !! قال ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢٠/ ٣٣-٣٤) : [**والخطأ المغفور في الاجتهاد هو في نوعي المسائل**

البـدر[١٤٢] ، يـراه المؤمنـون كمـا جـاءت الروايـات عـن رسـول اللـه صلـى الله عليه وسلم[١٤٣] .

ونقول : إن الكافرين إذا رآه المؤمنون في الجنة عنه محجوبـون[١٤٤] ، كمـا قـال سبحانه : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين : ١٥ ، وإن موسى صلى الله عليه وسلم سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلـى للجبـل فجعلـه دكاً ، وأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا[١٤٥] .

الخبرية والعلمية كمن ..... اعتقد أن الله لا يرى ....وكما نقل عن بعض التـابعين أن اللـه لا يـرى ، وفسروا قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ بأنها تنتظر ثواب ربها كما نُقل عن مجاهد وأبي صالح] .

قلت : أبو صالح هو السمان تلميذ أبي هريرة وغيره .

(١٤٢) في هذا تشبيه رؤية الله تعالى برؤية البدر وما زعمه بعضهم من أن المراد بذلك التشـبيه عـدم الشك في الرؤية مردود لأنهم يرونه كما جاء في حديث الصورة الطويل الباطل ولا يعرفونه أولاً لأنه بغير صورته التي يعرفون ، وعندما يأتيهم في المرة الثانية بصورته التي يعرفون لا يعرفونه أيضاً حتـى يكشف لهم عن ساقه !! تعالى الله عن هذا الهراء علواً كبيراً !!

(١٤٣) ولم تصح تلك الروايات كلها وبعضها لا دلالة فيه كما بينت في رسالة الرؤية .

(١٤٤) ذكر الإمام الغزالي في المستصفى (٢/ ١٩٢) أن قوله تعـالى ﴿ كـلا إنهـم عـن ربهـم يومئـذ لمحجوبون ﴾ لا يدل على ثبوت الرؤية على المختار عنده وعند جماعة مـن حـذاق الفقهـاء خلافـاً للأشعري وهذا نصه هناك :

[وإليه ذهب الأشعري إذ احتج في إثبات خبر الواحد بقوله تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبـأ فتبينـوا ﴾ قال : هذا يدل على أن العدل بخلافه ، واحتجَّ في مسألة الرؤية بقوله تعالى **﴿ كلا إنهـم عـن ربهـم يومئذ لمحجوبون ﴾** قال : وهذا يدل علـى أن المؤمنيـن بخلافهـم ، **وقـال جماعـة مـن المتكلميـن ومنهم القاضي وجماعة من حذاق الفقهاء ومنهم ابن سريج إن ذلك لا دلالة له وهو الأوجه عندنـا ،** ويدل عليه مسالك ....] . فتمتعوا !!

(١٤٥) بل إن قول الله تعالى له ﴿ لن تراني ﴾ يفيد العموم ولا مخصص معتبر !! وقد نقل ابن تيمية كما تقدَّم قبل قليل عن بعض السلف من أهل السنة أنهم ينفون الرؤية يوم القيامة ! منهم مجاهد وأبو صالح السمان ! وفي رسالتي في الرؤية أسماء غيرهم من علماء أهل السنة ورواة الصحاح مع السيدة

ونرى أن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه ما لم يستحله[١٤٦] ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر ، كما دانت بذلك الخوارج[١٤٧] وزعمت أنهم بذلك كافرون .

ونقول : إن مَن عمل كبيرة من الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلاً لها ، كان كافراً إذا كان غير معتقد تحريمها .

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل الإسلام بإيمان[١٤٨] .

ونذينه بأنه يقلب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه[١٤٩] ، وأنه سبحانه

عائشة رضي الله عنها فليراجعها من شاء الاستزادة !

(١٤٦) وعلى هذه القاعدة صار المتمسلفون يقولون لا يجوز تكفير ابن تيمية ومن يقول بقوله لهذه القاعدة ! وأجازوا لأنفسهم تكفير غيرهم مع أن ابن تيمية يعتقد أشياء لا تعتبر ذنوباً فحسب إنما هي جحد معلوم من الدين بالضرورة ! ويستحلون لأنفسهم تكفير مخالفهم في العقائد ومن يتوسل ويستغيث بالأنبياء والأولياء وغير ذلك مما لا يوافق أهواءهم !!

(١٤٧) من شب وشاب وهب ودب على هذه القبائح ولم يوجه وجهه للقبلة ولم يتقرب إلى الله وإن قال لا إله إلا الله فهو مارق مخلد في نار جهنم لقوله تعالى ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وإعراضه عن الشرع بالكلية واقترافه الزنا والسرقة وشرب الخمر كما مثَّل المصنف دال على إعراضه عن الإسلام وأنه أدار للحق قفاه ! ففي أي صنف يصنف أمثال هؤلاء ؟!

وقد جاء الأمويون وعلماء أهل السنة الذين حولهم يتزلفون لهم في هذه المسألة بالضلال المبين !! ففي سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٠-١٥١) والبداية والنهاية (٩/ ٢٣٢) : [قال ابن وهب : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد قال : لما توفي عمر بن عبد العزيز قال يزيد (ابن عبد الملك) سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز ، **فأتيَ بأربعين شيخاً شهدوا أن الخلفاء ما عليهم حساب ولا عذاب**] فتأملوا في السياسات الغابرة التي تأتي منها الأفكار الهدامة !!

(١٤٨) قال تعالى ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ .

(١٤٩) وهذه خرافة من الخرافات التي جاء بها المصنف والمجسمة والمشبهة وأرادوا بها إثبات أصابع لله تعالى عما يقولون ! وحديث : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفُه حيث يشاء » هو من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وهو أكبر راوٍ

يضع السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف(١٥٠) .

للإسرائيليات ! وقد سبق تخريج الحديث في التعليق رقم (٤٠) فراجعه .

ولئن أوَّلنا الحديث على أن المراد به ليس إثبات أصابع وإنما كناية على أن القلوب بيد الله بمعنى أنها تحت تصرفه وتدبيره فيصرفها إلى الإيمان والطاعات أو يصرفها إلى الكفر والمعاصي فهذه أيضاً مشكلة لأن الله تعالى لا يكره الناس لا على الإيمان ولا على الكفر قال تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ وقال تعالى ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ !

فظاهر الكلام أنه من الإسرائيليات لأن فيه مادة الجبر وعدم الاختيار !

على أنه يتعلق الكلام بهذا الحديث ومعناه بعدة آيات كريمة مثل قوله تعالى ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ﴾ الأنفال : ٧٠ ، ويعارضه في الظاهر لا في الحقيقة قوله تعالى ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يَصَّعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ الأنعام :١٢٥ ، وقوله تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ الحجرات : ٧ . ﴿ يحول بين المرء وقلبه ﴾ وفي كلا الآيتين يستحيل أن يخلق الله في القلوب ويصرفها قسراً وقهراً إلى الإيمان أو الكفر ، وسيأتي الكلام عليها مفصَّلاً !

(١٥٠) هذه الرواية لم تأت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما أتت عن يهودي حكى حكاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فردَّ عليه النبي ــ وهو يضحك من خفة عقل هذا المجسم ـ بقول الله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وهذا يعني إنكاره على كلام ذلك اليهودي ! وقد زاد بعض الرواة لفظ (تعجباً وتصديقاً) وهذه من صنع بعض الرواة البرسمين !

وقد ذكر البخاري في صحيحه (٧٤١٤) ومسلم (٢٧٨٦) وأحمد ابن حنبل (١/ ٤٢٩) أن هذه اللفظة (وتصديقاً) من زيادات بعض الرواة ! كما أوضح ذلك الدارقطني في « العلل » (٥/ ١٧٧) وهي كذلك ؛ فالحديث من طريق سفيان الثوري عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود ليس فيه لفظة (وتصديقاً) [البخاري ٧٤١٤)] ؛ وجميع مَن رواه عن الأعمش مثل أبي عوانة وحفص بن غياث وسفيان ليست فيه هذه اللفظة وإنما هي من رواية منصور عن إبراهيم كما في البخاري (٧٥١٣) و (٤٨١١) وتصريح البخاري وأحمد فيما تقدم وهم الأعلم بما حصل فيها أن الزيادة من فضيل بن عياض .

فتحصل من ذلك كله أن طريق الأعمش عن إبراهيم ليس فيها هذه اللفظة ، وطريق منصور عن

وندين بأن لا نُنْزل أحداً من الموحدين المتمسكين بالإيمان جنـة ولا نـاراً[١٥١] ، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ونرجو الجنة للمذنبيـن[١٥٢] ،

إبراهيم فيها اختلاف ؛ في بعضها وجود هذه اللفظة وفي البعض الآخر كرواية سفيان عـن منصـور لا وجود لها .

ورواية علقمة عن ابن مسعود (البخاري ٤٧١٥و٧٤٥١) كذلك ليس فيها ذكر اللفظـة ، وروايـة ابـن عبـاس للقصـة عنـد الـترمذي (٣٢٤٠) ليـس فيهـا لا ضحـك ولا تصديقـاً وقـال الـترمذي : ((حسن صحيح)) .

ولذلك صرَّح أهل العلم بأن هذه اللفظة (تصديقاً) ليست بشـيء فقـد قـال الحـافظ ابـن حجـر فـي ((الفتح)) (١٣/ ٣٩٨) نقلاً عن الإمام القرطبي :

((وأمَّا من زاد (وتصديقاً له) فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأنَّ النبـي صلـى الله عليه وآله وسلم لا يُصَدِّق المحال وهذه الأوصاف في حق الله محال ..)) .

وفي ((الفتح)) (١٣/ ٣٩٨) : ((قال الخطابي لم يقع ذكر الإصبع في القرآن ولا في حديث مقطـوع به ، وقد تقرر أنَّ اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع .... ولعـلَّ ذكـر الأصـابع من تخليط اليهودي ، فإنَّ اليهود مشبهة وفيما يدَّعونه من التوراة ألفاظ تدخـل فـي بـاب التشـبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين ، وأما ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم فيحتمل الرضا والإنكار ، وأما قـول الـراوي (تصديقـاً لـه) فظـنٌ منـه وحسـبان ، وقـد جـاء الحديـث مـن عـدة طـرق ليس فيها هذه الزيادة)) .

وراجع المسألة في كتاب علو الذهبي الذي حققناه فـي مقدمتـه ص (٤٨-٥٢) فهنـاك أفضنـا القـول على هذا الحديث اليهودي .

(١٥١) لماذا أيها المصنف ؟! فقـد روى البخـاري (٣/ ٢٢٨) ومسـلم (٢/ ٦٥٥) عـن سـيدنا أنـس حديثاً يقول فيه : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((وجبت)) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : ((وجبت)) فقال عمر بن الخطاب : ما وجبت ؟ قال : ((هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار أنتم شهداء الله فـي الأرض)) مـع أننـا نقـول بشـذوذ هـذا الحديـث كمـا بينـا المسـألة فـي ((صحيـح شـرح الطحاوية)) ص (٤٦١) .

(١٥٢) بل ينبغي أن تعلم بأن النار جزاء المذنبين لقوله تعالى ﴿ بلى مـن كسـب سـيئة وأحـاطت بـه خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ !! وكان اللائق بـالمصنف أن يقـول ونرجـو الجنـة

ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين[١٥٣] ، أجارنا الله منها بشفاعة سيدنا وحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقول : إن الله عز وجل يخرج قوماً من النار بعد أن امتحشوا[١٥٤] بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ، تصديقاً لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونؤمن بعذاب القبر[١٥٥] ونقول أن الحوض والميزان حق[١٥٦] ، والصراط حقّ[١٥٧] والبعث بعد الموت حقّ وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف[١٥٨] ،

للطائعين طالما أنه لا ينزل أحداً من المؤمنين الجنة إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم !!

(١٥٣) بل ينبغي أن تخاف على الطائعين من المؤمنين لا الفجرة والمذنبين !!

(١٥٤) هذا لا يصح فهو من جملة الإسرائيليات وهو جزء من حديث الصورة والرؤية الطويل الذي في الصحيحين وقد حكمنا عليه بأنه من الشاذ المردود ! انظر البخاري (٧٤٤٠) ومسلم (١٨٢) وهو من حديث أبي هريرة وأبي سعيد المعروف ولا يعول على ما فيه !

(١٥٥) والكل يؤمنون بعذاب القبر وما يحاول أن يثبته المصنف من أن المعتزلة لا يؤمنون بعذاب القبر غير صحيح ، انظر « شرح الأصول الخمسة » للقاضي عبد الجبار ص (٧٣٠) .

(١٥٦) لكن رب العالمين ذكر موازين ولم يقتصر على ميزان واحد ! ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ وقد اختلف السلف في الميزان فبعضهم يقول بأنه آله للوزن وبعضهم يقول هو كناية عن العدل التام ! قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣/٤٣٨) : « **وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء** » .

وقال الحافظ أبوحيان في تفسيره « البحر المحيط » (٥/١٤) : « واختلفوا هل ثَمَّ وزنٌ وميزان حقيقة ؟! أم ذلك عبارة عن إظهار العدل التام والقضاء السوي والحساب المحرر ؟ فذهبت المعتزلة إلى إنكار الميزان **وتقدمهم إلى هذا مجاهد والضحاك والأعمش وغيرهم** ، وعبَّر بالثقل عن كثرة الحسنات وبالخفة عن قِلَّتها » . فتأمَّل جيداً في هذا الإختلاف العقائدي عند السلف !! لتدرك أن سلف الأمة لم يحصروا الميزان بالآلة التي تنصب !

(١٥٧) ذكرنا في صحيح شرح الطحاوية ص (٥٣٩) مطولاً أنه لا يتم الاستدلال على وجود جسر منصوب بين حافتي جهنم ، وأن الصراط هو كناية عن الإسلام لقوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أي ثبتنا على الإسلام ؛ وقوله تعالى ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبوه ولا تتبعوا السبل

ويحاسب المؤمنين[159] .

وأن الإيمانَ قول وعمل ، يزيد وينقص[160] .

ونُسَلِّم بالروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[161] .

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه[162] صلى الله عليه

فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ! والحق أنه لا وجود لهذا الجسر كما بيناه هناك مفصلاً مدللاً .

(158) أما الأهوال المحكية فلا تثبت للمؤمنين لقوله تعالى ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ .

(159) قال تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ الزمر : ١٠ ، وقال تعالى ﴿ ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ غافر : ٤٠ ، وجاء في البخاري (٦٤٧٢) ومسلم (٢١٨) أنه يدخل الجنة سبعون ألفاً من هذه الأمة بغير حساب .

(160) اختلف في هذا العلماء من قبل زمن الأشعري فالإمام أبو حنيفة يقول : لا يزيد ولا ينقص ، وغيره يقول : بل يزيد وينقص . ولم يأت في القرآن ذكر للنقص بل المذكور فيه الزيادة ومعناها أنه كلما نزلت آيات جديدة آمنوا بها فزاد إيمانهم إلى أن تم نزوله فوقفت الزيادة حينئذ ! وعلى كل حال فالمسألة تفصيلها في صحيح شرح الطحاوية ص (٩٦) وتصوير قول المحدثين في قولهم لا يزيد ولا ينقص بأنه إجماع ومعصوم وأنه الحق الذي لا مرية فيه تصوير مخطىء وغير صواب !!

(161) صحة السند وعدالة الرواة لا تكفي في الحكم على الحديث بالصحة والأخذ به ! وخبر الواحد لا تبنى عليه الاعتقادات ! وقد نبه الغزالي في المستصفى (٢/ ١٩٢) بأن إثبات خبر الواحد بمثل قوله تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ ﴾ واحتجاج الأشعري به لا دلالة فيه وغير متجه ! ومذهب أهل الحق من عدم إفادة خبر الواحد للعلم وعدم الاحتجاج به في العقائد كأصل معروف ومشهور ! وهذه الروايات التي هي روايات الآحاد بعضها يحوي كوارث وطامات تخالف القرآن أو بقية الروايات الصحيحة الأخرى ! فهذا الإطلاق ليس صحيحاً ! وهذه طريقة مجسمة الحنابلة والمحدثين في الأخذ بكل صحيح وشاذ مردود !

(162) هذا الإطلاق خطأ وليس بصواب البتة ! فإن الله تعالى ذم من أولئك السلف الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بنوا مسجد الضرار إذ قال سبحانه ﴿ والذين اتخذوا مسجداً

وسلم ، ونثنى عليهم بما أثنى الله به عليهم[١٦٣] ونتولاهم أجمعين[١٦٤] .

ونقول : إن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضـى اللـه عنـه

ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبـل وليحلفـن إن أردنـا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ التوبة : ١٠٧؛ وعن أبي هريرة قال رسول الله صلـى اللـه عليـه وآله وسلم : ((يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض . فأقول : يا رب أصحـابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعـدك ، إنهـم ارتـدوا علـى أدبـارهم القهقـرى)) رواه البخـاري (٦٥٨٥) ومسلم (٢٤٩) بألفاظ متعددة . وقال عليه الصـلاة والسـلام : ((فـي أصحـابي اثنـا عشـر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ...)) رواه مسلم (٢٧٧٩) .

والمقصود بعبارة المصنف ههنا هو الذب عـن معاويـة وحزبـه البـاغين فـالمصنف وأمثالـه يدافعـون وينافحون عنه ! وقد حكم في معاوية وطائفته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينمـا قـال عنـه ((عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النـار)) رواه البخـاري (٤٤٧) و (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٦) بألفاظ عدة فهم يدعون إلى النار ونحـن لا نحبهـم ولا نتولاهـم ، وقـال النبـي فـي معاوية : ((لا أشبع الله بطنه)) رواه مسلم (٢٦٠٤) ، وكان معاوية يسب سـيدنا علـي عليـه السـلام ويأمر بسبه كما في صحيح مسلم (٢٤٠٤) وثبت أن النبي قال : ((من سب عليـاً فقـد سـبني)) رواه أحمد (٦/ ٣٢٣) وهو صحيح حتى عند الألباني وشعيب الناصبيين الذين صححاه ! وشـرب معاويـة للخمر ثابت في مسند أحمد (٥/ ٣٤٧) وقال الحـافظ الهيثمـي فـي ((مجمـع الزوائـد)) (٥/ ٤٢) : ((رجاله رجال الصحيح)) .

(١٦٣) أثنى على مجموعهم لا على كل فرد منهم ، كما نثني علـى مجمـوع المسـلمين ولا نعنـي أن كل فرد منهم من الخيار البررة وقد بين القرآن ذلك كما بينته السنة النبوية الصحيحة ؛ فقـد قـال اللـه تعالى ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا علـى النفـاق لا تعلمهـم نحـن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم ﴾ وهؤلاء من المجتمع الذي كان في عهد النبـي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يقال عنه مجتمع الصحابة ؛ فالصحابة منهم الصالح ومنهم الطـالح ؛ وفي الطالحين يقول سيدنا رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : ((**في أصحـابي اثنـا عشـر منافقاً** ....)) رواه مسلم (٢٧٧٩) وقال عليه الصـلاة والسـلام : ((لـيردن علـي **نـاس مـن أصحـابي** الحوض حتى عرفتهم اختلجـوا دونـي فـأقول أصحـابي فيقـول لا تـدري مـا أحدثـوا بعـدك)) رواه البخاري (٦٥٨٢) ومسلم (٢٣٠٤) .

(١٦٤) نتيجة غير صحيحة لما قدمناه !

وأن الله تعالى أعز به الدين ، وأظهره على المرتدين ، وقدَّمه المسلمون للإمامة ، كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة ، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم عثمان بن عفان نضَّر الله وجهه قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة[١٦٥] .

ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ونكف عما شجر بينهم[١٦٦] . وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون ، مهديون فضلاء ، لا يوازيهم في الفضل غيرهم .

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا[١٦٧] ،

---

(١٦٥) ولماذا لم يكن معاوية الصحابي منهم ؟ أي من أولئك الخلفاء الراشدين المهديين مع أنه كما يقولون كاتب الوحي وخال المؤمنين وغير ذلك من الترهات التي لا تدل على شيء ؟ وقد أجمعت الأمة على عدم تسميته بالخليفة الراشد وعدم عده في الخلفاء الراشدين ؟ لطغيانه وظلمه !! وقتله المؤمنين بغير حق إلى غير ذلك مما هو معلوم ومسطور !

(١٦٦) لا يجوز الكف عما شجر بينهم شرعاً لأن الباغي ينبغي أن نحاربه ونقف ضده لا أن نكف عنه كما قال تعالى ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سيدنا عمار الذي قاتل مع سيدنا علي عليه السلام « عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » البخاري (٤٤٧) ؛ فهل نكف عمن يدعو إلى النار بالنص الصريح الصحيح ونقول بأنه مجتهد مأجور ؟

(١٦٧) النازل إلى السماء هو ملك من الملائكة وليس رب العزة جل جلاله المنزه عن المكان ! كما جاء في روايات صحيحة وطرق ثابتة متعددة كما بين ذلك الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٣/ ٣٠) ، وقد روى النسائي في « السنن الكبرى » (٦/ ١٢٤) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً : « إنَّ الله تعالى يمهل حتى يمضي شطر الليل **ثم يأمر منادياً أن ينادي** يقول : هل من داع فيستجاب له .... » . وإسناده صحيح .

ورواه أحمد (٤/ ٢٢و٢١٧) والطبراني (٩/ ٥١) والبزار (٤/ ٤٤كشف الأستار) من حديث عثمان بن أبي العاص بأسانيد صحيحة كذلك أنه ينادي منادٍ . هذا رأي المتأولين المثبتين لحديث النزول . وكل ذلك ينادي على عدم اطلاع المصنف على هذه الأحاديث فأحرى به أن لا يصنف فيما لا يعرفه

وأن الرب يقول : « هل من سائل ، هل من مستغفر » ، وسائر ما نقلوه و أثبتوه[١٦٨] خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل[١٦٩] . ونعوّل فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة

ولا يحسنه ويجاري فيه المجسمة والمشبهة .

وخلاصة التحقيق عندنا في حديث النزول أنه من الإسرائيليات المروية عن كعب الأحبار صُيِّرَ فيما بعد حديثاً ! وهو عن كعب في حلية الأولياء (٦/ ٤) .

وروى الخلال في سنته ص (٢٥٧) برقم (٣٠٩) عن عبدالله بن سلام الإسرائيلي : « إذا كان يوم القيامة ينزل الجبار عن عرشه ، وقدميه على الكرسي فيقعد محمداً على الكرسي » . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد أضاع الخلال صفحات كثيرة وهي من ص (٢٠٩-٢٦٠) لإثبات هذه الخرافة وهي إجلاس سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على العرش مع الله سبحانه ! تعالى الله عن ذلك الهراء اليهودي .

(١٦٨) بل إن تلك الروايات الباطلة المردودة التي رواها الثقات ككونه تعالى في السماء أو يضع قدمه في النار أو نحوها روايات لا يلتفت إليها وإن كانت في الصحاح ! ولا أدل على ذلك من تأويل من صححها وقبلها من المعتدلين من العلماء كما في فتح الباري وغيره . فليس وراء كلام المصنف إلا الدعوة إلى الركض وراء هذه الروايات التي تسوق إلى التشبيه والتجسيم والمصنف ههنا يأخذ بظاهرها ويروج لها !!

واحتجاج المصنف وأضرابه بأهل النقل وأهل الحديث والسلف والإرهاب بهم وبأقوالهم لن يخيفنا أو يصرفنا عن الحق الذي نحن عليه ! وهؤلاء النقلة الذين يروون هذه الترهات الإسرائيلية ويروِّجون لها ويدعون لاعتقاد ظواهرها من أغبى الخليقة فلا أقل عقلاً من هؤلاء الرواة وإلا فلو كانت لهم ألباب يعقلون بها لما أوردوا هذه الروايات الظاهرة في التشبيه والتجسيم التي يتنزه سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم أن ينطق بها ! وقد أورد البخاري في كتابه في حديث الإسراء حديث شريك ابن أبي نمر الذي فيه إثبات المكان لله تعالى فاستشنعه الحفاظ وردوه ! كما ذكر ذلك الحافظ في « الفتح » (١٣/ ٤٨٣/ ٧٥١٧) .

(١٦٩) تسميته هو من يسميهم بالنقلة وأهل الحديث لمخالفيهم بأنهم أهل الزيغ والتضليل لن يغير من الحقيقة شيئاً ! وذلك لأن أهل الزيغ في الحقيقة هم أولئك المحدثون الذين يصنفون كتباً يسمونها بكتب السنة وقد ذكرهم العلامة المحدث الكوثري رحمه الله تعالى في مقدمة « الأسماء والصفات » وبين حالهم ومبلغ علمهم وكيف يعيثون في عقائد المسلمين بالزيغ والتضليل ! وقد وصل الحال بهم أن جعلوا الله تعالى بصورة شاب أمرد في روضة خضراء وفي رجليه نعلان من

نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإجماع المسلمين[١٧٠] ، وما كان في معناه[١٧١] ، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها[١٧٢] ، ولا نقول على الله مالا نعلم[١٧٣] . ونقول : إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة[١٧٤] ، كما قال سبحانه : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً

ذهب وصحح روايتهم هذه ابن تيمية في ((التأسيس)) (٣/ ٢٤١) مخطوط !! فكان على أهل عصر المصنف أن يدعو له بالشفاء من الاغترار بأقوال أهل الزيغ والضلال من النقلة وأهل الحديث !

(١٧٠) نعم إجماع المسلمين وليس إجماع أهل السنة والجماعة ! وإجماع المسلمين هو اتفاق المعتزلة والزيدية والإمامية والإباضية وعقلاء أهل السنة والجماعة ! ويخرج بذلك أمثال المصنف وابن تيمية الذي يجوز استقرار الله تعالى على ظهر بعوضة تقليداً لإمامه عثمان الدارمي المجسم !! وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)) ولم يقل : لا يجتمع أهل السنة على ضلالة !

(١٧١) ربما يقصد المصنف أن ما في معناه هو قول أهل الحديث أو أحمد ابن حنبل وتلامذته ! والتحقيق أن قول هؤلاء ليس بإجماع وبالتالي ليس حجة من الحجج !

(١٧٢) أما ما أذن لكم أن تبتدعوا فيه فالظاهر من كلامكم أنه يجوز ! ومن ذلك قولكم بهذه الأفكار المردودة في هذا الكتاب ! ويا ليته بين لنا ما أُذن لهم وما لم يؤذن حتى نعرفه ونفهمه !

(١٧٣) والله إن المصنف يقول على الله تعالى ما لم يعلم ولا أدل على ذلك من قوله بالمجيء ! والله منزه عنه ! وكذا قوله بغيره من تلك الطامات التي سطرها في هذه الكتاب وستتكلم على كل منها في موضعه ومكانه والله المستعان !

(١٧٤) الله تعالى لا يجيء ولا يذهب وإنما هذا مجاز ! وقد أول هذه الآية أحمد بن حنبل الذي يدعي المصنف في أول الكتاب بأنه يتخذه إماماً ويقتدي بأقواله ! فقد روى الحافظ البيهقي في كتابه ((مناقب الإمام أحمد)) وهو كتاب مخطوط ومنه نقل الحافظ ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (١٠/ ٣٢٧) فقال : ((روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السمّاك عن حنبل أن أحمد بن حنبل **تأوّل** قول الله تعالى : ﴿ **وجاء ربُّك** ﴾ أنه : جاء ثوابه .. ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لا غبار عليه)) . انتهى كلام ابن كثير .

فمعنى ذلك أن السلف والنقلة متخبطين في هذا الأمر ومن خالف أحمد بن حنبل في هذه المسألة لم يعرف أن دليل العقل المبني على النصوص الشرعية أدرك أن ظاهر الآية غير مراد لأن الله تعالى ليس جسماً ينتقل من مكان لآخر فياتي ويذهب وينطلق ويهرول ويمشي ! تعالى الله عن خيالات النَّقَلة وتافه عقولهم القاصرة علواً كبيراً ؛ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون !

صَفّــاً ﴾ الفجـر : ٢٢ . وأن اللــه تعــالى يَقْـــرُبُ مـــن عبـــاده كيـــف شـــاء بلا كيف[(١٧٥)] ، كما قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِـنْ حَبْـلِ الْوَرِيـدِ ﴾ ق : ١٦ ، وكمـا قـال سبحانه : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[(١٧٦)] النجم :٨-٩ .

ومن ديننا : أن نصليَ الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل برّ وفاجر[(١٧٧)] ، وكذلك شروط الصلوات الجماعات كما رويَ عن عبد الله بن عمــر أنـه

---

(١٧٥) تخابيص ! يجب أن يبين معناها لأن قرب الله قرب معنوي وليس جسمياً بالمسافات !

(١٧٦) لو كان المصنف منزهاً وليس مهرطقاً ولا نازعاً للتجسيم لعلــم أن المقصـود هنـا بالآيـة هـو سيدنا جبريل وليس المولى المنزه عن التدلي والصعود !! وفـي صحيـح مسـلم (١/ ١٥٩/ ١٧٧) أن السيدة عاشة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم عـن هـذه الآيـات فقـال : إنـه جـبريل رآه منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض !

وهناك حديث في البخاري (٧٥١٧) في كتاب التوحيد مـن خـرط القتـاد وهـو فـي حديـث الإسـراء لشريك وفيه : ((ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قوسين أو أدنى)) ، قال الخطابي كما في الفتح (١٣/ ٤٨٤) : ((إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عز وجل مخـالف لعامـة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم منهم ومن تأخر)) .

وقال هناك في الفتح هنـاك (١٣/ ٤٨٣) : ((قـال الخطَّـابي : ليـس فـي هـذا الكتـاب يعنـي صحيـح البخاري حديث أشنع ظاهراً ولا أشنع مذاقاً من هذا الفصل ؛ فأنه يقتضي تحديد المسافة بيــن أحـد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما ؛ هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيـل لـه بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل)) .

والحقيقة أن البخاري كان الأليق به أن ينزه صحيحه عن مثل هذا الحديث الساقط بنفسه ! ولكنه هـو وغيره توسعوا في الصفات والتوحيد في قبول الأحاديث المردودة المضحكـة لـيردوا علـى المعتزلـة ومن ينعتونهم بالجهمية والمعطلة ! فعطلوا عقولهم وأخذوا بهذه الروايات المستبشعة المستهجنة !!

(١٧٧) لا يزال المصنف يسترسل في التخبيص والتلبيص ! قال الحافظ البيهقي فـي السـنن الكـبرى (٤/ ١٩) في التعليق على حديث : ((صلوا خلف كل بر وفاجر)) ما نصه :

((قال علي [يعني الدارقطني] : مكحول لم يسمع من أبـي هريـرة ومـن دونـه ثقـات ، قـال الشـيخ [يعني البيهقي] : **قد روي في الصلاة على كل بــر وفـاجر** والصـلاة علـى مـن قـال لا إلـه إلا اللـه أحاديث **كلها ضعيفة غاية الضعف** ، وأصح ما روي في هذا الباب حديث مكحـول عـن أبـى هريـرة وقد أخرجه أبو داود في كتاب السنن إلا أن فيه إرسالاً كما ذكره الدارقطني رحمه الله)) انتهــى مـن

كان يصلي خلف الحجاج[178] . وأن المسح على الخفين في الحضر والسفر[179] ، خلافاً لمن أنكر ذلك . ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة[180] . ونَدين بترك[181]

سنن البيهقي .

(١٧٨) كان ابن عمر مكرهاً على الصلاة خلف الحجاج لو لم يصلِّ لقتلوه كما قتلوا عبدالله ابن الزبير وغيره ! وقال الحجاج عليه لعنة الله تعالى لأنس بن مالك : خبيث جوال في الفتن مرة مع علي ومرة مع ابن الزبير ....

وعن أزهر بن عبد الله قال : كنت في الخيل الذين بيتوا أنس بن مالك وكان فيمن يؤَلِّب على الحجاج .. فأتوا به الحجاج فوسم في يده : عتيق الحجاج . انظر تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٢٩٤) .

فمن كان مكرهاً من الصحابة في تلك الحال أفيبنى على أفعاله أحكاماً شرعية ؟!

وهذا المصنف المسكين يخبط كخبط عشواء وراكباً متن عمياء وهو آخذ برأس تَولاء !! وهو بذلك يعطي شرعية لطغاة بني أمية وغيرهم من جبابرة الخلق ! ولم يردِ أهل السنة إلا مثل هؤلاء الذين أردوهم في فيافي التخلف بتشريع قيادة الأمة للفسقة الفجرة من الجبابرة !!

(١٧٩) هذا ليس من أسس الدين ولا معنى لذكره ههنا وقد خالف في ذلك جماعة من الصحابة والعترة جميعهم وغيرهم ، قال الشوكاني في « نيل الأوطار » (١/ ٢٢٣) : « **وذهبت العترة جميعاً والإمامية والخوارج وأبو بكر بن داود الظاهري إلى أنه لا يجزي المسح عن غسل الرجلين واستدلوا بآية المائدة وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن عَلَّمَهُ واغسل رجلك ولم يذكر المسح** » . وهو المنقول عن سيدنا علي وابن عباس والسيدة عائشة وعمار بن ياسر رضي الله عنه ، ومن أراد مراجعة المسألة بطولها فعليه أن يقرأها من « **الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير** » عند السادة الزيدية .

وقد روى أحمد في المسند (١/ ٣٢٣) عن ابن عباس قال : « **قد مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخفين فاسألوا هؤلاء الذين يزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسح قبل نزول المائدة أو بعد المائدة ؟! والله ما مسح بعد المائدة ولأن أمسح على ظهر عابر بالفلاة أحب إلي من أن أمسح عليهما** » ورواه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٣٦) بإسناد صحيح مختصراً ، فتابع خصيف عنده رواية عطاء عن سعيد بن جبير عند أحمد . وقالت السيدة عائشة : **لأن أخرهما بالسكاكين أحب إلي من أن أمسح عليهما** . رواه ابن أبي شيبة (١/ ١٦٩-١٧٠) .

(١٨٠) يعني أنه يرى تضليل سيدنا أنس بن مالك وسيدنا الحسين عليه سلام الله تعالى وعبدالله ابن

الخروج عليهم بالسيف[١٨٢] ، وترك القتال في الفتنة[١٨٣] . ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٨٤] ونؤمن بعذاب القبر[١٨٥] ،

الزبير وفقهاء وأئمة المسلمين وسيدنا محمد النفس الزكية وسيدنا زيد بن علي زين العابدين عليهم سلام الله تعالى وغيرهم من الصحابة وغيرهم من الأبرار الذين خرجوا على يزيد الفاسق وعبد الملك بن مروان وقائده الحجاج الظالم الباغي .

وإذا بقيت الأمة منقادة لمن ترك الاستقامة أمثال يزيد والحجاج وأضرابهم فليس للأمة أي أمل في النهضة والتفوق والإبداع والحضارة وسينحصر تفوقها في أشياء تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع وسيبقى أعداؤها يلعبون بها كما يلعب الصبي بالكرة ! ولا أريد الإطالة ههنا بذكر المذاهب والأدلة والأقوال لأنها لا تنفع مع غير العقلاء !

لكن لو استظهر المصنف بالثقلين فإنه لن يجد كليات الشريعة وقواعدها تحض المسلمين بالإقرار بإمامة تاركي الاستقامة وتضليل الخروج عليهم !

بل سنسأل المصنف ومن يقول بقوله هل يقولون بتضليل معاوية الخارج على الإمام الراشد سيدنا علي عليه السلام ؟!

وكيف بقي ولاة معاوية وعماله ونوابه يشتمون سيدنا علي عليه السلام ستين سنة على المنابر ولا يدعون له ويترحمون عليه انقياداً لهذا الخارج عليه !

وبهذه الأسئلة وما يتعلق بها يتبين لكم مبلغ المصنف من العلم والفهم !!

(١٨١) بدل هذه الكلمة في بعض النسخ (بإنكار) .

(١٨٢) وقد خالف ذلك جماعة من كبار أئمة أهل البيت والصحابة وعلماء السلف ولو أردنا نقل أسمائهم لطال الكلام في ذلك وفيما ذكرناه في التعليق السابق كافٍ شافٍ !

(١٨٣) كيف يدين الله تعالى بترك القتال في الفتنة والله تعالى يقول ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ﴾ والمصنف يقول لا تقاتلوا الباغية ودعوها وشأنها !!

وعلى هذا المنطق لا يصح للشرطة ولا للعسكر إذا خرجت عليه فئة باغية تريد الفتنة أن يقاتلوها بل عليهم أن يجلسوا ويتركوا تلك الفتنة تعيث فساداً وإفساداً لأن المصنف يقول لهم : ندين بترك القتال بالفتنة !

(١٨٤) الرواية التي جاءت في الدجال مضطربة ! فرواية تقول بأنه ابن صياد ورواية أخرى تقول بأنه ذلك الرجل المقيد في دير في جزيرةٍ في حديث الجساسة !

(١٨٥) وهو عذاب البرزخ في الحقيقة لقوله تعالى ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ وكان

ومنكر ونكير ، ومساءلتهم المدفونين في القبور[١٨٦] . ونصدق بحديث المعـراج[١٨٧] ، ونصحح كثيراً من الرؤيا في المنام ، ونقول أن لذلك تفسيراً[١٨٨] . ونرى الصدقـة عـن موتى المؤمنين ، والدعاء لهم ، ونؤمن أن الله ينفعهـم بذلـك[١٨٩] . ونصـدق بـأن فـي الدنيا سحراً ، وأن السحر كائن وموجود في الدنيا[١٩٠] . وندين بالصلاة على من مـات من أهل القبلة ، مؤمنهم وفاجرهم ومواريثهم . ونُقِرُّ أن الجنـة والنـار مخلوقتـان ، وأن

عليه أن يذكر نعيم القبر أو البرزخ ولا يقتصر على العذاب لأن في ذلك تيئيس للمؤمنيـن مـن رحمـة الله تعالى وكرمه وإنعامه !

(١٨٦) سؤال الملكين في القبر عندنا حديث آحاد لا تثبت العقائد بمثله ! وينبغي التفكـر فـي الذيـن لم يقبروا كمن يحرقوا أو تتناثر أوصالهم في انفجار أو مـن أكلتـه الحيتـان أو نحوهـم هـل يسـألون في القبر ؟! وإحياء الميت لسؤاله في القبر كمـا يزعمـون منـاقض لقولـه تعـالى ﴿ ربنـا أمتنـا اثنتيـن وأحييتنا اثنتين ﴾ وقد بينا ذلك في « صحيح شرح الطحاوية » ص (٤٥٩) .

(١٨٧) الأدق أن يقول ونصدق بمعراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن أمر المعراج مقطـوع بـه ومذكور في القرآن ومنه ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ ولأن حديث المعراج فيه أشياء لا يسلم بها !

(١٨٨) نعم هذا صواب لقوله تعالى في قصة سيدنا يوسف ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنـي رأيـت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ وقد ذكر في هـذه السـورة عـدة رُؤىً وهـذا يثبت أحقية الرؤيا .

(١٨٩) وهذا صواب وحق لقوله تعالى ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفـر لنـا ولإخواننـا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الحشر : ١٠ ؛ وثبت عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قـال : قال لي أبي :

« يا بني : إذا أنا مت فألحدني فإذا وضعتني في لحدي فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم شـن علي التراب شنا ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم ذلك » رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٢١) .

وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٣/ ٤٤) : ورجاله موثقون . وانظر الموضوع بتوسع في « صحيح شرح العقيدة الطحاوية » (٥٠٠-٥٠٤) .

(١٩٠) لكن ليس كل ما يصيب الإنسان من مشاكل وخلافات في بيته مع زوجتـه وأهلـه أو مصـائب تصيبه في حياته يكون بسبب السحر كما يعتقد بعض الناس السذج وبعض المشايخ المشعوذين !

من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل[١٩١] . وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل ، يرزقها عباده حلالاً وحراماً[١٩٢] ، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ، ويشككه ويخبطه ، خلافاً للمعتزلة والجهمية[١٩٣] ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا

---

(١٩١) قد ذكر الله تعالى أن الموت بدون قتل شيء وأن الموت بالقتل شيء آخر قال تعالى ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ آل عمران : ١٤٤ ؛ بَيَّنَت الآية أن الموت غير القتل وأراد المصنف أن يجعلهما شيئاً واحداً ولكن في آية ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ أراد أن يجعلهما شيئان اثنان !! مع أنهما شيء واحد !

وقال تعالى ﴿ وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾ فاطر : ١١ ؛ ولولا أن القاتل قطع عمر المقتول لما استحق أن يخلد في النار وأن يدفع الدية وأن يحبس ويعاقب ! لأنه على الاعتقاد الخطأ سيموت سواء قتل أو ترك ! وللسيد عبدالله بن محمد بن إسماعيل حميد الدين بحث جيد في هذه المسألة في كتابه ((أصول الدين)) من ص (١٥٢-١٥٨) فليراجع .

(١٩٢) لا يعقل شرعاً أن يرزق الله تعالى الحرام وقد نهى عنه ! وأمر الإنسان أن يعيد المال الحرام إلى صاحبه كمال المسروق والمغصوب والمختلس ؛ وقد نهى الله تعالى أن يأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل ؛ فبعد نهيه سبحانه لهم هل يرزقهم به ؟! وهذا مبني على أن العبد لا يخلق فعله وإنما الله تعالى يخلق الفعل وهذا خطأ ! فحقيقة المسألة أن الله تعالى خلق العباد وجعلهم مخيرين وخلق لهم الرزق ليسعوا في طلبه فإما أن يطلبوه بطريق حرام وإما أن يطلبوه بطريق حلال ! فمن حصل على مال حرام لا يصح أن يقول : الله رزقني إياه ! لأن الله نهاه عن تحصيله ولم يرزقه إياه أي يعطيه إياه ! قال تعالى ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ النحل : ٦٧ ؛ بين الله تعالى أننا نتخذ من هذه الثمار التي رزقنا إياها سكراً وهو شيء محرم ولم يسمه سبحانه رزقاً سيئاً ثم قال : ورزقاً حسناً ! وهو ما أباحه لنا ! وبه يتم الدليل على بطلان كلام المصنف !

(١٩٣) هذا الكلام ؛ لا زمام له ولا خطام ! لأن العبارة غير واضحة بل فيها غموض وإبهام ! والقصد منها إثبات أن الشيطان يتلبس الإنسان ويتخبطه وهذا غير صحيح ! أما الوسوسة التي هي تزيين الشر فهذا صحيح ! والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من تبعك من الغاوين ﴾ الحجر : ٤٢ ، وقول إبليس يوم القيامة فيما حكاه الله تعالى لنا ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ﴾ إبراهيم : ٢٢ ؛ وقال تعالى ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه

يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسّ ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، وكما قال : ﴿ من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾[١٩٤] .

ونقول إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات يظهرها عليهم . وقولنا في أطفال المشركين : إن الله تعالى يؤجج لهم ناراً في الآخرة ، ثم يقول : اقتحموها كما جاءت الرواية بذلك[١٩٥] . وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملون ، وإلى

إلى عذاب السعير ﴾ الحج : ٤ .

وأما قوله تعالى ﴿ الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ فهذا ضرب مثل ! وهو مثل قوله تعالى ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني **مسني الشيطان** بنصب وعذاب ﴾ ص : ٤١ ؛ وقوله تعالى ﴿ إن **الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان** تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ الأعراف : ٢٠١ ولا يعني هذا أنه يتلبس الذين اتقوا كما لا يعني أنه يتلبس سيدنا أيوب عليه السلام ولا يتخبطه !

(١٩٤) الوسوسة لا ينفيها المعتزلة ولا غيرهم وإنما ننفي معهم التخبط والتلبس خلاف ما يدعيه ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٢٤/٢٧٦-٢٧٧) من قوله (وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره) !! وممن ينكر ذلك : ابن حزم والقاضي أبو يعلى الحنبلي والجبائي وأبو بكر الرازي الطبيب والقفال من أئمة الشافعية والزمخشري والبيضاوي وأبو السعود وغيرهم ..... بل تعدى ابن تيمية وقال في ((الفتاوى)) (١٩/ ٣٩-٤٠) : [وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما وهذا كثير ومعروف ....] فأين هذا الكثير المعروف ؟!

(١٩٥) هذا القضية ليست من أصول الاعتقاد أصلاً وحديث الاقتحام والامتحان هذا يعارضه حديث الصحيحين : ((كل مولود يولد على الفطرة ...)) فلا أدري لم يحتار المصنف في أولاد المشركين ! على أن حديث الامتحان هذا المروي في صحيح ابن حبان (١٦/ ٣٥٦) وأحمد (٤/ ٢٤) ليس فيه ذكر أولاد المشركين ولفظه : ((أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة ....)) وليس فيه ذكر أولاد المشركين ! والحديث ليس صحيحاً وإن صحح بعض الحفاظ إسناده ! قال الحافظ ابن عبد البر في ((التمهيد)) (١٨/ ١٣٠) : ((وجملة القول في أحاديث هذا الباب كلها ما ذكرت منها وما لم أذكر أنها **من أحاديث الشيوخ ؛ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء ؛ وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر ؛ مع أنه عارضها ما هو أقوى منها** والله أعلم)) وقد ذكرنا هذا الأمر في كتابنا ((صحيح شرح العقيدة الطحاوية)) ص (٨٧-٩٥) وقرره شيخنا إمام العصر السيد الشريف عبدالله ابن الصديق الغماري

ما هم صائرون ، وما يكون **وما لا يكون أن لــو كـان كيـف كـان يكـون**[١٩٦] وبطاعـة الأئمة[١٩٧] ونصيحة المسلمين . ونـرى مفارقـة كـل داعيـة لبدعـة[١٩٨] ومجانبـة أهـل الأهواء[١٩٩] وسنحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقيَ منه مما لم نذكره باباً باباً ، وشيئاً شيئاً .

الحسني أعلى الله درجته . ونبه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣/٢٤٦) على أن القول بكون أولاد المشركين في الجنة هو مذهب البخاري فارجع إليه إن شئت .

(١٩٦) هذه العبارة مأخوذة عن الجنيد ! قال الجنيد في جوابات مسائل الشاميين : تفرَّد الحق بعلم الغيوب فعلم ما كان وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون . نقل ذلك صاحب الرسالة القشيرية (١/٤٧) ؛ على أن من يقول بالجبر كالمصنف فإنه يلزمه أن يقول باستحالة ما لا يكون !

(١٩٧) ومنهم عنده معاوية ويزيد وعبد الملك والحجاج وأضرابهم من الظلمة والفجرة والمستبدين ! وبعد هذا يقول (ونصيحة المسلمين) فهل يكون ناصحاً للمسلمين من أمر بطاعة هؤلاء وأمثالهم ؟!

(١٩٨) يا ليت المصنف لم يأت إلى البربهاري المبتدع الداعية ويتزلف له بهذا الكتاب ! يا ليته رأى مفارقته ! وهو أول مخالف لهذه القواعد التي يؤصلها ههنا !!

أما هجر المبتدع فقضية حنبلية وهو دواء سلبي فإن مخالطة المبتدع وحواره ومناقشته تُغَيِّرُ من أفكاره وهجره يؤدي إلى عزله عن المجتمع وتمكين البدعة عنده فإذا وجد من يناقشه ويحاوره تبين له خطؤه ! وفي الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (٢٥٥٩) .

فالمصنف يدعو إلى أسلوب الهجر ويخالف بذلك السُّنَّة الثابتة ! والهجر بدعة شركية وذلك أنَّ أبا سيدنا إبراهيم قال له ﴿ قال أراغب أنت عن ءالهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك **واهجرني ملياً** ﴾ مريم : ٤٦ ؛ وقد صنف في هذه المسألة شيخنا السيد الإمام عبد الله ابن الصديق أعلى الله تعالى درجته سماها (النفحة الذكية في بيان أن الهجر بدعة شركية) فليراجعها من شاء .

(١٩٩) وهذه تكملة للعبارة السابقة وكل ذلك باطل غير صحيح ! والمقصود به عندهم عدم بث روح الأخوَّة والمحبة بين الفرق والمذاهب الإسلامية ، بل تجذير العداء بين المسلمين ؛ وترسيخ اعتقاد أن كل الفرق في النار وأنهم هم وحدهم ـ الحنابلة ـ الفرقة الناجية استناداً إلى الحديث الباطل في افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة وأن كلها في النار إلا فرقة واحدة ! وكل ذلك لا يثبت كما

الباب الأول

الكلام في إثبات رؤية الله سبحانه بالأبصار في الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ القيامة : ٢٢ يعنى مشرقة ، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة : ٢٣ يعنى رائية[٢٠٠] ، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها :

بينته في ((صحيح شرح الطحاوية)) ص (٦٢٣-٦٣٤) ! وفي ذلك يقول البربهاري الحنبلي المبتدع في كتابه ((شرح السنة)) ص (١٣٥) :

((آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع)) يعني بالمبتدع الأشعري والشيعي والمعتزلي والإباضي أو غير ذلك من المسلمين الذين لا يوافقونهم في آرائهم !

ويقول البربهاري هناك أيضاً ص (١٢١) : ((إذا رأيت الرجل من أهل السنة رديء المذهب والطريق فاسقاً فاجراً صاحب معاصي ضالاً وهو على السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس يضرك معصيته ، وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة متقشفاً محترفاً بالعبادة صاحب هوىً فلا تجالسه ولا تمشي معه في طريق ...)) . ويقصد هذا المبتدع بقوله (على السنة) أي على عقيدتهم ! وبذلك يقلبون تعاليم الإسلام رأساً على عقب أي : (اصحب فاسقاً فاجراً ولا تصحب تقياً ورعاً مخالفاً في الرأي) !!

(٢٠٠) ليس كذلك ! بل معنى ناظرة : (منتظرة) .والدليل عليه قول تعالى عن بلقيس ﴿ وإني مرسلة إليهم بهدية **فناظرة** بم يرجع المرسلون ﴾ النمل : ٣٥ . وهذا الآية تتحدث عن المحشر حيث جاء بعدها ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ والرؤية إنما تكون في الجنة عند القائل بها لا في أرض المحشر . وقال الشاعر :

وجوهٌ يومَ بَدْرٍ ناظرات إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

وقال النابغة الذبياني صاحب إحدى المعلقات العشر :

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العوَّد

والمصنف ضعيف في العربية وكل ما يقوله من المعاني والقواعد لا يعول عليه فيه ! فقد ذكر في الكتاب فيما يأتي عند قوله تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون ﴾ (أن الأيدي ليس بجمع لليد) يقصد لفظة (أيدٍ) الواردة في الآية الكريمة !

وهذا لقلة علمه بلغة العرب فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم **أيد يبطشون بها** أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم ءاذان يسمعون بها ﴾ الأعراف : ١٩٥ ، فذهب بذلك

إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار ، كقوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الغاشية : ١٧ .

أو يكون عنى نظر الانتظار ، كقوله تعالى ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يس : ٤٩ .

أو يكون عنى نظر التعطف كقوله تعالى : ﴿ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ﴾ آل عمران : ٧٧ .

أو يكون عنى نظر الرؤية .

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار ؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار . ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه(٢٠١) ، كما إذا ذكر أهل اللسان(٢٠٢) نظر القلب فقالوا : أنظر في هذا الأمر بقلبك ، لم يكن معناه نظر العينين ، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار(٢٠٣) ؛ الذي يكون للقلب ، وأيضاً فإن نظرَ الانتظار لا يكون في الجنة(٢٠٤) ؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير ، وأهل الجنة في ما

كلام المصنف أدراج الرياح !!

(٢٠١) وهذا ليس بصحيح البتة وما ذكرناه في الحاشية السابقة يهدم هذا الزعم !

(٢٠٢) لو كان يعرف هذا الرجل قول أهل اللسان لما أنكر أن يكون معنى أيدٍ جمع يد ! ولكنه يتشدق بكلام ظاهره العلم وحقيقته عدم المعرفة بأقوال أهل اللسان والسنان !

(٢٠٣) زعم فاسد ! لا يمت إلى الحقيقة بوجه وهذه قاعدة فاسدة ! قال الراغب : [﴿ إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ أي منتظرين] وقال [وقول الشاعر : نظر الدهر إليهم فابتهل ، فتنبيه إلى أنه خانهم فأهلكهم] .

ومن كان يرى وقوع الرؤية في الآخرة من اللغويين صار يتلاعب في المعاني مثل تلاعبهم بكلمة استوى ليثبت ما يريد ! وهو كلام باطل مدحوض !! وقاعدة المصنف مخترعة لا أساس لها من الصحة ! ويهدمها قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ ! وقول جميل بثينة :

إني إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغني المكثر

(٢٠٤) وهذا ليس في الجنة حتى يتم كلام المصنف بل هذا في أرض المحشر كما بيناه بدليل الآية التي تليها وهو قوله تعالى : ﴿ ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ﴾ فتنبه ! والمصنف يريد

لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم[٢٠٥] .

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين ؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم ، وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف ؛ لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم[٢٠٦] .

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صحّ القسم الرابع من أقسام النظر[٢٠٧] ، وهو أن معنى قوله : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل[٢٠٨] .

وممَّا يبطل قول المعتزلة : أن الله عز وجل أراد بقوله : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ نظر الانتظار ، أنه قال : ﴿ إلى ربها ناظرة ﴾ ونظر الانتظار لا يكون مقروناً بقوله : ﴿ إلى ﴾[٢٠٩] ؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى) ، ألا ترى أن الله تعالى لما قال : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إلا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ يس : ٤٩ لم يقل إلى ؛ إذ كان معناه الانتظار[٢١٠] .

أن يضيع حقيقة الأمر !

(٢٠٥) هذا لو كان النص يتكلم عن أهل الجنة في الجنة ! ولكنه خلاف ذلك !

(٢٠٦) إنشاء وتشتيت لا معنى له ! بل هرطقة وسفسطة !

(٢٠٧) لن يصح حتى يلج الجمل في سم الخياط !

(٢٠٨) كيف تراه والله تعالى يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ ومن خصصها في الدنيا فهو مخطيء لأنه لا دليل على التخصيص ! ومن قال بأنه لا تدركه الأبصار إدراك إحاطة فقد جعله جسماً يرى بعضه ولا يرى كله ! ثم لما كان عندهم رب العزة جل وعز أكبر من العرش والكرسي استحالت رؤيته لأن من كان كبيراً بهذا الوصف بالحجم والمساحة وما تصورته الأوهام والأفكار استحالت رؤيته !

(٢٠٩) ومن قال لك هذه القواعد الباطلة ؟!

(٢١٠) قال الطبري في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ إلى طعام غير ناظرين إناه ﴾ ما نصه : [يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها الذين أمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين إدراكه وبلوغه] . أقول : وتوضيحه : غير مدركين إلى إدراكه وبلوغه ، فصح دخول إلى على النظر ههنا لتفيد الانتظار ؛ ومثله قوله تعالى ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ !!

وقال عز وجل مخبرا عن بلقيس : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل : ٣٥ فلما أرادت الانتظار لم تقل إلى .

وقال أمرؤ القيس :

فإنكما إن تنظراني ساعــــة   من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل إلى ، فلما قال سبحانه : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ علمنا أنه لم يرد الانتظار ، وإنما أراد نظر الرؤية(٢١١) .

ولما قرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه ، أراد نظر العينين اللتين في الوجه(٢١٢) كما قال : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ البقرة : ١٤٤ ، فذكر الوجه وإنما أراد تقلّب عينيه نحو السماء(٢١٣) ينتظر نزول الملك عليه(٢١٤) ، بصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة .

فإن قال قائل : لم لا تقولون إن قوله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ إنما أراد إلى

---

(٢١١) قواعد وتقريرات باطلة كما تقدم في بيت النابغة ! وقال جرير :

من كل أبيض يستضاء بوجهه   نظر الحجيج إلى خروج هلال

ومما يبطل هذه القاعدة أيضاً من القرآن قول الله تعالى ﴿ **ألم تر إلى ربك** كيف مد الظل ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ﴾ وليس المراد في كلا الحالتين نظر العين ورؤيتها وإنما المراد معنى آخر مجازي ، وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٣٢٠) : [قول القائل لآخر : انظر إليَّ نظر الله إليك ، بمعنى : تعطَّفْ عليَّ تعطَّف الله عليك بخير ورحمة ، وكما يقال للرجل : لا سمع الله لك دعائك ، يراد : لا استجاب الله لك ، والله لا تخفى عليه خافية] وهذا بيان من ابن جرير أن النظر المتعدي بإلى لا يعني الرؤية ! وانقطع الكلام !

(٢١٢) مما يفسد هذا القواعد المخترعة ويبطلها قول الشاعر :

يراه على قُرْبٍ وإن بَعُد المدى   بأعينِ آمالٍ إليك نـواظـر

(٢١٣) لو عبَّر عن هذه الجملة بقوله : (تقلب عينيه إلى السماء ينتظر ...) لكان هو الصواب ولكن حاول أن يتهرب من هذا التعبير الواضح لأنه ينسف استدلاله ومراده !

(٢١٤) وهذا تفسير غير صحيح فسيدنا رسول الله كان ينظر إلى السماء نظر انتظار لسيدنا جبريل لأنه كان يتطلع ويتشوق أن يأتيه الوحي بتحويل القبلة إلى الكعبة ! فهذه الآية ضد استدلال المصنف لا معه !

ثواب ربها ناظرة ؟

قيل له : ثواب الله غيره ، والله سبحانه وتعالى قال : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ولم يقل إلى غيره ناظرة ، والقرآن العزيز على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة[٢١٥] ، وإلا فهو على ظاهره .

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : صلوا لي واعبدوني[٢١٦] ، لم يجز أن يقول قائل : إنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره[٢١٧] ، فلذلك لما قال : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة[٢١٨] .

ثم يقال للمعتزلة : إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله تعالى : ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة ، فلم لا جاز لغيركم أن يقول : إن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار ﴾ الأنعام : ١٠٣ ، أراد بها لا تدرك غيره ولم يرد أنها لا تدركه ؟ وهذا ممَّا لا يقدرون على الفرق فيه .

ودليل آخر : وممَّا يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى صلى الله

---

(٢١٥) أصلاً ما ضل من ضلَّ إلا بأخذه بظواهر ما لا يراد منه ظاهره ! وهذا الظاهر مزال بقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وأهل الحق المنزهون لا يأخذون بظاهر العين والوجه والساق والجنب ! كما لا يأخذون بظاهر (ناظرة) إلى ذات الله تعالى ههنا لأن الكلام في الآية عن حال الناس في أرض المحشر وليس في الجنة ! ولا يجوز تفسير الآية بحديث الصورة الطويل الذي في الصحيحين الذي فيه كشف الساق ومشاهدة المنافقين لله تعالى وأنه ينطلق فيتبعونه وغير ذلك من أفكار التشبيه والتجسيم الإسرائيلية ، والعاقل لا يسلك مثل هذه المسالك !

(٢١٦) هذه الألفاظ ليست من القرآن ولا أدري لماذا عجز عن أن يأتي بآية في هذا المعنى !

(٢١٧) هذا قياس فاسد مع الفارق ! لأن الأمة اتفقت على أن العبادة لا تكون إلا لله تعالى من حيث أداء العبادة وقصد الله بها ! وأما الرؤية فهي في واد آخر وهي تتعلق بانكشاف ذات الله تعالى للخلق ! وذات الله تعالى ليست جسماً ولا عرضاً ! وتُذَكِّرُ هذه الأقيسة بكلام المبرسمين !

(٢١٨) بل الواجب أن تزيله بحجة قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ وهو نص صريح لا يمكن تأويله ! وقال تعالى عمن طلب الرؤية ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾النساء١٥٣ ، ولو كانت الرؤية أمراً جائزاً لما أخذتهم الصاعقة ولما اعتبر الله تعالى ذلك ظلماً !

عليه وسلم ﴿ رب أرني أنظر إليك ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، ولا يجوز أن يكون موسى صلوات الله عليه وسلامه وقد ألبسه الله جلباب النبيين ، وعصمه بما عصم به المرسلين قد سأل ربه ما يستحيل عليه ، فإذا لم يجز ذلك على موسى صلى الله عليه وسلم علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى(٢١٩) .

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا تعالى كما زعمت المعتزلة ، ولم يعلم ذلك موسى صلى الله عليه وسلم وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى صلى الله عليه وسلم(٢٢٠) ، وهذا ممَّا لا يدعيه مسلم .

فإن قال قائل : ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم ، ولم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك قبل أن ينزل(٢٢١) ؟

قيل له : لم يكن يعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل: أن يلزم الله العباد حكم الظهار فلما ألزمهم الحكم به أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم قبلهم ، ثم أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم عباد الله ذلك ، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلم صلى الله عليه وسلم ، وأنتم زعمتم أن موسى صلى الله عليه وسلم كان قد

---

(٢١٩) دليل باطل ! لأن سيدنا موسى طلب الرؤية والله تعالى عَلَّمَه وأجابه بقوله ﴿ لن تراني ﴾ وتاب سيدنا موسى من هذا السؤال حيث قال عقب ذلك ﴿ سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾ ! وقاعدة أن الأنبياء لا يسألون محالاً أو ما لا يجوز قاعدة باطلة اخترعها أمثال المصنف ! ودليل بطلانها قول الله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح **فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾ هود : ٤٦ ، فنهى الله تعالى سيدنا نوح أن يسأله هذه المسألة وهذا ما يبطل هذه القاعدة التي أتى بها المصنف ! وقد توسعت في هذه القضية في رسالتي ((مسألة الرؤية)) ص (٥٥-٥٨) فارجع إليها إن شئت .

(٢٢٠) هذا تشغيب لا قيمة له وإلزام باطل سبق إبطاله فيما بيناه من فساده ! فسيدنا موسى سأل الله شيئاً بيَّن الله له أنه لن يكون فقال له ﴿ لن تراني ﴾ .

فقد علَّمنا الله تعالى كما علم سيدنا موسى أنه تعالى لن نراه ولم يقل أحد بأنه أعلم من سيدنا موسى حتى يتهافت المصنف هذا التهافت !

(٢٢١) وهذه حجة دامغة يذهب تنكيت المصنف بها هباءً !!

لزمه أن يعلم حكم الرؤية وأنها مستحيلة عليه ، وإذا لم يعلم ذلك وقت لزمه علمه وعلمتموه أنتم الآن لزمكم بجهلكم أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى صلى الله عليه وسلم بما لزمه العلم به ، وهذا خروج عن دين المسلمين[٢٢٢] .

ودليل آخر : ممَّا يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قوله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ الأعراف : ١٤٣ ، فلما كان الله تعالى قادرا على أن يجعل الجبل مستقراً ؛ كان قادراً على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى صلى الله عليه وسلم ، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر أن يرى عباده نفسه ، وأنه جائز رؤيته[٢٢٣] .

فإن قال قائل : فلم لا قلتم إن قول الله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ الأعراف : ١٤٣ تبعيد الرؤية ؟

قيل له : لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه[٢٢٤] ، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه ، فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه وتعالى دل ذلك على أنه جائز أن يرى الله تعالى[٢٢٥] ؛ ألا ترى أن الخنساء[٢٢٦] لما أرادت تبعيد صلحها لمَن كان حرباً لأخيها قرنت الكلام بأمر مستحيل فقالت :

ولا أصالح قوما كنت حربهم حتى تعود بياضاً حلكة القاري

---

(٢٢٢) تشغيب فاسد وسفسطة لا معنى لها ! بل تلقى في زوايا الإهمال !

(٢٢٣) يأبى المصنف أن يتمسك بالكلام الواضح الصريح وهو قول الله تعالى ﴿ لن تراني ﴾ ويعمد إلى شبه فينسج منها كلمات يظن أنه يستطيع أن يموه بها على من لم يعرف الأمر !!

(٢٢٤) هذا غير صحيح بل أراد الله تعالى أن يثبت له أن هذا الأمر عظيم جداً لا يكون ! مثل عظم قول أولئك المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولداً فقال تعالى ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هَدًّا ﴾ مريم : ٩٠ فافهم ذلك ولا تغفل عنه ولا تأخذك ترهات القوم وتمسك بقول الله تعالى الذي هو الخلاصة في هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿ لن تراني ﴾ !!

(٢٢٥) نتيجة غير صحيحة !

(٢٢٦) قياس مع الفارق بين الخالق والمخلوق !

والله تعالى إنما خاطب العرب بلغتها[٢٢٧] . وما نجده مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها ، فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة[٢٢٨] .

دليل آخر : قال الله عز وجل : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[٢٢٩] يونس : ٢٦ ، قال أهل التأويل[٢٣٠] : النظر إلى الله عز وجل ، ولم ينعم الله تعالى على أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له[٢٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ق : ٣٥ ، قيل : النظر إلى الله عز وجل[٢٣٢] .

---

(٢٢٧) إذا كان المصنف يقرُّ بأن الله تعالى خاطب العرب بلغتها فلماذا يثبت العين لله تعالى والأعضاء والاستواء الحسي وينكر تفسيره بالاستيلاء والقهر وغير ذلك من المعاني المفهومة والمعلومة والمشهورة في لغة العرب ؟!

(٢٢٨) بل هي مستحيلة لقول الله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ ! وجميع هذه السفسطة الاستنتاجية باطلة مردودة !

(٢٢٩) ليس في هذه الآية ذكر للرؤية من قريب ولا من بعيد ! وإنما اتَّكَل على تفسيرات مأخوذة من أهل الكتاب في تفسيرها !

وما روي في مسلم (١٨١) تفسير هذه الآية من أن الزيادة هي الرؤية ونسب ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو مردود !

لأنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو من كلام ابن أبي ليلى كما بين ذلك الدارقطني في « الإلزامات والتتبع » ص (٢١٠) والترمذي في « السنن » (٣٠٣٠) وقد بينا ذلك مطولاً في كتابنا « مسألة الرؤية » ص (١٣-١٦) فارجع إليه !

والمراد بالآية أن الذي يحسن يحسن الله إليه ويتفضل عليه بأكثر من إحسانه ! كما يقول الرجل لأجيره لك أجرك وزيادة ! وهي كرم من المعطي ! هكذا بلغة العرب !

وفي مثل هذا قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النساء : ١٧٣ .

(٢٣٠) إذن هو يقول بالتأويل مع أن أهل التأويل ههنا مخطئون في تفسير الزيادة بالرؤية !

(٢٣١) هذا خيال ووهم قام في عقل المصنف !

(٢٣٢) وهذا استدلال هزيل متهافت !

وقال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ الأحزاب : ٤٤ ، وإذا لقيه المؤمنون رأوه[٢٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين : ١٥ ، **فحجبهم** عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين[٢٣٤] .

فصل

فإن قال قائل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبصار ﴾ الأنعام : ١٠٣ ؟

قيل له : يحتمل[٢٣٥] أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة[٢٣٦] ، لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات ، وأفضل اللذات تكون في أفضل الدارين[٢٣٧] .

ويحتمل أن يكون الله تعالى أراد بقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبصار ﴾ الأنعام : ١٠٣

---

(٢٣٣) ليس كذلك ! قال تعالى عن المنافقين : ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه ﴾ والمنافقين ﴿ في الدرك الأسفل من النار ﴾ ولا يعني اللقاء أنهم يرونه ، ويقول الأعمى : لقيت فلاناً وجالسته وقرأت بين يديه ! ولا يقول رأيته !

فما أورده المصنف ما هو إلا وساوس وخيالات تتهيأ له من معاني الآيات الكريمة ! وقد بينا الكلام على الآية الكريمة في ((مسألة الرؤية)) ص (٦١) .

(٢٣٤) قال الإمام الغزالي في المستصفى (٢/ ١٩٢) أن قوله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ لا يدل على ثبوت الرؤية على المختار عنده وعند جماعة من حذاق الفقهاء خلافاً للأشعري وهذا نصه هناك :

[واحتجَّ ـ الأشعري ـ في مسألة الرؤية بقوله تعالى ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ قال : وهذا يدل على أن المؤمنين بخلافهم ، **وقال جماعة من المتكلمين ومنهم القاضي وجماعة من حذاق الفقهاء ومنهم ابن سريج إن ذلك لا دلالة له وهو الأوجه عندنا** ، ويدل عليه مسالك ....] .

فتأملوا !!

(٢٣٥) قوله يحتمل دليل على العجز عن الإجابة عن هذا الدليل القاطع وأنه يريد أن يتمحل في اختراع جواب عن الآية الكريمة !

(٢٣٦) وهذا تحكم بالهوى !

(٢٣٧) وهذا أيضاً قول بلا دليل !

يعني : لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين[٢٣٨] ، وذلك أن كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، فلما قال في آية : إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة[٢٣٩] ، وقال في آية أخرى : إن الأبصار لا تدركه ، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكافرين لا تدركه[٢٤٠] .

مسألة والجواب عنها : فإن قال قائل : قد استكبر الله تعالى سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار ، فقال : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ النساء : ١٥٣ ؟

فيقال لهم : إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى صلى الله عليه وسلم ، وترك الإيمان به حتى يروا الله ؛ لأنهم قالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى صلى الله عليه وسلم حتى يريهم الله نفسه ؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليهم ، كما استعظم سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً[٢٤١] .

دليل آخر : وممَّا يدل على إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار رواية الجماعات من الجهات المختلفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضارون في رؤيته »[٢٤٢] ، والرؤية إذا أطلقت إطلاقاً ومثّلت

---

(٢٣٨) وكل ذلك قول بالهوى وبلا دليل !

(٢٣٩) ينبغي أن يذكر نص الآية ولا يترجمها كما يريد !

(٢٤٠) استنتاج فاسد وقد بينا معنى ذلك مع قوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام لن تراني .

(٢٤١) تحليل غير صحيح فالله تعالى جعل الصاعقة تأخذهم لهذا الطلب !

خلافاً للمائدة التي أنزلها الله على قوم سيدنا عيسى عند طلبهم لها ومع ذلك حدث نفس الشيء فقال الله عند إنزالها ﴿ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ﴾ المائدة : ١١٥ .

(٢٤٢) هذا حديث شاذ مردود رواه البخاري (٦٥٧٤) ومسلم (١٨٢) وهو حديث الصورة الطويل

برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان ، ورويت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق مختلفة عديدة[٢٤٣] ، عدة رواتها أكثر من عدّة خبر الرجم[٢٤٤] ، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لا وصية لوارث))[٢٤٥] ، ومن عدة رواة المسح على الخفين ومن عدة رواة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها))[٢٤٦] ، وإذا كان الرجم وما ذكرناه سننا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة ؛ لكثرة رواتها ونقلتها ، كذا يرويها خلفٌ عن سلف[٢٤٧] .

الذي فيه إشكالات متعددة ، وهو آحاد معارض لا يجوز التعويل عليه ! وقد رووه في عدة مواضع مقطعاً ومختصراً من حديث أبي هريرة وجرير وغيرهما ولا يثبت ! وقد بينت علة حديث جرير في ((مسألة الرؤية)) ص (٩) .

(٢٤٣) وقد بينا ضعف تلك الروايات ووهاء بعضها في كتابنا ((مسألة الرؤية)) .

(٢٤٤) المصنف ليس من أرباب هذه الصناعة فكلامه فيها لا قيمة له !

(٢٤٥) حديث ((لا وصية لوارث)) رواه أحمد (٥/ ٢٦٧) في مسند الشاميين ، والترمذي (٢١٢٠) وغيرهما من حديث أبي أمامة ، قال الشافعي : وروى بعض الشاميين حديثاً ليس مما يثبته أهل الحديث ؛ فإن بعض رجاله مجهولون فاعتمدنا على المنقطع مع ما انضم إليه من حديث المغازي . انظر التلخيص الحبير (١٣٦٩) للحافظ ابن حجر .

ومع تصحيح الترمذي للحديث وتحسين ابن حجر له قال الشافعي : هذا لا يثبته أهل الحديث ، ورواه ابن ماجه (٢٧١٢) وغيره من حديث عمرو بن خارجه وفيه ضعف ، كما رواه ابن ماجه (٢٧١٤) وغيره من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أنس ، وقال الحافظ في ((التلخيص)) (٣/ ٩٢) : [ورواه الدارقطني من حديث جابر وصوب إرساله من هذا الوجه ؛ ومن حديث علي وإسناده ضعيف ؛ ومن طريق ابن عباس بسند حسن ، وفي الباب عن معقل بن يسار عند ابن عدي] .

قلت : حديث ابن عباس رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (١/ ٣١٣) ، وحديث معقل حكم عليه ابن عدي هناك (٥/ ٢١٠) بالبطلان .

(٢٤٦) رواه البخاري (٥١٠٨) ومسلم (١٤٠٨) من حديث جابر وأبي هريرة .

(٢٤٧) كل هذا تهويل فارغ وقياس شيء على شيء مع الفارق وهذا شيء لا يصح ! وكم من حديث رواه عدد جم وهو لا يصح ! وكم من حديث رواه قلائل وهو صحيح ثابت معمول به ! والظاهر أن

وحديث « أنى أراه »[٢٤٨] لا حجة فيه ؛ لأنه عندما سأل سائل النبـي صلـى اللـه عليه وسلم عن رؤية الله عز وجـل فـي الدنيـا وقـال لـه : هـل رأيـت ربـك ، فقـال : « نورانياً أنى أراه »[٢٤٩] ، والعين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة علـى حقائقهـا ؛ لأن الإنسان لو حدق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظـر إلـى عينهـا لذهـب أكـثر نـور بصره ، فإذا كان الله سبحانه حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشـمس فأحرى أن لا يثبت البصـر للنظـر إلـى اللـه تعـالى فـي الدنيـا[٢٥٠] ، إلا أن يقويـه اللـه تعالى ، فرؤية الله تعالى في الدنيا قد اختلف فيها .

وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عــز وجـل تـراه

المصنف لا يدرك هذا ! والخلف الذين رووه عن السلف في الرؤية إما أنه لا يصح عنهم أو هـم فئـة من طائفة معينة لا من جميع طوائف الإسلام !

(٢٤٨) رواه مسلم (١٧٨) وغيره ؛ وهذا ينفي الرؤية ولا يثبتها وهو عام ، وقال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٣/ ١٢) : « أما قوله صلى الله عليه وآله وسـلم (نـور أنـى أراه) .... ومعنـاه حجابه نور فيكف أراه ، قال الإمام أبو عبد الله المازرى رحمه الله : الضمير في (أراه) عـائد علـى الله سبحانه وتعالى ؛ ومعناه : أن النور منعني من الرؤية كما جـرت العـادة بإغشـاء الأنـوار الأبصـار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائى وبينه » .

وحديث مسلم هذا عندنا غير صحيح كما بيناه في التعليق على « العلو » علــى النـص رقـم (٢١٤) وممن ضعفه ابن خزيمة أيضاً والذهبي في ترجمة يزيد بن إبراهيم التستري في « الميزان » .

(٢٤٩) وفـــي بعضهـــا (نورانـــي أراه) قـــال الإمـــام النـــووي رحمـــه اللـــه تعـــالى في « شرح مسلم » (٣/ ١٢) :

« قال القاضى عياض رحمه الله : هذه الرواية لم تقع إلينا ولا رأيتها فـي شـئ مـن الأُصـول ؛ **ومـن المستحيل أن تكون ذات الله تعالى نوراً إذ النور من جملة الأجسام والله سبحانه وتعـالى يجـل عـن ذلك ؛ هذا مذهب جميع أئمة المسلمين** ، ومعنى قوله تعالى ﴿ الله نـور السـموات والأرض ﴾ ومـا جاء في الأحاديث من تسميته سبحانه وتعالى بـالنور معنـاه : ذو نورهمـا وخالقـه وقيـل هـادى أهـل السموات والأرض وقيل منور قلوب عباده المومنين » .

(٢٥٠) قياس الله تعالى على الشمس قياس باطل وقـع فيـه المصنـف وهـو مـن التشـبيه المذمـوم ؛ وكلامه هنا لا دليل عليه ولا طائل وراءه !

العيون في الآخرة[٢٥١] ومـا روى عـن أحـد منهـم أن اللـه تعـالى لا تـراه العيـون فـي الآخرة[٢٥٢] ، فلما كانوا على هذا مجتمعين ، وبـه قـائلين[٢٥٣] . وإن كـانوا فـي رؤيتـه تعالى في الدنيا مختلفين[٢٥٤] ، ثبتت في الآخرة إجماعاً وإن كانت فـي الدنيـا مختلفـاً فيها[٢٥٥] .

ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله تعالى في الآخـرة ، علـى أن هـذه الروايـة على المعتزلة لا لهم ؛ لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة[٢٥٦] ، فإذا احتجـوا بخـبرٍ هم له تاركون وعنه منحرفون ، كانوا محجوجين[٢٥٧] .

---

(٢٥١) وهذا كله لم يثبت عن الصحابة كما بيناه برسالة الرؤيـة ولـو ثبـت لـم يكـن حجـة لأن قـول الصحابي ليس بحجة ولأنه قد ثبت أخذ بعضهم عن أهل الكتاب وكل هذا لـو ثبـت عنهـم معـارض لقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ فسقط !

(٢٥٢) وهذا لا يقدم ولا يؤخر بل هذا دليل فاسد ! وقول الصحابي سواء نفى أم أثبت ليس بحجة !

(٢٥٣) بل السيدة عائشة نفت الرؤية بنصوص عامة تدل على المنع في الدنيا والآخرة ! فهي استدلت على منع الرؤية في الدنيا بقاعدة عامة وهي أن الله تعالى لا يرى فتقييد ذلك بأن قصدها ومرادها فـي الدنيا تحكم لا دليل عليه إلا الهوى ! أو بعض المذاهب !

(٢٥٤) هذا إنشاء ملتو في التصوير للوصول لنتيجة باطلة يحسبها المصنف دليلاً !

(٢٥٥) الإجماع في ذلك ضرب من الخيال !

(٢٥٦) أعوذ بالله تعالى ! كلنا ينكر أن الله نور في الحقيقة ! ما بـال هـذا المصنـف ! وقـد رد هـذه الأفكار والوساوس الباطلة جماعة من العلماء ؛ قال الإمام النـووي رحمـه اللـه تعـالى فـي ((شـرح مسلم)) (٣/ ١٢) :

((**ومن المستحيل أن تكون ذات الله تعالى نوراً إذ النور من جملـة الأجسـام واللـه سـبحانه وتعـالى يجل عن ذلك ؛ هذا مذهــب جميـع أئمـة المسـلمين** ، ومعنـى قولـه تعـالى ﴿ اللـه نـور السـموات والأرض ﴾ وما جاء في الأحاديث من تسميته سبحانه وتعالى بالنور معناه : ذو نورهما وخالقه وقيـل هادى أهل السموات والأرض وقيل منور قلوب عباده المومنين)) .

أرأيتم كيف يهرف هذا المصنف بما لا يعرف !!

(٢٥٧) هم لم يحتجوا بهذا الخبر وإنما احتجوا بآيات صريحة ! وإنمـا أورده مـن أورده لأنـه يبطـل الاحتجاج بأحاديث الرؤية ويبين أن فيها اضطراباً وتخالفاً !

دليل آخر : وممَّا يدل على رؤية الله تعالى بالأبصار ؛ أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل(٢٥٨) ، وإنّما لا يجوز أن يرى المعدوم **فلما كان الله عز وجل موجوداً مثبتاً ، كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل**(٢٥٩) ، وإنما أراد من نفى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل(٢٦٠) ، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل صراحاً أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود(٢٦١) تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

دليل آخر : وممَّا يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء ، وإذا كان للأشياء رائياً **فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه**(٢٦٢) ، وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه ، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم الأشياء(٢٦٣) ، فلما كان الله تعالى عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه ، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى

---

(٢٥٨) هذا ضرب من الخيال ! وهذا يتعلق بالموجود المخلوق ! أما الموجد الخالق فليس كمثله شيء ! وهذا مستحيل عقلاً وشرعاً ! فيجب أن يفهم الناس أن هذا دليل فاسد وباطل من أساسه !

(٢٥٩) هذا قياس الخالق على المخلوق وهو باطل ! كمن يقول : كل موجود يمكن أن يجعل الله له جناحين لأن الله على كل شيء قدير ؛ وبما أن الله على كل شيء قدير فهو قادر أن يجعل له جناحين يطير بهما ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

(٢٦٠) مسكين ! وإنما أراد من يثبت رؤية الله عز وجل بالأبصار التجسيم والتشبيه ! ثم من نفى الرؤية إنما يقول بأن الله تعالى موجود منزه عن مشابهة الخلق ولم يزد في ذاته ولم ينقص شيئاً ! وعلى مقتضى القياس الفاسد الذي يسلكه المصنف ومن يقول بقوله نقول : هل إذا نفى إنسان رؤية زيد من الناس عطله من اليدين والرجلين والساقين والرأس والأصابع و.... ؟!

(٢٦١) إنشاء فارغ وهذا يثبت أن هذا المصنف يحب تكثير الكلام فيما لا فائدة فيه ! والدليل عليه أن الأشاعرة أثبتوا الرؤية مع التنزيه وجمهورهم أول صفة اليد بالقدرة ، والوجه بالذات ، والساق بالشدة ، ومع ذلك أثبت المصنف وغيره بأن يقول بمقالتهم يكون معطلاً !

(٢٦٢) خوض بالتخبيص في ذات الله تعالى ! وهذا دليل فاسد !

(٢٦٣) كلام غير صحيح وهو فاسد !

الأشياء[٢٦٤] ، **ولما كان الله عز وجل رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه ، وإذا كان رائيا لها فجائز أن يرينا نفسه**[٢٦٥] ، كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمناها[٢٦٦] ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ طه : ٤٦ ، فأخبر أنه يسمع كلاً منهما ويراهما ، ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرَى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائياً ولا عالماً ولا قادراً ؛ لأن العالم والقادر الرائي جائز أن يُرى[٢٦٧] .

مسألة :

فإن قال قائل : قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ترون ربكم)[٢٦٨] يعني : تعلمون ربكم اضطراراً ، قيل له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة ، فقال : (فكيف بكم إذا رأيتم الله سبحانه) ، ولا يجوز أن يبشِّرهم بأمر يشركهم فيه مع الكفار[٢٦٩] على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ترون ربكم » وليس يعنى رؤية دون رؤية ، بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب .

دليل آخر : إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، من العيش السليم ، والنعيم المقيم ، وليس نعيم في

---

(٢٦٤) كلام باطل لا معنى له !

(٢٦٥) نتيجة باطلة مبنية على جرف هار فانهار به ! وهكذا تكون استدلات المفلسين المضحكة !!

(٢٦٦) إنك لا تعلم نفسه تعالى ومن المستحيل أن تعلمها كما أنه من المستحيل أن يُعْلِمَكَ نفسه ! ولا يعلم ذات الله أو حقيقته أو نفس المولى تعالى لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبي مرسل !

(٢٦٧) ما شاء الله على هذه الأدلة القاطعة ! التي هي فاسدة في الحقيقة !!

(٢٦٨) هذا جزء من حديث الصورة الطويل الذي في الصحيحين وهو حديث شاذ باطل فيه إشكالات كثيرة ، ومعارضة للثوابت الشرعية كما بيناه مراراً !

(٢٦٩) ولكن في الحديث أن هذه الأمة تبقى وفيها منافقوها فيرون الله ! والمنافقون كفار حقيقة لقوله تعالى ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾ !

الجنة أفضل من رؤية الله تعالى بالأبصار[٢٧٠] .

وأكثر مَنْ عبد الله تعالى عَبَدَهُ للنظر إلى وجهه الكريم ـ أرانا الله إيـاه بفضلـه ـــ فإذا لم يكن بعد رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت رؤية نبي الله أفضل لذَّات الجنة كانت رؤية الله عز وجل أفضل مـن رؤيـة نبيـه صلـى الله عليه وسلم .

وإذا كان ذلـك كذلـك لـم يحـرم اللـه أنبيـاءه المرسـلين ، وملائكتـه المقربيـن، وجماعة المؤمنين والصديقين ، النظر إلى وجهه الكريم ، وذلك أن الرؤية لا تؤثـر فـي المرئي ؛ لأن رؤية الرائي تقوم به . فإذا كان هذا هكذا ، وكانت الرؤية غـير مؤثّـرة فـي المرئي ، لم توجب تشبيهاً ولا انقلاباً عن حقيقة ولم يستحل علـى اللـه عـز وجـل أن يُرِي عباده المؤمنين نفسه في جنانه[٢٧١] .

مسألة في الرؤية

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يرى بالأبصار بقوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ الأنعام : ١٠٣ ، قالوا : فلما عطـف اللـه عـز وجـل بقولـه : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ على قوله : ﴿ لا تُدْرِكُـهُ الأَبْصَـارُ ﴾ ، وكـان قولـه : ﴿ وَهُـوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ على العموم أنه يدركها فـي الدنيـا والآخـرة ، وأنـه يراهـا فـي الدنيـا والآخرة ، كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ، دليلاً على أنه لا تراه الأبصار في الدنيـا والآخرة[٢٧٢] ، وكان في العموم كقوله : ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ ؛ لأن أحد الكلاميـن

---

(٢٧٠) هذا كلام إنشائي عاطفي بعيد عن الاستدلال بل مناقض للأدلة الصريحة الواضحة !

(٢٧١) كل هذا كلام مبني على عاطفة وعلى خيالات وأوهام وأدلة متهاوية ! فهو كلام غير صحيح !

(٢٧٢) وهذا استدلال صحيح وقوي وواضح وليس كاستدلالات المصنف المتكلَّفة ! كما يدل هـذا على أن المعتزلة باعتراف المصنف يحتجون بآيات القرآن الكريم وليس بالقواعد اليونانية ولا بكـلام أرسطو ! خلافاً لابن تيمية الحراني الذي شحن كتبه وخاصة منهاج البدعة والموافقة بـأقوال أرسـطو وأضرابه !

معطوف على الآخر ؟[٢٧٣]

قيل لهم : فيجب إذا كان عموم القولين واحداً ، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج : ٤٦ ، وقال : ﴿ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ ص : ٤٥ أي فهي بالأبصار ، فأراد أبصار القلوب وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين ، ويقول أهل اللغة : فلان بصير بصناعته ، يريدون بصر العلم ، ويقولون : قد أبصرته بقلبي ، كما يقولون قد أبصرته بعيني ، فإذا كان البصر بصر العين وبصر القلب لم أوجبوا علينا أن يكون قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ ؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر ، وجب عليهم بحجتهم أن الله تعالى لا يدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب ؛ لأن قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ ، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أخص من قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ وانتقض احتجاجهم[٢٧٤] .

وقيل لهم : إنكم زعمتم أنه لو كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ خاصاً في وقت دون وقت لكان قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ خاصاً في وقت دون وقت ، وكان قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الشورى : ١١ ، وقوله : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، وقوله : ﴿ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً ﴾ يونس : ٤٤ في وقت دون وقت ، فإن جعلتم قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ الأنعام : ١٠٣ خاصاً رجع احتجاجكم عليكم وقيل لكم : إذا كان قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ خاصاً ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ إنما أراد في الدنيا دون

---

(٢٧٣) هذا كلام فاسد لأنه مبني على إلزام فاسد ! وذلك لأن معنى الآية أن الخلق لا يرون الله والله تعالى يراهم ! يعني أنتم أيها الخلق لا ترون الله تعالى والله تعالى يراكم !

(٢٧٤) كلام ملتوٍ لا طائل من ورائه ! لأن المصنف جرد قول الله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ من أي معنى وطرز ذلك بكلام ملتوٍ منمق في الظاهر وليس ثم هناك كما ترى !

الآخرة ؟ وكما أن قوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض ، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها[٢٧٥] .

فإن قالوا : قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ يوجب أن لا يدرك بها في الدنيا والآخرة وليس ينفى ذلك أن نراه بقلوبنا ، ونبصره بها ، ولا ندركه بها .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بإبصار العيون ، و لا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه ، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها ، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها[٢٧٦] .

فإن قالوا : رؤية البصر هي إدراك البصر .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال : إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته[٢٧٧] ، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك فما أنكرتم أن يكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك[٢٧٨] .

مسألة :

---

(٢٧٥) لم أر في هذه الفقرة أي حجة ناهضة للمصنف تهدم الاستدلال بظاهر الآية الكريمة ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ على منع الرؤية في الدنيا والآخرة ! والظاهر أنه يريد تكثير الكلام ليوهم أنه قضى على حجج مَنْ يدعوهم هو والمجسمة بالجهمية مع أنه لم يأت بشيء مفيد أو مقنع يؤيد كلامه من كل هذه المقولات والتحليلات والاستشكالات !

(٢٧٦) كلام غير قائم وإنما هو تسويد الكتابة فيما لا دلالة فيه !

(٢٧٧) قولنا بأن الله يُعْلَم بالقلوب لا يعني أنه مدرك بالقلوب إذ الله تعالى لا يدرك ولا يعلم في الحقيقة ! وإنما يعلم أنه موجود حي قادر خالق .... الخ وهذا لا يعني إدراكاً ولا علماً بحقيقة ذاته ! وأنا أقول إن الله تعالى لا يدرك على الحقيقة لا بالعين ولا بالقلب ولا بالعقل وإنما ندركه إدراكاً مجازياً يعني نعلم أنه موجود ومتصف بالكمال وبما وصفه به أهل التنزيه !

فكلام المصنف مما لا يعول على ما فيه من إشكالات متهافتة !!

(٢٧٨) بل إن نظر العيون للشيء إدراكها له في كونه جسماً له حدود بخلاف علم القلوب بالشيء فإنه ليس كذلك !!

ويقال لهم : إذا كان قول الله سبحانه ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ ؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر ، فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمساً ولا ذوقاً[٢٧٩] ولا على وجه من الوجوه ؟

فَمَنْ قولهم : نعم ، فيقال لهم : أخبرونا عن قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمساً وذوقاً بأن يلمسها ؟ فمن قولهم : لا ، فيقال لهم : فقد انتقض قولكم إن قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ في العموم كقوله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ﴾[٢٨٠] .

مسألة : إذا قال قائل منهم : إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب .

قيل له : ولم زعمت هذا وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصراً[٢٨١] ، كما سموا بصر العين بصراً وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين ، وإذا لم نجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب .

مسألة : ويقال لهم : حدثونا عن قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ ما معناه ؟

فإن قالوا : معنى ﴿ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ﴾ أنه يعلمها .

قيل لهم : وإذا كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر ، وكان قوله تعالى :

---

(٢٧٩) المراد بالإدراك إذا اقترن بالأبصار هو الرؤية وليس اللمس والذوق فإن الله تعالى منزه عن اللمس والذوق عند من يثبت الرؤية فانتقض قول المصنف وإشكاله من إساسه !

(٢٨٠) كل هذا الكلام لا معنى له ولا فائدة منه ، وإننا نرى أن المصنف اخترع إشكالات في مسألة الرؤية وأظهر أنه أجاب عليها ولا ثَمَّ فائدة !

(٢٨١) وذلك لأن الله تعالى يعلم الخلق ولا خلاف في ذلك والآية تنبه هنا على النظر بالأبصار لا بالبصائر إذ يبعد أن يكون المراد ههنا العلم الذي هو بصر القلب ! ولذلك فإن إشكال المصنف بعيد بل باطل !

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ معناه يعلمها ، فقد وجب[٢٨٢] أن يكون قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ لا تعلمه ، وهذا نفى للعلم لا لرؤية الإبصار .

فإن قالوا : معنى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم .

قيل لهم : فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى .

فإن قالوا : نعم ، نقضوا قولهم[٢٨٣] : إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما نرى

---

(٢٨٢) لم يَجِبْ شيء بذلك !! لأنه لو كان أحد الكلامين معطوفاً على الآخر فإنه لا يوجب اتحاد المعنى كما يحاول أن يزعم المصنف ويوهم !! وهو يناقض نفسه بنفسه فقد قال فيما سيأتي ــ بعد نحو صفحة واحدة ـ أن قوله تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ أن العطف فيه يقتضي المغايرة ! وليس كذلك على التحقيق !

ثم إن قلنا بأن العطف متحد لنفس المعنى في مثل قوله تعالى ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ وقوله تعالى ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ وأمثالها فإن ذلك يكون كفراً كما هو معلوم !

فلا يغرنك تمنطق المصنف وأمثاله ومن يقلده في هذه الهرطقات !

(٢٨٣) كل هذا مبني من المصنف على باطل من القول ! فالله تعالى قال (لا تدركه الأبصار) فالفاعل هنا هو الأبصار والمقصود ذات الله تعالى فلا تراه الأبصار ، وأما الشطر الثاني فمختلف عن الشطر الأول لأنَّ نصه (وهو يدرك) والفاعل هنا هو الله تعالى إذ لم يقل : وبصره يدركهم وإنما قال (وهو يدرك هذه الأبصار) التي لا يمكن لها أن تراه ! فشطري الكلام غير متحدين حتى يصح كلام المصنف !

وبعبارة أوضح : إن قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ يتحدَّث عن الأبصار وإدراكها ؛ والمعلوم إن إدراك الأبصار هو النظر والرؤية لا العلم ، وأما الجملة الثانية وهي قوله تعالى ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ فتتحدَّث عما يدركه الله تعالى بنفسه ؛ ولا تتحدث عما يدركه بصره أو لا تتحدث عن بصره وما يراه سبحانه وهذا ـ الشطر الثاني ـ يحتمل فيه العلم ويحتمل البصر وبما أن الأبصار تعني عدة أمور منها العيون الباصرة أو القدرة على الإبصار أو المبصرات ؛ وبما أنه يدرك الأبصار من جميع جهاتها الثلاثة هذه فرجع ذلك إلى أن المعنى العلم وهو الأشمل ، وهذا من المشاكَلَة اللفظية ولم يعرف ذلك المصنف لأنه ضعيف في العربية !

ولذلك كان المقصود في الشطر الأول ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ النظر والرؤية ، وفي الشطر الثاني

الساعة ، فإن جاز أن يُرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات[٢٨٤] ، وهو الإبصار الذي في العين فلم لا يجوز أن يرى نفسه ، وإن لم يكن من جنس المرئيات ؟ ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات ؟[٢٨٥]

ويقال لهم : حدثونا إذا رأينا شيئاً فبصرنا يراه ، أو إنما يراه الرائي دون البصر ؟

فمن قولهم : إنه محال أن يرى البصر الذي في العين[٢٨٦] .

فيقال لهم : الآية تنفي أن تراه الأبصار ، ولا تنفي أن يراه المبصرون[٢٨٧] ، وإنما قال الله : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ ، فهذا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية الشريفة[٢٨٨] .

﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ العلم ! وبذلك ينهدم كلام المصنف وإشكاله واعتراضه !

(٢٨٤) ليس صحيحاً البتة ! إذ لا يجوز أن يُرَى الله تعالى ، ولا يجوز أيضاً أن يُرَى ما ليس من جنس المرئيات كالمشاعر والأفكار !

(٢٨٥) ولم يذكر الاحتمال الثاني وهو (وإن قالوا : لا) لأنه يهدم قوله فتنبه !

(٢٨٦) وبالتالي يكون مقتضى قوله كلام الله عبثاً لا معنى له ! والواقع أن الإنسان يراه ببصره أي بعينه ! ولكن المصنف يحب ههنا أن يطول ويعرض في الكلام ليوهم نفسه ومن يتبعه أنه أتى بما ينقض قول المعتزلة وغيرهم ! وهيهات !

(٢٨٧) كل هذه فلسفة باطلة لأنه كلام مجازي في أبعد صوره !

(٢٨٨) إلزامات باطلة ! لأن المراد بالآية لا يراه الناس وهو يراهم أو يعلمهم !

الباب الثاني

الكلام في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق

إن سأل سائل : عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق[٢٨٩] ؟

قيل له : الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ الروم : ٢٥ وأمر الله كلامه[٢٩٠] ، وقوله : فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يَهْوِيانِ كان قيامهما بأمره .

وقال عز وجل : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ الأعراف : ٥٤ ، فالخلق جميع ما خلق داخل فيه ؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاماً فحقيقته أنه عام ، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان ، فلما قال : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ ﴾ كان هذا في جميع الخلق ، ولما قال : ﴿ وَالأَمْر ﴾[٢٩١] ذكر أمراً غير جميع الخلق[٢٩٢] ، فدل ما

---

(٢٨٩) كل ما سيذكره المصنف من قوله بأن القرآن غير مخلوق باطل فاسد لمعارضته ومصادمته لقوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ الأنبياء : ٢ !! والآية التي ذكرها المصنف ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ لا علاقة لها بهذا الموضوع !!

(٢٩٠) ليس كذلك ! بل معناه : بقدرته وإرادته ؛ وممن نص على ذلك القرطبي الأشعري إذ قال في تفسير هذه الآية (١٤/ ١٩) : [أي قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد ؛ وقيل بتدبيره وحكمته ؛ أي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق ؛ وقيل بأمره بإذنه والمعنى واحد] . وقد ورد في القرآن الكريم مما يؤكد ذلك في مثل قوله تعالى ﴿ وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ﴾ أي بإرادته وقدرته سبحانه !

(٢٩١) معنى الآية : أن لله الخلق الذي هو الإبراز من العدم وما في السموات والأرض مما خلق وكذلك له الشأن أي شأن المخلوقات وتدبير أمرهم كخلق الرزق الذي ينتفعون به وغير ذلك ! وهذا مثل قوله تعالى لسيدنا رسول الله ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ أي في هذا الشأن الذي أنتم بصدده وفي القضية التي أهمَّتكم ! فالأمر هو القضاء أو الإرادة أو الشأن أو الأوامر الشرعية ، فيكون معنى الآية : له التكوين والتشريع ، وهذا بعيد عما فهمه المصنف بُعْدَ السماء عن الأرض .

قال الراغب في « المفردات » : [الأمر الشأن ، وجمعه أمور .... وهو لفظ عام للأفعال والأقوال

وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق(٢٩٣) .

كلها ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ إليه يرجع الأمر كله ﴾ ... وقوله ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ فعام في أقواله وأفعاله ؛ وقوله ﴿ أتى أمر الله ﴾ إشارة إلى القيامة] قلت : ومنه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي **الأَمْرِ** مِنْكُمْ ﴾ النساء : ٥٩ ، فأولي الأمر ههنا هم : إما الأمراء والملوك أو الأئمة من أهل البيت أو الفقهاء وأهل الدين المطيعون لله تعالى ، فلفظة الأمر لا تدل على ما أراد المصنف وغيره من إثبات أن القرآن المنزل إلينا غير مخلوق !!

(٢٩٢) ليس كذلك ! وهذا مُنْتَقِضٌ بمثل قوله تعالى ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ الرحمن : ٦٨ ، والنخل والرمان من أنواع الفاكهة كما يعلم ذلك العقلاء جميعاً ! فانهدم دليل المصنف الذي لا يتقن العربية ! والذي يقول في هذا الكتاب بأن (أيدٍ) ليست جمع يد !

قال المجد الفيروز أبادي في القاموس المحيط : [الفاكهة الثمر كله ، وقول مُخرِج التمر والعنب والرمان منها مستدلاً بقوله تعالى ﴿ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ باطل مردود] .

ومن الأمثلة الأخرى الموجودة في كتاب الله تعالى والتي تدحض قول المصنف بأن العطف ههنا يقتضي التغاير وتنقض دعواه وتهدمها قول الله تعالى ﴿ من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ البقرة : ٩٨ ، وسيدنا جبريل وميكال من الملائكة والعطف ههنا لم يقتض التغاير ولم ينف العطف ههنا أنهما من غير جنس الملائكة ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ الأحزاب : ٧ ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسيدنا نوح والمذكورين بعده عليهم الصلاة والسلام أجمعين كلهم من الأنبياء .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ البقرة : ٢٣٨ ، وعلى أي قول فالصلاة الوسطى هي من جملة الصلوات والعطف هنا لم يدل على تغاير ولم يقتضه !ومنه قوله تعالى ﴿ قالوا نعبد **إلهك وإله** ءابائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ﴾ وهذا نص قاطع إن العطف ههنا للإله لا يقتضي المغايرة بل هو إله واحد !

ومنه قوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ والمثاني السبعة هي من القرآن العظيم بلا تردد ولا مثنوية ! ولم يقتض ذلك مغايرة ولا اختلافاً في الجنس !

(٢٩٣) الأمر محدث مخلوق ودليله قوله تعالى ﴿ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق : ١ ، فبين الله تعالى أن الأمر يُحْدِثُهُ الله تعالى وما يحدثه الله لا يكون إلا مخلوقاً ! وبذلك انهدمت هرطقات وترهات المصنف الذي لا يتقن فهم العربية !

فإن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى في كتابه : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ ﴾ البقرة : ٩٨ .

قيل له : نحن نخصّ القرآن بالإجماع وبالدليل ، فلمّا ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كان من الملائكة ، ثم ذكرهما بعد ذلك كأنه قال : الملائكة إلا جبريل وميكائيل[٢٩٤] ، ثم ذكرهم بعد ذكر الملائكة فقال : ﴿ وَجِبْرِيل وَمِيكَائِيل ﴾ ، ولما قال : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ الأعراف : ٥٤ ، ولم يخص قوله : ﴿ الخَلْق ﴾ دليل ، كان قوله : ﴿ ألا لَهُ الخَلْق ﴾ في جميع الخلق ، ثم قال بعد ذكره الخلق ﴿ والأمر ﴾ فأبان الأمر من الخلق وأمر الله كلامه[٢٩٥] ، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق[٢٩٦] .

وقال سبحانه : ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْد ﴾ الروم : ٤ ، يعني : من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك ، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق[٢٩٧] .

دليل آخر: ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق ، قوله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ النحل : ٤٠ فلو كان القرآن مخلوقاً

---

(٢٩٤) كله إنشاء فارغ وباطل يريد أن يلف ويدور فيه لأجل أن يبعد الاستدلال بهذه الآية الكريمة التي تنقض دعواه ! وإلا فمن تأمل كلامه لا يجد حاجة للتخصيص بالإجماع والدليل في مثل هذا الموضع الذي لا يحتاج إلى هذا التعقيد والذي هو سهل وواضح في لغة العرب !

(٢٩٥) ليس كذلك كما بيناه ! بل أمره تدبيره لشؤون العباد !

(٢٩٦) بل ما ذكرناه يوجب بطلان كلام المصنف وعدم اعتباره !

(٢٩٧) ليس كذلك ! قال تعالى ﴿ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ الطلاق : ١ ، وقال الله تعالى ﴿ **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾ النساء : ٤٧ ، والأحزاب : ٣٧ ، وبه يسقط كلام المصنف !

والصواب أن الأمر ههنا معناه الشأن أو الإرادة وبنحوه قاله القرطبي في تفسيره (٦/١٤) حيث قال : [قوله تعالى ﴿ لله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ أخبر تعالى بانفراده **بالقدرة** وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته ؛ فقال ﴿ لله الأمر ﴾ أي إنفاذ الأحكام من قبل ومن بعد ، أي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها ، وقيل : من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء] .

لوجب أن يكون مقولاً له : ﴿ كن فيكون ﴾(٢٩٨) ، ولو كان الله عز وجل قائلاً للقول : ﴿ كن ﴾ لكان للقول قولاً ، وهذا يوجب أحد أمرين :

إما أن يؤول الأمر إلى أن قوله تعالى غير مخلوق ، أو يكون كل قول واقع بقـول لا إلى غاية(٢٩٩) ، وذلك محال ، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عـز وجـل قـولاً غير مخلوق .

سؤال : فإن قال قائل : معنى قول الله : ﴿ أن يقـول لـه كـن فيكـون ﴾ إنّمـا يكون فيكون .

قيل : الظاهر أن يقول له ، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلهـا كونـي هـو الأشياء ؛ لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلاماً للـه عـز وجـل(٣٠٠) ، ومَـن قـال ذلك أعظم الفرية ؛ لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنســان وفـرس وحمـار وغير ذلك كلام الله ، وفي هذا ما فيه(٣٠١) .

---

(٢٩٨) كل هذا وما سيورده المصنف باطل لا قيمة له ! لأن الآية الكريمة معناها : أيها الخلق اعلموا أن الله إذا أراد خلق شيء وإيجاده فلا بد لذلك الشيء أن يوجد ولا يستطيع أحد أن يمنـع وجـوده ! وليس معنى ذلك أن الله ينطق بحرفين همـا الكـاف والنـون عندمـا يريـد أن يوجـد شـيئاً ! إذ كيـف يخاطب العدم فيقال له (كن) وهل يقدر العدم على إيجاد شيء وإبرازه إلــى الوجـود أو هـل يقـدر الشيء على إيجاد نفسه والانتقال من العدم إلى الوجود ؟! (فيكـون) دون تكويـن اللـه لـه ؟! هـذه عبارة مجازية أو بلاغية ! كقوله تعالى عن القرآن الكريـم ﴿ لا يأتيـه البـاطل مـن بيـن يديـه ولا مـن خلفه ﴾ وليس له يدان حتى نأخذ بظاهر الكلام ! وكذلك الآية الكريمة التي نحن بصدد بيان معناهـا وبيان فساد استدلال المصنف بها على ما يريد !!

وإنني أتعجب منه كيف يذهب لجلب آيات لا دلالة فيها ويترك الواضح الصريح ؟! وليس وراء ذلك إلا لينصر ما يقوله الحنابلة ويشاغب على ما يقوله من يسميهم بالمعتزلة والجهمية وقولهم هو الحـق في الحقيقة !!

(٢٩٩) كل ذلك تصور فاسد واستدلال بخيال عاطل كاسد لا حقيقة له !

(٣٠٠) كل هذا الكلام وهذه الفرضيات باطلة وهي من خرط القتاد !

(٣٠١) ومَنْ يقول ذلك أيها الألمعي ؟!

فلما استحال ذلك ؛ صح أن قول الله للأشياء كوني غيرها ، وإذا كان غير المخلوقات فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقاً[٣٠٢] ، ويلزم من يثبت كلام الله مخلوقاً أن يثبت الله غير متكلم ولا قائل ، وذلك فاسد[٣٠٣] ، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقاً ، وأن يكون الله غير عالم .

فلمّا كان الله عز وجل لم يزل عالماً ؛ إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفاً استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفاً[٣٠٤] ؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت[٣٠٥] أو آفة[٣٠٦] ، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون

---

(٣٠٢) استنتاج باطل بل كلام الله مخلوق لقوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم **مُحْدَث** إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ .

(٣٠٣) بل كلام المصنف هو الفاسد ! لأنه يريد بهذا القول أن يثبت بأن معنى متكلم أنه ناطق ولافظ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! قال العلامة المحدث الكوثري رحمه الله تعالى في المقالات (مقالة بدعة الصوتية حول القرآن) ص (٢٧) : [وإنما القديم هو المعنى القائم بالله سبحانه بمعنى الكلام النفسي **في علم الله** جل شأنه في نظر أحمد بن حنبل وابن حزم ، وقد صح عن أحمد قوله في المناظرة : ((القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق))] وكذا قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (١٠/ ٤٤٧) : [قلت : لأنه ـ أي القرآن ـ من علم الله وعلم الله لا يوصف بالحدث] .
والحنابلة نقلوا عن أحمد بن حنبل أن كلامه تعالى من علمه وذلك في ((اعتقاد أهل السنة)) للالكائي (٢/ ٣٥٤) وسنة عبد الله بن أحمد (١/ ١٠٢و١٠٣) .

(٣٠٤) ما شاء الله ! كل هذا الكلام مما لا فائدة فيه .

(٣٠٥) فهذا تصريح من المصنف بتنزيه الله عن السكوت وهذا خلاف ما يعتقده ابن تيمية الحراني الذي يعتقد أن الله يتكلم أحياناً ويعبِّر عن ذلك بقوله يتكلَّم إذا شاء ، ويسكت إذا شاء أي أحياناً !! وهذا يؤكد لنا أن الكلام عنده هو النطق والتلفظ !! ذكر ابن تيمية عقيدة السكوت الفاسدة هذه في مجموع الفتاوى (٨/ ٣٨٤) و (١٧/ ١٦٦) و (٦/ ١٦٠و١٧٨) والعقيدة الأصفهانية (١/ ٥٦و٥٧) ودرء التعارض (٢/ ٧٨) والفتاوى الكبرى (٥/ ١١٧) وموافقة صريح المعقول المطبوع على هامش منهاج سنته (٢/ ٣٨) .

(٣٠٦) يعني بالآفة الخرس وكل ذلك خيالات فاسدة ! فإن القوم الذين منهم المصنف والمجسمة لا يريدون أن يقروا بأن الله تعالى لا يدرك ولا يدخل في إدراك العقول والأفهام فكل ما يتصورونه في ذلك فالله بخلاف ما هنالك !

معه علم جهل أو شك أو آفة ، ويستحيل أن يوصف ربنا جــل وعـلا بخـلاف العلـم ، **وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات** ، فوجــب لذلـك أن يكون لم يزل متكلماً ، كما وجب أن يكون لم يزل عالماً .

دليل آخر: وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ الكهف : ١٠٩ ، فلو كانت البحار مداداً للكتبــة لنفـدت البحـار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي ، كما لا يلحق الفناء علم اللـه تعـالى ، **ومَنْ فَنِيَ كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت ، فلمّـا لـم يجـز ذلـك علـى ربنـا سبحانه صح أنه لـــم يـزل متكلمـاً ؛ لأنـه لـو لـم يكـن متكلمـاً وجـب السـكوت**[٣٠٧] **والآفات** ، تعالى ربنا عن قول الجهمية علواً كبيراً .

فصل

وزعمت الجهمية ـ كما زعمت النصارى ـ أن كلمة الله تعالى حواها بطـن مريـم رضـي اللـه عنهـا وزادت الجهميـة عليهـم فزعمـت أن كـلام اللـه مخلـوق حَـلَّ فـي شجرة[٣٠٨] ، وكـانت الشـجرة حاويـة لـه ؛ فـلزمهم أن تكـون الشـجرة بذلـك الكـلام متكلّمة[٣٠٩] ، ووجب عليهم أن مخلوقاً من المخلوقين كلــم موسـى صلـى اللـه عليـه

(٣٠٧) لم يقل الجهمية ولا غيرهم بأن الله يسكت بل الذين قالوا ذلك بعض الحنابلة وبعض مغفلي المحدثين والكرامية وهذا الرجل يتصور أن الله تعالى ينطق وإذا لم ينطق فمعنـاه سـاكت أو أخـرس وكل ذلك من قياسه الله تعالى على خلقه والله أعلى وأجل وأعظم من كل هرائه وهذيانه هذا !

(٣٠٨) الحق أن الله تعالى خلق صوتاً صدر من الشجرة يعبر عن مـراده تعـالى لأنـه قـال فـي كتابه العزيز ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَـا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ القصص :٣٠ ، فبين الله أن الصوت أو النداء صدر من الشــجرة واللـه مـنزه أن يحل في الشجرة وفــي الكـون كلـه ، فلـم يبـق معنـى لذلـك إلا أن اللـه تعـالى خلـق صوتـاً صـدر من الشجرة !

فما زعمته الجهمية هو الصواب وما يَدَّعيه المصنف هو الهذيان الفاسد !

(٣٠٩) آله التسجيل أو (الراديو) المذياع غير متكلمة ولكن أصوات الخلق المسجلة فيهـا تصدرهـا

وسلم ، وأن الشجرة قالت : يا موسى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني[٣١٠] .

فلو كان كلام الله مخلوقاً في شجرة لكان المخلوق قال : يا موسى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني[٣١١] ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأملأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ السجدة : ١٣ وكلام الله من الله تعالى[٣١٢] ، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقاً في شجرة مخلوقة[٣١٣] ، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقاً في غيره ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[٣١٤] .

مســألة : ويقال لهم : كما لا يجوز أن يخلق الله إرادته في بعض المخلوقات ، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات[٣١٥] ، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد بها ، وذلك

بذبذباتها ! ولو كان المصنف في هذا العصر لعرف بطلان كلامه بوجود آلات التسجيل والرائي (التلفزيون) ! على أن الشجرة لم تسجل صوت الله تعالى إذ أنه سبحانه منزه عن الصوت والحرف واللغة والنطق وهو المتكلم العليم !

ولا ضير في أن يجعل الله الشجرة متكلمة خرقاً للعادة والله على كل شيء قدير !

(٣١٠) ليس أمامك أيها المصنف الذي تظن وتتخيل بأنك تأتي بقواطع الأدلة إلا أن تقول إما أن الله تعالى حل في البقعة المباركة وفي الشجرة وقال لسيدنا موسى أقبل إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وهذا مستحيل ! وإما أن تقول بأن الله خلق كلاماً أي صوتاً صدر من الشجرة وهذا هو الذي لا بد للعاقل أن يصير إليه !!

(٣١١) هل تقول إذن أن الله حل في شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة في الشجرة ؟! ولماذا ذكر الله تلك الآية المبينة أن الكلام صدر من الشجرة ؟!

(٣١٢) نعم منه خلقاً وتكويناً لا نطقاً وصوتاً وجزءاً !! خلافاً لما يدعي المصنف ويزعم !

(٣١٣) بل يجوز ! بل هو الواجب الشرعي المحتم الذي لا فرار من القول به !!

(٣١٤) إي والله ! تعالى الله عما يقول هذا المصنف علواً كبيراً !!

(٣١٥) كل هذا الكلام بناه المصنف على أن الله حسب تصوره ينطق ويتكلم بهذه الحروف والأصوات ! وهذا قول من لم يعرف التوحيد ولا يصلح أن يكون إماماً مقتدى فيه ! بل هذا قول مبتدع لا عبرة بقوله لأنه لا يدري ما يقول ! ويقيس الخالق على المخلوق !

يستحيل ، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق ؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به ، ويستحيل أن يكون كلام الله كلاماً للمخلوق .

دليل آخر : ومما يبطل قولهم إن الله قال مُخْبِراً عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ المدثر : ٢٥ يعني : القرآن .

فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولاً للبشر ، وهذا ما أنكره الله على المشركين ، وأيضاً فلو لم يكن الله متكلماً حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله ، ولم يكن قائلاً لها : كوني ، وهذا رَدٌّ للقرآن ، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام .

فصـــل

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن قول الجهمية : (إن كلام الله مخلوق) ، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم ، لو كان لم يزل غير متكلم ؛ لأن الله تعالى يخبر عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه لما قالوا له : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ الإنبياء : ٦٢-٦٣ ، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة[٣١٦] ، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم ، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلها ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه وتعالى في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلماً .

دليل آخر : وقد قال الله تعالى مخبراً عن نفسه أنه يقول : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ غافر : ١٦ ، وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول ولا يرد عليه أحد شيئاً ، فيقول :

---

(٣١٦) انظروا كيف يقول بمفهوم المخالفة بأن الله ينطق !! تعالى الله عن قوله !!

﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ غافر : ١٦ ، فإذا كان الله قائلاً مع فناء الأشياء ؛ إذ لا إنسان ولا مَلَك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر ، فقد صح أن كلام الله خارج عن الخلق ؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود .

دليل آخر : وقد قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾[٣١٧] النساء : ١٦٤ ، **والتكليم هو المشافهة بالكلام**[٣١٨] ، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالاً في غيره ،

---

(٣١٧) ليس في هذه الآية دليل على أن الله تعالى نطق بحرف أو صوت أو رفع الحجاب عن سيدنا موسى فأسمعه ما ليس بحرف ولا صوت ولا من جهة ، بل قد أفاد القرآن الكريم أن الله تعالى خلق صوتاً أصدره من الشجرة ومن وسط النار كلَّم بواسطته سيدنا موسى عليه السلام ، ودليل هذا قوله تعالى ﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ القصص : ٣٠ .

وهذا مثل النداء الذي حصل لسيدنا إبراهيم في قوله تعالى ﴿ وناديناه أن يا إبراهيم ﴾ الصافات : ١٠٤ ، وقوله تعالى عن سيدنا آدم عليه السلام والسيدة حواء ﴿ وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ الأعراف : ٢٢ .

ومما يتعلق بهذا الموضوع ويتمم المعنى : قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ الشورى : ٥١ وهذه الآية تنفي انحصار التكليم أو الكلام بالمشافهة ، وقال تعالى ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ **يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ** ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ البقرة : ٧٥ ، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا ءَايَةٌ ﴾ البقرة : ١١٨ ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ **حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ** ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ التوبة : ٦ ، وقال تعالى ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الزمر : ٧١ .

(٣١٨) والعياذ بالله تعالى ! إن كان التكليم هو المشافهة لغة وليس غيره فالمشافهة حصلت بين الصوت الذي خلقه الله تعالى في الشجرة وبين سيدنا موسى عليه السلام ! إذ يستحيل أن يحل الله تعالى في شجرة أو يختفي وراءها لأنه سبحانه ليس بجسم ولا عَرَض ! والمنحرفون عن القرآن في العقيدة كلما سمعوا ذكر الشجرة تشنجوا واضطربوا وتضايقوا منها ولم يسلموا لأمرها الجائي في الكتاب الكريم من كلام رب العالمين !

وسيدنا عيسى عليه سلام الله تعالى كلمة الله ولا يعني أنه عبارات وألفاظ ! قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ **بِكَلِمَةٍ** مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ آل عمران : ٤٥ !

مخلوقاً في شيء سواه[٣١٩] ، كما لا يجوز ذلك في العلم[٣٢٠] .

دليل آخر : وقال الله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لـم يلـد ولـم يولـد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ ، فكيف يكون القرآن مخلوقاً وأسماء الله في القرآن[٣٢١] ؟

هذا يوجب أن تكون أسماء اللـه مخلوقـة ولـو كـانت أسـماؤه مخلوقـة لكـانت وحدانيته مخلوقة وكذلك علمه وقدرته[٣٢٢] ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

دليل آخر : وقد قال الله تعـالى : ﴿ تَبَـارَكَ اسْـمُ رَبِّـك ﴾ الرحمن : ٧٨ ، ولا يقـال لمخلوق تبارك فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة[٣٢٣] ، وقال : ﴿ وَيَبْقَـى وَجْـهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن : ٢٧ فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة[٣٢٤] .

---

(٣١٩) كيف يقول الله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ٦ ، والمشرك لن يكلمه الله تعالى بمعنى يسمع حروفاً وأصواتاً صادرة منه تعالى وإنما يسمع كـلام اللـه تعالى الذي يقوم بالأشخاص ويصدر عنهم فبطل إشكال المصنف وإيهامه ! وفسد اعتراضه !

(٣٢٠) بل يجوز أن يقوم علم الشافعي في شخص آخر استوعبه أو فهمه أو اعتقده !!

(٣٢١) هذا دليل فارط لأن الأسماء غير المسميات فـأنت إذا نطقـت أو كتبـت اسـم الرحمـن فهـذا الاسم غير المسمى وهو اللـه تعـالى ! والمصنـف لا يـزال يُشَـرِّقُ ويغـرّب لينصـر مذهـب الحنابلـة والمحدِّثين الباطل العاطل !

(٣٢٢) ليس كذلك ! لأن الاسم هو لفظ يدل على الصفة ، وأما العلم والوحدانية فليست ألفاظاً تدل على صفات بل حقائق عنده ! مع أن الصفة : لفظ يدل على ما تتميز به الذات .

(٣٢٣) قال النووي في ((شرح مسلم)) (٦/ ٥٩) : ((وقال ابن الأنباري : تبارك العبـاد بتوحيـدك)) وفي هذا جواز إطلاق تبارك على مخلوق !!

وكل الألفاظ والأسماء مخلوقة ومجعولة وما يزعمه المصنف سفسطة باطلة ! وفي تفسـير الجلاليـن أن (لفظ اسم زائد) وأصل الكلام (تبارك ربك ذو الجلال والإكرام) وهذا مثل قوله تعالى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال صاحب الجلالين : (أي نَزِّه ربك عما لا يليق به واسم زائد) .

(٣٢٤) من أين لك هذا ؟! بل يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة ! وأما وجهه سبحانه فمعناه ذات اللـه تعالى وليس المراد بذلك العضو المعروف كما يريد المصنف ويتخيل ! وأسماء الله تعالى غيره وكل ما سواه فهو مخلوق ! وتقدم قبل قليل أن الأسماء ألفاظ تدل على المسمى !

دليل آخر : وقد قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إلا هُـوَ[٣٢٥] وَالْمَلائِكَـةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ ﴾ آل عمران : ١٨ ، ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة ، وسمعها من نفسه[٣٢٦] ؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له[٣٢٧] ، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات ؛ أو بعد كون المخلوقات ، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات ؛ فلم تسبق شهادته لنفسه بالإلهية الخلق ، وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق[٣٢٨] ، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده[٣٢٩] ، وأن يكون واحداً قبل الخلق[٣٣٠] ؛ لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمستحيل[٣٣١] ، وإن كانت شهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكون كلام الله تعالى مخلوقاً ؛ لأن كلام الله شهادته[٣٣٢] .

دليل آخر : ومما يدل عليه بطلان قول الجهمية[٣٣٣] ، وأن القرآن كلام الله غير

---

(٣٢٥) شهد الله أنه لا إله إلا هو فيما أنزله لنا في كتابه العزيز والمصنف يتخيل أن الله تعالى نطق بألفاظ وكلمات أسمع نفسه بها !!

لأنه دائماً يتخيله إنساناً ينطق وله شكل البشر وأفعالهم !! تعالى الله عن عقله وتفكيره علواً كبيراً !

(٣٢٦) هذا تخبيص وهرطقة وقول بلا علم والمصنف آثم فيه أشد الإثم !

(٣٢٧) ترهات ونظريات فارغة تدل على قلة عقله وحبه للشغب الذي ليس من ورائه إلا التشويش بالباطل على خصومه !

(٣٢٨) كله كلام فارط وفاسد لا قيمة له !!

(٣٢٩) ما شاء الله !! هذا تخيل فاسد !

(٣٣٠) الله تعالى واحد قبل الخلق وبعدهم ولا دخل لهذا الهذيان بمعنى الكلام ! والمصنف يحب التهويل المزيف !

(٣٣١) مضحك والله ! وهذا هو خرط القتاد !!

(٣٣٢) نتائج مضحكة !

(٣٣٣) بل قول الجهمية ومذهبهم هو الصواب ومذهب المصنف هو الهراء الفارغ وخاصة حينما يتزلف وينافق للحنابلة والبربهاري ! ليرضى عنه ! ولم يرض عنه !

مخلوق : أن أسماء الله من القرآن[٣٣٤] ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾ الأعلى : ٢ ولا يجوز أن يكون اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى مخلوقاً[٣٣٥] ، كما لا يجوز أن يكون ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ الجن : ٣ مخلوقاً ، قال الله تعالى في سورة الجن : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ﴾ الجن : ٣ ، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً[٣٣٦] .

دليل آخر : وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إلا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء** ﴾ الشورى : ٥١ فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقاً في شيء مخلوق ؛ لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى ؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه ـ بزعم الجهمية ـ مخلوقاً في غير الله تعالى ، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين[٣٣٧] .

---

(٣٣٤) وكما أن أسماء الله تعالى من القرآن فأيضاً الشيطان والإنسان والأنعام والأرض وغيرها من المذكورات في القرآن فكيف تكون مخلوقة بمنطقك السخيف السقيم ؟! أي أن ذِكْرها في القرآن حسب تفكيرك وكونها من القرآن يدل على أنها غير مخلوقة وهذا باطل من القول أيها المصنف المتنطع !

(٣٣٥) قال لك صاحب تفسير الجلالين : (أي نزه ربك عما لا يليق به واسم زائد) ، ولو كان المصنف عاقلاً لما وصف الاسم بأنه هو الأعلى وأنه هو الذي خلق فسوى لأن هذه هي أوصاف الله تعالى لا أوصاف اسمه ، ولكن الرجل ضعيف في العربية !

(٣٣٦) هذا كلام من الترهات ! فلو عرَّف لنا المصنف ما هو معنى (جد ربنا) عنده وما هو تعريف عظمته تعالى لأجبناه ! فكان عليه أن يُعَرِّفنا هل عظمة الله غير الله تعالى أم هي الله تعالى وعليه نجيبه !

(٣٣٧) ليس كذلك ! بل تميز الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنزول الوحي إليهم ومخاطبة الملك الجائي من السماء بأمر الله تعالى والكلام من وراء الحجاب كمثل خلق الصوت في الشجرة ، وأرسل الرسل إلى الناس إذ أوحى للرسل عليهم الصلاة والسلام بواسطة الملك وغيره أمره ووحيه فأسمع جميع الخلق كلامه الذي خلقه وأوجده في اللوح المحفوظ كما زعمت الجهمية والأشعرية والمعتزلة وغيرهم من فرق ومذاهب المسلمين ما خلا أهل الحشو من المشبهة والمجسمة الذين قالوا بأن كلامه قديم النوع حادث الأفراد كما يزعم الشيخ الحراني في ((منهاج سنته))

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة ؛ أن يكون مَن سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى[٣٣٨] ؛ لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل ، وإنما سمعه من شجرة ، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى صلى الله عليه وسلم ؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله وموسى سمعه مخلوقاً في شجرة[٣٣٩] ، ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكن مُكَلِّمَاً لموسى من وراء حجاب ؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان ، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب .

(١/ ٢٢٤المطبوع بهامشه الموافقة) وكذا في موافقة معقوله لمنقولة !

(٣٣٨) هذا اللازم باطل مردود وهو من هذر الكلام الذي لا معنى له ! وذلك لأن إبليس خاطبه الله تعالى فقال له : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ص : ٧٥ ، وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما سمعا كلام الله تعالى بواسطة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سمعه منه صلى الله عليه وآله وسلم أبو لهب وأبو جهل وغيرهم من الكفار فيعني هذا عند هذا المصنف المسكين أن إبليس أفضل من أبي بكر وعلي ، وأن أبا بكر وعلي يتساويان مع أبي لهب وأبي جهل لاستواء الكل في سماع القرآن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم !

وهكذا يُفَكِّرُ هذا المصنف في المسائل ! فلو كان لديه عقل يفكر به لعلم أن هذا الذي ذكره ليس من أوجه التفضيل ! وبهذا تعلمون لماذا أقول في المتن (وعقلاء أهل السنة أو عقلاء الأشاعرة أو نحو هذا) !!

ويلزم من كلام المصنف الفارط الباطل أن فرعون وإبليس أفضل من سيدنا أبي بكر وسيدنا علي والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة لأن فرعون وإبليس مذكوران باسمهما في القرآن خلافاً لأبي بكر وعلي والحسن والحسين رضي الله عنهم !! وعلى هذا فقس حسب قياسات المصنف البديعة الدالة على عبقريته !!

(٣٣٩) تقدم في الحاشية السابقة تفنيد هذا الخرط وأنه على مقتضاه يكون إبليس الذي خاطبه الله بقوله ﴿ ما منعك أن تسجد ... ﴾ أفضل من البخاري مثلاً الذي سمعه من أتباع التابعين أو قرأه من الصحف والأوراق !!

مســـألة : ثم يقال لهم : إذا زعمتم إن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاماً كلمه به في الشجرة وقد خلق الله عندكم في الذراع كلاماً ؛ لأن الذراع قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تأكلني فإني مسمومة(٣٤٠) ، فيلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى ، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه يستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة ؛ لأن الكلامَ المخلوقَ لا يكون كلاماً لله ، فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلَّمَ عندكم أنه خلق الكلام ؛ فيلزمكم أن يكون الله متكلماً بالكلام الذي خلقه في الذراع(٣٤١) ، فإن أجابوا إلى ذلك ؛ قيل لهم : فالله تعالى على

---

(٣٤٠) لم يصح أن الذراع تكلمت حتى يصح كلام المصنف هذا الذي يُشْكِلُ به على خصومه ! وما جاء في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال (أخبرتني أنها مسمومة) لا يعني أنها نطقت بذلك ! بل هذا من المجاز مثل ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ وما ثَمَّ قولٌ ! بل أورد ابن سعد في الطبقات (٢/٢٠٢) أنهم عرفوا ذلك بطرح جزء منها لكلب فأكل منها فمات ، وإلا فلو أخبرته الشاة أو ذراعها بأنها مسمومة لما أكل منها صلى الله عليه وآله وسلم لقمة ولما أكل منها سيدنا بشر بن البراء فمات رضي الله عنه ! وإنما أخبرته الذراع أو الشاة بمعنى أن طعمها وما ذاقه منها حين أكلها عرف منه أنها مسمومة ! أو أن سيدنا جبريل أخبره أنها مسمومة !

وبذلك يبطل إشكال المصنف ههنا من أساسه !

على أنه لو ثبت أن الذراع تكلمت فلا يدل ذلك على أن الله تعالى لم يخلق الكلام في الشجرة ! والظاهر أن الشجرة هي عقدة حياة وفِكْرِ المصنف ومن يقول بقوله من المشبهة والمجسمة لأنهم عندما يقرأون ويسمعون كلام مَنْ يحتج بالآية الكريمة التي فيها ذكر الشجرة والبقعة المباركة ولا يجدون لها حلاً إلا أن يكون الله تعالى قد حل في الشجرة فإنهم يصعقون ويتعقدون من هذه الآية ويلفون ويدورون لرد ما فيها فما عليهم إلا كما قال الله تعالى ﴿ ويسلموا تسليماً ﴾ أو ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ !!

(٣٤١) ولو كان المصنف يعقل لذكر لنا ما هو الفرق بين كلام الله تعالى الذي نسمعه من فلان وبين النبي الذي نسمعه من نفس الشخص أو نفس آلة التسجيل ؟! حيث أن كلاً منهما مسموع وكلاً منهما مكون من حروف وأصوات وباللغة العربية ! وخاصة أنه قد روي في صحيح مسلم (١٠٥٠) أن من جملة الآيات التي كان أبو موسى يحفظها في سورة كانت مثل سورة براءة في الشدة والطول قوله

قولكم هو القائل : (لا تأكلني فإني مسمومة)[٣٤٢] تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علواً كبيراً .

وإن قالوا : لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في ذراع ، قيل لهم : وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شجرة[٣٤٣] .

مسألة : ثم يسألون عن الكلام الذي أنطق الله تعالى به الذئب[٣٤٤] لما أخبر عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فيقال لهم : إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام خلقه في غيره ، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلاماً لله[٣٤٥] ، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام

تعالى (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) مع أن نحو هذا الكلام مروي في صحيح البخاري (٦٤٣٦) عن ابن عباس أنه من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما هو الفرق بينهما ؟

(٣٤٢) أسأل هذا المصنف المسكين فأقول له وللمفتونين برأيه : من قال من الناس بأن الله تكلم من ذراع الشاة وما هو الداعي لذكر كلام ذراع الشاة وما علاقته بالكلام الذي خلقه الله في الشجرة ؟ مع أنه لم يثبت بأن الذراع تكلمت وليس هناك ثَمَّ قول !!!

(٣٤٣) عادة المصنف وابن تيمية الحراني بعده اختراع الأسئلة المغلوطة الفارطة واختراع الأجوبة الركيكة التي هي أفرط !! ويضعونها على لسان خصومهم وينسبونها لمخالفيهم ويتخيلون أنهم أجابوا عليها وجاءوا بما يقطع جهيزة كل خطيب !

(٣٤٤) هذه مبنية حسب عقل المصنف وأفكاره على قضية خلق أفعال العباد وخصومه يخالفونه فيها !! فالله تعالى أيضاً أنطقك أنت أيها المصنف وأنطق الخلق جميعاً وبما أن الأفعال خلق الله تعالى عند المصنف فجميع أقوالهم هي قوله تعالى لأنها هي واختيارهم مخلوق لله تعالى عنده وحسب ما يعتقد ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ حملاً لها على غير المراد ! وبذلك صار قول ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ أنطق الله تعالى به إبليس وخلقه فيه فهو قوله تعالى بنظر المصنف ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

وبهذه الطريقة يلزم المصنف خصومه بكلام لا يقولونه !

(٣٤٥) لأن الذئب حي مختار والشجرة جماد هذا من جهة ! ومن جهة أخرى أخبرنا أن الله تعالى بأن الكلام الذي كان من الشجرة هو كلامه تعالى بنص القرآن ! فهل ينكر ذلك المصنف ! ولم

الله ، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به وأنه كلام الله تعالى ؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز ؛ كما أن كونه من الشجرة معجز ، فإن كان الذئب متكلماً بذلك الكلام المنقول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في الشجرة(٣٤٦) ، وأن يكون المخلوق فيه قال : يا موسى إني أنا الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ثم يقال لهم : إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقاً في غيره عندكم فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقاً في شيء ، وهو حق أن يكون كلاماً لله سبحانه(٣٤٧) ؟

فإن قالوا : لا تكون الشجرة متكلمة ؛ لأن المتكلم لا يكون إلا حياً .

قيل لهم : ولا يجوز خلق الكلام في شجرة ؛ لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حياً ، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي(٣٤٨) ؟

ويقال لهم : لم لا قلتم إنه يقول من ليس بحي ؛ لأن الله عز وجل أخبر أن

يخبرنا سبحانه بأن كلام الذئب هو كلامه سبحانه !

وهكذا يضيع المصنف ومن يقول بقوله في هذه الأمور !!

(٣٤٦) لا بد للمصنف أن يقول مُكْرَهاً بأن كلامه سبحانه كان مخلوقاً في الشجرة وإلا لزم أن يكون الله تعالى حالاً في الشجرة ! تعالى الله عن الحلول في الأمكنة والأجسام ! وآية الشجرة الكريمة المباركة بددت شمل أفكار المصنف وعقيدته ولهذا كانت من عُقَدِ حياته ! وكذا من يوافقه !

(٣٤٧) لا نقول بأنه كلامه سبحانه إلا إذا أخبرنا الله في كتابه في مثل آية الشجرة أو أخبرنا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في نص مقطوع عنه ! وما سوى ذلك خرط قتاد من المصنف !

ومنه قوله سبحانه ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ** وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فصلت : ٢١ .

(٣٤٨) كلام مردود لا معنى له كل ما يورده المصنف هو لمعارضة قول الله تعالى الصريح ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ والراديو ليس حياً وهو يتكلم !!

ولا أدري ماذا يقول في قول النار ﴿ هل من مزيد ﴾ وفي السماء والأرض ﴿ أتينا طائعين ﴾ ؟!!

السموات والأرض ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[٣٤٩] فصلت : ١١ .

مسألة : ثم يقال لهم : أليس قد قال الله عز وجل لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّين ِ﴾ ص : ٧٨ ؟ فلا بد من نَعَم .

قيل لهم : فإذا كان كلام الله مخلوقاً وكانت المخلوقات فانيات ؛ فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت ، فيكون إبليس غير ملعون[٣٥٠] ، وهذا ترك دين المسلمين[٣٥١] ، ورَدٌّ لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾[٣٥٢] ص : ٧٨ ، وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين ؛ وهو يوم الجزاء ، وهو يوم القيامة ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يعني يوم الجزاء ، ثم هي أبداً في النار واللعنة كلام الله وهو قوله : ﴿ عليك لعنتي ﴾ ، فقد وجب أن يكون الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء ، وأنه غير مخلوق ؛ لأن المخلوقات

---

(٣٤٩) قولهما ﴿ أتينا طائعين ﴾ مجازي ! لأنه ليس هناك ثَمَّ قول وهذا معروف في لغة العرب ! انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان عند قوله تعالى ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم ... ﴾ !! فكلام المصنف ههنا ضعيف !

(٣٥٠) ذكرني المصنف بحجج جحا عند مثل هذه الاستدلالات الفاسدة ! فإذا كانت أدلة كون القرآن غير المخلوق بهذه الصورة وهذا المنطق فالقرآن مخلوق جزماً !

وعلى هذا فإن أقوال الرسول المخلوقة عنده عندما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوفاة هي الفناء وهو معنى قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك .. ﴾ فتكون أقوال الرسول وإرشاداته وأمره ونهيه ولعنه لأبي لهب وأبي جهل وإبليس قد فني ولم يبق !! وهذا خلاف الواقع الملموس من بقائه واستمرار تشريعاته الشرعية ! إلا أن يقول بقدم كلام الرسول !! فإن جن وقال بقدمه ! قلنا له : وأقوال الشافعي والبخاري وأبي حنيفة مخلوقة ألم تفن بموتهم أم بقيت ! فإن قال قديمة أيضاً قلنا له : عظم الله أجركم وأحسن الله عزاءكم !

(٣٥١) ما شاء الله على هذه النتائج ! يريد بأي طريقة أن يكفِّر خصومه ! وهو واقع في طامات فظيعة !

(٣٥٢) لم يَرُدَّ هذه الآية أحد من المؤمنين والمسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم وهذا افتراء واضح كالشمس في رابعة النهار وإلا فليقل لنا أين رد خصومه ومخالفوه هذه الآية ؟!

يجوز عليها العدم ، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق[٣٥٣] .

مسألة : ثم يقال لهم : إذا كان غضب الله غير مخلوق ، وكذلك رضاه وسخطه[٣٥٤] ، فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق[٣٥٥] ؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى ، حتى لا يكون راضياً عن أوليائه ولا ساخطاً عن أعدائه وهذا هو الخروج عن الإسلام[٣٥٦] .

مسألة : ويقال : خبرونا عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ النحل : ٤٠ أتزعمون أن قوله للشيء كن مخلوق مراداً لله[٣٥٧] ؟

فإن قالوا : لا ، قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق ، كما زعمتم أن قول الله للشيء كن غير مخلوق[٣٥٨] .

---

(٣٥٣) بعدما بيناه في الحاشية السابقة والتي قبلها يتبين أن كلام المصنف هنا باطل مردود !

(٣٥٤) وما تقول في رزقه تعالى ؟ هل هو مخلوق أم قديم أيها الألمعي ! وهل ذهب الآن سخط النبي على أبي لهب وفني بفناء أبي لهب أم ظل باقياً أيها الألمعي ؟

(٣٥٥) لأن المراد بكلامه هو هذا القرآن الكريم الذي أنزله إلينا وهذا مخلوق قطعاً ! خلافاً للرضى والسخط فهي أوصاف تقتضي إرادة الثواب والإكرام والعطاء أو منعه مع العقاب !

(٣٥٦) يلف المصنف ويدور عبثاً لتكفير كل من يخالفه في هذه القضية التي يتبناها والتي هي أصلاً مخالفة لصريح نص القرآن ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَث .. ﴾ !!

(٣٥٧) طبعاً هو غير فاهم لهذه الجملة أو يتظاهر بعدم فهمها وكلاهما مُرٌّ !

لأن هذه الآية الكريمة معناها كما قدَّمنا مراراً أي : إذا أراد الله إيجاد شيء فلا بد أن يوجده ولا يستطيع أحد أن يمنع ذلك ! ولا تعني هذه الجملة أن الله تعالى ينطق بحرفين عند خلق الأشياء وهما حرف الكاف وحرف النون ! كما يتوهم المصنف أو يتخيل ! ثم لو أخذنا الكلام على ظاهره كما يريد نقول : كيف يخاطَب العدم ؟ فيقال له كن ؟ وهل العدم قادر على إيجاد نفسه إذا أمر بـ (كن) ؟ أم الموجد هو الله تعالى ؟ إذا عرفت هذا كله تبين لك فساد قول المصنف في كلامه الآتي بعد هذا !

(٣٥٨) لم يزعم أحد فيما أعلم أن حرفي (كن) غير مخلوق ؟ وإذا عاند معاند وكابر فليعلمنا مَنْ

وإن زعموا أن قول الله للشيء كن مخلوق .

قيل لهم : فإذا زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ النحل : ٤٠ ؛ فيلزمكم أن قوله تعالى للشىء كن قد قال له : كن ، وفي هذا ما يجب أحد أمرين :

إما أن يكون قول الله لغيره كن غير مخلوق ، أو يكون لكل قول قول لا إلى غاية وذلك محال .

فإن قالوا : إن لله قولاً غير مخلوق .

قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة ، ثم يقال لهم : ما العلة التى إنما قلتم إن قول الله للشىء كن غير مخلوق .

فإن قالوا : لأن القول لا يقال له : كن ، فيقال لهم : القرآن غير مخلوق ؛ لأنه قول الله ، والله لا يقول لقوله : كن[٣٥٩] .

مسألة على الجهمية :

ويقال لهم : أليس لم يزل الله عالماً بأوليائه وأعدائه ؟ فلا بُدَّ من نَعَم .

قيل لهم : فهل تقولون إنه لم يزل مريداً للتفرقة بين أوليائه وأعدائه ؟

فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة ، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق[٣٦٠] ؟

زعم هذا وأين ؟

(٣٥٩) كله كلام فاسد يخترعه ! أي يخترع السؤال ويخترع الجواب ! ويتخيل أنه نسف الحقائق الثابتة !

(٣٦٠) لاختلاف الأمر بين الإرادة والكلام ! فالكلام المقصود ههنا الذي هو القرآن الكريم والكتب المقدسة المُنْزَلة هي حروف وكلمات وألفاظ حادثة وأخبر الله تعالى عنها بأن هذا الذكر المبارك (محدَث) فقلنا به خلاف الإرادة فهي غير مدرَكة !

فإن قالوا[٣٦١] : لا نقول لم يزل مريداً للتفرقة بين أوليائه وأعدائه ، زعموا أن الله لا يريد التفرقة بين أوليائه وأعدائه ، ونسبوه سبحانه إلى النقص ، تعالى عن قول القدرية علواً كبيراً .

مسألة : ويقال لهم : إن الشيء المخلوق إما أن يكون بدناً من الأبدان ، شخصاً من الأشخاص ؛ أو يكون نعتاً من نعوت الأشخاص .

فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصاً ؛ لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح[٣٦٢] ، ولا يجوز ذلك على كلام الله تعالى .

ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتاً لشخص مخلوق ؛ لأن النعوت لا تبقى طرفة عين ؛ لأنها لا تحتمل البقاء ، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى[٣٦٣] .

فلما لم يجز أن يكون شخصاً ولا نعتاً لشخص[٣٦٤] لم يجز أن يكون مخلوقاً ، على أن الأشخاص يجوز أن تموت . فمن يثبت كلام الله شخصاً مخلوقاً لزمه أن

---

(٣٦١) انظر كيف يخترع الأسئلة والأجوبة وخصومه ومخالفوه لا يقولون بذلك !

(٣٦٢) أولاً : الشخص في اللغة سواد يرى من بُعْدٍ ، فالجبال هي أشخاص وهل يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح ؟ ليس كل المخلوقات يجوز عليها النكاح !

الملائكة أشخاص متصفة بصفات لا يكون بينها نكاح ! والله نزه ملائكته عن أن يكونوا إناثاً ! فكلام المصنف خرافات باطلة من أساسها !

(٣٦٣) الكفر من إبليس نعت موجود منذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام ولم يفن بل هو باق إلى قيام الساعة !

وكلام المصنف وتمثيله باطل مردود ! وكذا إيمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالله تعالى باق ولم يفنَ ولم يمضِ ! بل الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه والشهداء ﴿ أحياء عند ربهم يرزقون فرحين ... ﴾ !!

(٣٦٤) بل هو نعت لشخص ! يقال : فلان حافظ وفلان غير حافظ ! والحفظ صفة في الصدر أي في القلب أو العقل ! قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا الظَّالِمُونَ ﴾ العنكبوت : ٤٩ !!

يجوز الموت على كلام الله عز وجل[٣٦٥] ، وذلك ما لا يجوز .

وأيضاً فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقاً في شخص مخلوق[٣٦٦] ، كما لا يجوز أن يكون نعتاً لشخص مخلوق[٣٦٧] ، ولو كان مخلوقاً في شخص ، وكلام الإنسان مفعولاً فيه ، كما لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق ، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقاً في شخص مخلوق[٣٦٨] .

مسألة : ويقال لهم أيضاً : لو كان كلام الله مخلوقاً لكان جسماً أو نعتاً لجسم[٣٦٩] ، ولو كان جسماً لجاز أن يكون متكلماً ، والله قادر على قلبهما ، وفي هذا ما يلزمهم ، ويجب عليهم أن يُجَوِّزوا أن يقلب الله القرآن إنساناً أو جنياً أو شيطاناً[٣٧٠] ، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك .

ولو كان نعتاً لجسم كالنعوت ؛ فالله قادر على أن يجعلها أجساماً ، فكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل الله القرآن جسماً متجسداً ، يأكل ويشرب ، وأن يجعله إنساناً ويميته[٣٧١] ، وهذا ما لا يجوز على كلام الله[٣٧٢] ، تعالى عن ذلك .

---

(٣٦٥) هل أبيات الشعر والمعلقات والكلمات التي قالها الناس منذ آلاف السنين تموت أيها الناس أيضاً ؟ إلا أن موتها مجازي !! فما بال هذا المصنف يخبط خبط العشواء ؟!

(٣٦٦) إذن كيف وجدت الآيات القديمة على زعمك في صدور الحفاظ وهم أشخاص مخلوقون ؟ ولم أتصور قط أن يبلغ الجدل البيزنطي في إنسان إلى هذه المستويات العرجاء إلا عند ابن تيمية الحراني الذي يجادل بالباطل بأكثر من هذا المستوى بكرات ومرات !!

(٣٦٧) كيف إذن جاز أن ننعت فلاناً بأنه من حفظة القرآن ؟!

(٣٦٨) كله تخبيص لا معنى له !

(٣٦٩) هذا نفس قوله شخص قبل قليل ولكنه أعطاه اسماً جديداً وما قلناه في ذاك نقوله في هذا وبالله التوفيق !

(٣٧٠) أو يقلب المكابر المتعنت بالباطل سلحفاة تصفع على وجهها !!

(٣٧١) وهو قادر على أن يجعل كلامك فأراً يوضع له سم على طعامه فيموت ليكبروا عليه أربع تكبيرات !

(٣٧٢) ذكَّرني بالنوادر والأحاجي المضحكة !

الباب الثالث

في ذكر الرواية في القرآن

قال أبو بكر[٣٧٣] : أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، فسأل العباس أبا عبد الله ـ رحمه الله ورضي عنه ـ فقال له : قوم ها هنا قد حدثوا يقولون : القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق .

فقال : هؤلاء أضر من الجهمية على الناس ، ويلكم فإن لم تقولوا : ليس بمخلوق فقولوا : مخلوق . قال أبو عبد الله : هؤلاء قوم سوء .

فقال العباس : ما تقول يا أبا عبد الله ؟

فقال : الذي أعتقد وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق ، ثم قال : سبحان الله ومن يشك في هذا ؟ ثم تكلم أبو عبد الله مستعظماً للشك في ذلك ، فقال سبحان الله : أفي هذا شك ؟ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ الأعراف : ٥٤ وقال : ﴿ الرَّحْمَن عَلَّمَ القُرآن خَلَق الإِنْسَان ﴾ الرحمن : ٣ ففرق بين الإنسان وبين القرآن ، فقال علَّم[٣٧٤] ، خلق ، فجعل يعيدها علَّم ، خلق : أي فرق بينهما[٣٧٥] .

قال أبو عبد الله : والقرآن علم الله[٣٧٦] ، ألا تراه يقول : ﴿ عَلَّمَ القُرآن ﴾

---

(٣٧٣) لا عبرة بهذه القصة ! إذ أنها ليست من الأدلة الشرعية وذكرها ههنا عبث لا معنى له !

(٣٧٤) خشي أن يكمل الآية الكريمة فينهدم استدلاله ويضمحل ! وهي قوله تعالى ﴿ علمه البيان ﴾ والبيان على قواعد المصنف مغاير للقرآن والإنسان لأن العطف يقتضي المغايرة عنده كما بيَّن ذلك عن تفسيره لقول الله تعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ إذن البيان أيضاً غير مخلوق مثل ما يزعم في القرآن ! وكل ذلك باطل على التحقيق !

(٣٧٥) كله كلام فارغ لا دلالة فيه ولا قيمة له ! وأقوال أحمد بن حنبل ليست من الحجج الشرعية !

(٣٧٦) ونقل هذا أيضاً عن أحمد ابن تيمية الحراني في مواضع من كتبه منها ((الفتاوى الكبرى)) (١٥٩/٥) ! ونقول : إذن القرآن هو صفة العلم عندهم وليس صفة الكلام ! فقول أحمد ينقض كل ما بناه الأشعري وغيره !

والقرآن فيه أسماء الله عز وجل ، أي شيء يقولون ؟ ألا يقولون : إن أسـماء اللـه غـير مخلوقة[٣٧٧] ، لم يزل الله قديراً عليماً عزيـزاً حكيمـاً سـميعاً بصـيراً ، لسـنا نشـك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة ، لسنا نشك أن علـم اللـه عـز وجـل غـير مخلـوق ، فالقرآن من علم الله[٣٧٨] وفيه أسماء الله[٣٧٩] ، فلا نشك أنه غير مخلوق ، وهـو كـلام الله عز وجل ولم يزل به متكلماً ، ثم قال : وأي كفر أكفر من هذا[٣٨٠] ؟ وأي كفر أشر من هذا ؟

إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء اللـه مخلوقـة ، وأن علـم اللـه مخلوق[٣٨١] ، ولكن النـاس يتهـاونون بهـذا ويقولـون ، إنمـا يقولـون القـرآن مخلـوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين ، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر[٣٨٢] ، وأنا أكـره أن أبـوح

والذهبي يعترف بهذا كما تقدَّم ويقول كما في ((سير أعلام النبلاء)) (١٠/ ٤٤٧) : [قلـت : لأنـه ـ أي القرآن ـ من علم الله وعلم الله لا يوصف بالحدث] .

(٣٧٧) بل هي مخلوقـة لأنهـا منطوقـة بلغـة وبحـروف وأسـماء ! والحـروف المكتوبـة والكلمـات الملفوظة كلها مخلوقة مُحْدَثة !

(٣٧٨) وهذا تأكيد على أن القرآن منبثق من صفة العلم لا من صفة الكلام !

(٣٧٩) وفيه أيضاً إسم إبليس وإسم الأشجار والفاكهة وفرعون وبنـي إسـرائيل والجنـة والنـار وغـير ذلك وهي أمور مخلوقة فدل على أنه مخلوق وبطل كلام المصنف !

ثم إذا كتب إنسان منا لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى على ورقة فصار في الورقة أو عليهـا اسـم الله تعالى فهل تصير قديمة لأنه سبحانه قديم ؟!

(٣٨٠) هذا تكفير من قائله إن صح عنه في أمر غير مكفر والحق ونصوص القرآن أصلاً خلاف هـذا الرأي الفاسد !

(٣٨١) الأسماء غير العلم ! الأسماء مخلوقة والعلم قديم كما أن المسمى قديم لا يجوز عليه الخلق والحدوث ! فلا تخلطنَّ الحابل بالنابل !

(٣٨٢) هذا تصريح بأن أحمد بن حنبل فيما ينقله المصنف ههنا يرى كفر من يقول بخلق القرآن وهم جماهير المسلمين من الزيدية والإمامية والمعتزلـة والإباضيـة والأشـاعرة القـائلين بحـدوث القـرآن المنزل الذي قال الله تعالى عنه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث .. ﴾ والماتريدية وغيرهم .... ومن الغريب أنهم ينقلون عنه أنه رجع في آخر أيامه عن تكفير أهل القبلة ...

بهذا لكل أحد[٣٨٣] ، وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا ، فبلغني أنهم يدعون أني أُمْسك .

فقلت له : فمن قال القرآن مخلوق ولا يقول إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه ، ولم يزد على هذا أقول : هو كافر[٣٨٤] ؟

فقال هكذا هو عندنا ، ثم قال أبو عبد الله : نحن نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا فيه أسماء الله وهو من علم الله ، فمن قال : إنه مخلوق فهو عندنا كافر ، فجعلت أردد عليه فقال لي العباس ـ وهو يسمع ـ سبحان الله أما يكفيك دون هذا .

فقال أبو عبد الله : بلى[٣٨٥] .

وذكر الحسين بن عبد الأول[٣٨٦] ، قال : سمعت وكيعاً يقول : من قال القرآن

فقد ذكر ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ص (٤٠٩) ما نصه : [فإن الأشعري كان لا يرى تكفيره ولا تكفير أحد من أهل القبلة لسعة فضله ، وقد تقدمت عنه في ذلك حكاية زاهر بن أحمد وهي الحكاية التي ينبغي أن يصار إليها في التكفير ويعمد ؛ لأنه القول الأخير الذي مات عليه وأكثر المحققين من أصحابه ذهب إليه] .

وفي شرح المواقف للإيجي (ت٧٥٦هـ) (٣/ ٥٧٢) : [واعلم أن عدم تكفير أهل القبلة موافق لكلام الشيخ الأشعري والفقهاء كما مر] .

فهذا المنقول عنه أخيراً بعدم التكفير ينقض كلامه في الإبانة في التكفير ، مع أن القول ههنا بالتكفير جرأة بالغة ولا دليل عليها وهي مصادمة لقوله تعالى ﴿ من ذكر من ربهم محدث ﴾ والله أعلم .

(٣٨٣) معناه أنه يستعمل التقية ههنا صراحة !

(٣٨٤) هذا تكفير صريح من أصحاب أحمد بن حنبل وموافقة أحمد على ذلك لأنه هو مصدر هذه الفكرة التكفيرية وهي جرأة بالغة ! قال الكرابيسي رحمه الله تعالى في أحمد ابن حنبل : [ايش نعمل بهذا الصبي ! إن قلنا مخلوق قال : بدعة ! وإن قلنا غير مخلوق قال : بدعة !] « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٨١) و « تاريخ بغداد » (٨/ ٦٥) .

(٣٨٥) كل هذه القصة فارطة ولا معنى لها وقول أحمد ليس بدليل شرعي وما ذهب إليه خطأ بل باطل من القول وهو مصادم فيه الحق !

(٣٨٦) ضعيف أعرضوا عن حديثه كما في الجرح والتعديل (٣/ ٥٩) ، وانظر « المغني في الضعفاء » (١/ ١٧٢) وفي الميزان كذبه ابن معين ! فالظاهر أن هذا من جملة الكذب المنقول عن

مخلوق فهو مرتد يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل[٣٨٧] .

وذكر محمد بن الصباح البزار ، قال : حدثنا علي بن الحسين بن شعبان[٣٨٨] ، قال : سمعت ابن المبارك يقول : إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية[٣٨٩] .

وكيع ! وهكذا يضع المجسمة الحنابلة ومن يوافقهم في الرأي نصوصاً على الأئمة لينفذوا إجرامهم ودمويتهم ! ويوهموا العامة بأنها أقوال بمثابة النصوص الشرعية ! مع أنها أقوال مردودة لا عبرة بها لمعارضتها أدلة العقل والنقل !

(٣٨٧) وهكذا يكون الفكر الدموي الإجرامي الذي يرى قتل وذبح المخالف في الرأي !

(٣٨٨) هكذا في أكثر النسخ وصوابه (علي بن حسن بن شقيق) وترجمته في ((تهذيب التهذيب)) (٧/ ٢٦٣) ، روى له البخاري حديثاً واحداً (٢٥٤١) ومسلم ثلاثة أحاديث (١٠٨٦) و (١٣٠٦) و (١٨٨٣) وروى له أصحاب السنن وأحاديثه قليلة .

(٣٨٩) رواه عن ابن المبارك البخاري في ((خلق أفعال العباد)) ص (٣١) وعبدالله بن أحمد في كتاب ((السنة)) (١/ ١١١و١٧٤) ، ومقدمة خلق أفعال العباد الظاهر أنها موضوعة وليست للبخاري . ورواية هذا القول في مثل هذه الكتب تدل عندنا على عدم ثبوتها ، وسنوضح الآن ما يتعلق بهذه الفكرة .

إن ثبت هذا عن ابن المبارك فهو مردود عليه ! وقد ذكرني هذا بقول الحافظ أبوحيان رحمه الله تعالى في تفسيره ((البحر المحيط)) (٤/ ٣١٦ طبعة دار الفكر) : ((وقال قوم منهم القاضي أبو بكر بن الطيب : هذه كلها صفات زائدة على الذات ثابتة لله تعالى من غير تشبيه ولا تحديد ، وقال قوم منهم الشعبي وابن المسبب والثوري نؤمن بها ونقرُّ كما نصت ولا نُعَيّن تفسيرها ولا يسبق النظر فيه . وهذان القولان حديث مَنْ لم يمعن النظر في لسان العرب)) .

أقول : وذكرني هذا أيضاً **بقول أحمد بن حنبل : ابن المبارك لم ينزل من السماء** . [كما ذكره ابن الجوزي في ((دفع شبه التشبيه)) ، وابن مفلح في ((المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد)) (٢/ ٥٣٧)] .

ومختصر الأمر : أن ابن المبارك وأمثاله ممن يسمونهم بالسلف كانوا على نظام المحدثين الموالين للفكر الأموي المتمثل فيما بعد بالفكر الحنبلي المبني على التجسيم والنصب ، فلا عبرة بما يقولون من أمور مخالفة للعقيدة والقواعد الأصلية التي نراها ، ومن المعلوم أن قول ابن المبارك وغيره ليس من الحجج الشرعية التي يصح التشبث بها والتعلق بأذيالها .

قال محمد : نقول : نخاف أن نَكْفُر ولا نعلم .

وذكر هارون بن إسحاق الهمداني ، عن أبي نعيم ، عن سليمان بن عيسى القاري ، عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال : قال لي حماد بن أبي سليمان : أبلغ أبا حنيفة المشرك أني منه بريء[٣٩٠] ؟

قال سليمان : ثم قال سفيان : لأنه كان يقول القرآن مخلوق .

[وحاشا الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه من هذا القول ، بل هو زور وباطل ، فإن أبا حنيفة من أفضل أهل السنة][٣٩١] .

وذكر سفيان بن وكيع قال : سمعت عمر بن حماد بن أبي سليمان قال : أخبرني أبي قال : الكلام الذي أستتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله : القرآن مخلوق ، قال فتاب منه وطاف به في الخلق ، قال أبي : فقلت له كيف صرت إلى هذا ؟ قال : خفت والله أن يقدم علي فأعطيته التقية[٣٩٢] .

فما ذكره المصنف ههنا ليس مما يعول عليه ولا يلتفت إليه لأنه ليس من الأدلة الشرعية ، ونقول له : ونحن لا نستطيع أن نحكي ونذكر كلام السلفية وترهات المحدثين الحشوية وعقائد الحنابلة التجسيمية .

وأقوال من يسمونهم بأئمة السلف ليس لها وزن عندنا إلا إن وافقت الحق وإلا فيضرب بها عرض الحائط ، والسلام .

(٣٩٠) هذا تصريح من المصنف بتأييد رمي أحد أئمة السلف وهو الإمام أبو حنيفة بالشرك ، ومقام الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى أعلى من ترهاتهم ! وأعلى من ذلك مقام أئمة آل البيت الذين يوافقهم الإمام أبو حنيفة في هذه المسائل المعاكسة لآراء من قيل فيهم :

وتَسَمَّوا أهل الحديث وهاهم لا يكادون يفقهون حديثاً

ومنه تعلم أن هؤلاء القوم يقلدون ويتبعون القسم المجسم من السلف ويعرضون عن القسم المنزه الذين هم من أهل الحق ؛ فما سينقلونه لنا من كلام من يسمونه السلف يعارضه آخرون قائلون بخلاف قولهم من السلف كالإمام أبي حنيفة فلا تغفل عن مثل هذا !

(٣٩١) هذه من زيادات بعض النساخ وليست من قول المصنف الذي يوافق المتهورين من أهل الحديث والسلف القائلين بكفر وشرك الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

(٣٩٢) حكم الإمام المحدث الكوثري عليه الرحمة والرضوان على هذا الخبر بأنه كذب مكشوف

وذكر هارون بن إسحاق[٣٩٣] قال : سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي أن حماد ـ يعنى ابن أبي سليمان ـ بعث إلى أبي حنيفة : أني بريء مما تقول ، إلا أن تتوب وكان عنده ابن أبي غنية ، قال : فقال : أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعدما استتيب[٣٩٤] .

[**وهذا كذب محض على أبي حنيفة رضي الله عنه**] [٣٩٥] .

وذكر عن أبي يوسف قال : ناظرت أبا حنيفة رضي الله عنه شهرين حتى رجع عن خلق القرآن[٣٩٦] .

قال سليمان بن حرب : القرآن غير مخلوق ، وأخذته من كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِم ﴾ آل عمران : ٧٧ ، وكلام الله ونظره[٣٩٧] واحد ، يعنى غير مخلوق[٣٩٨] .

في ((تأنيب الخطيب)) ص (١١٥) من الطبعة الجديدة (١٤١٠هـ) .

قال العلامة الكوثري هنالك : ((وسفيان بن وكيع كان ورَّاقُهُ كذاباً ؛ يُدخل ما يشاء من الأكاذيب فيرويها هو ؛ فنبَّهوه على ذلك ، وأشاروا عليه أن يغير ورَّاقه فلم يفعل ، فسقط عن مرتبة الاحتجاج عند النقاد)) . وفي ((الجرح والتعديل)) (٤/ ٢٣١) : قال أبو زرعة : كان يكذب .

(٣٩٣) هذا لم يدرك إسماعيل بن أبي الحكم كما في التأنيب (١١٦) وإسماعيل هذا مجهول .

(٣٩٤) حكم العلامة المحدث الكوثري في التأنيب على هذه القصة بأنها من جملة المختلقات والأكاذيب ، إذ لا يعرف أن الإمام رحمه الله تعالى استتيب من الكفر كما يزعمون ! وهذه من جملة التشنيعات التي يبتكرها ويخترعها المجسمة والنواصب ضد أعدائهم إذ أنهم لا يفلحون عند مقارعة الحجة بالحجة وإنما غاية أمرهم الإشاعات والأكاذيب التي لا تنطلي إلا على السذج والبسطاء !

(٣٩٥) وهذه الجملة أيضاً من زيادات النساخ .

(٣٩٦) هذا لا يصح والدلالة على ذلك تصديره بلفظ (وذُكِرَ) وهو في تاريخ الخطيب بلفظ قريب من هذا المعنى (١٣/ ٣٨٣) وهو واهٍ لا يصح ؛ بل هو من جملة الأكاذيب على هذا الإمام .

(٣٩٧) ونظره ليس المراد به الرؤية وإنما المراد به الإنعام والإكرام ! وإلا فرؤية الله تعالى للخلق لا تنقطع عن الكافر ولا عن غيره ! فيكون سليمان بن حرب إن صح عنه القول ضعيف في النظر والاستدلال !

(٣٩٨) استدلال مضحك حقاً ! الكلام والقول شيء واحد ! وهذه الآية فيها أن الله لا يكلم الكفار

وذكر الحسين بن عبد الأول ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمذاني عن عمرو بن قيس ، عن أبي قيس المديني ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »(٣٩٩) .

ولا يخاطبهم ؛ لكن في آيات أخرى يكلمهم ويخاطبهم ويقول لهم ! ومن ذلك : قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ الأنعام : ٢٢ ، وقوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها ﴾ الأنعام : ١٢٨ ، وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ ﴾ يونس ٢٨ ، وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ ﴾ الكهف : ٥٢ ، ويقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ الفرقان : ١٧ ، ويقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ القصص : ٦٢ ، ويقول تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص : ٦٥ .

فكيف يقول ﴿ لا يكلمهم ﴾ وهو يقول لهم كل هذه الأمور ؟! والخلاصة أن الله تعالى متعالٍ عن النطق والتلفظ والمناداة والكلام والقول المعهود من البشر وكل ذلك إنما يتم بأمره تعالى فهو من المجاز الهادم لعقائد المجسمة والمشبهة وأذيالهم !

(٣٩٩) هذا حديث خرافة وهو من جملة الموضوعات !! رواه الترمذي (٢٩٢٦) والدارمي (٣٣٥٦) قال الترمذي : « حسن غريب » ورواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/ ١٥٠) والدارمي في الرد على الجهمية (٨٥) ، ومن مصادر روايته يتبين أنه من خرافات الحشوية .

قلت : قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » (٣/ ٥١٥) : « حسّنه الترمذي فلم يُحْسِنْ » وذكره ابن أبي حاتم في « كتاب العلل » (٢/ ٨٢) وقال : « قال أبي هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي » ، وذكره الدارقطني في كتاب العلل (٣/ ٥٧) وذكر أن هذا الجزء من الحديث مدرج من كلام أبي عبد الرحمن السلمي ليس الصوفي وإنما هو عبدالله بن حبيب بن الربيعة ، وهو منقول عن جماعة من الصحابة ، قال البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٢٣٩) : « ولا يصح شيء من ذلك أسانيده مظلمة لا ينبغي أن يحتج بشيء منها ، ولا أن يستشهد بشيء منها ... » ، وضعفه الألباني المتناقض في « سلسلته الضعيفة » (٣/ ٥٠٦/ ١٣٣٥) .

ومنه يتبين أن المصنف لا يحسن صناعة الحديث ولا يبني عقيدته وفكره على الدلائل الثابتة ! بل

فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل[٤٠٠] ، وما كان كلاماً للـه عـز وجـل لـم يكن خلقاً لله[٤٠١] ، وقد بين الله أن القرآن كلامه[٤٠٢] بقوله عز وجل : ﴿ حتى يسـمع كلام الله ﴾ التوبة : ٦ ، ودلّ على ذلك في مواضع من كتابه العزيز ، وقد قال اللـه تعـالى مخبراً أن الله كلم موسى تكليماً[٤٠٣] .

وروى وكيع ، عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عدى بن حاتم قال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان »[٤٠٤] .

على ترهات وخرافات !

(٤٠٠) كيف يثبت هذا الأمر بحديث واهٍ موضوع كهذا أيها الألمعي !

(٤٠١) بل هو خلق لله بصريح قوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ !!

(٤٠٢) لم ينكر أحد أن القرآن كلام الله تعالى ! ولكن المصنف يريد أنه ينطـق بـه ويتلفـظ بحروفه ونحو ذلك مما هو باطل قطعاً !

(٤٠٣) إنما كلم الله تعالى سيدنا موسى بصوت خلقه الله تعالى في الشجرة بدليل قوله عـز وجـل : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَـى إِنِّـي أَنَـا اللَّـهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ القصص : ٣٠ ، فإما أن يقول بأن الله تعالى حل في الشجرة وهذا مستحيل لأن الله لا يحل في الشجرة ولا في البقعة المباركة وهو منزه عن المكان ، وإما أن يقول بأن الله تعالى خلـق صوتاً صدر من الشجرة وهو المطلوب ! وبذلك انتقض وانهدم استدلال المصنف !

(٤٠٤) رواه بهذا اللفـظ البخـاري (٧٤٤٣) و (٧٥١٢) . وهـو حديـث بـاطل مـردود ، وذلـك لأن رواياته في الصحيحين تدل على أن هذا الكلام إنما يحصل لأهل جهنم قبـل أن يدخلوهـا ! وهـؤلاء قال الله عنهم ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ البقرة : ١٧٤ ، ولفظ الحديث في البخاري (١٤١٣) : « ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ثم ليقولن له ألم أوتك مالاً فليقولن بلى ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولاً فليقولن بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النـار ثـم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النـار ولـو بشـق تمـرة » وفـي لفـظ عنـد البخـاري (٣٥٩٥) :

« وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له ألم أبعث إليك رسـولاً فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه **فلا يرى إلا جهنـم**

ومما يدل أن الله عز وجل متكلم ، وأن لـه كلامـاً ، مـا رواه عفـان ، قـال : ثنـا حماد بن سلمة عن الأشعب الحراني ، عن شهر بن حوشب ، قال : « فضل كلام اللـه عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »(٤٠٥) .

وروى يعلى بن المنهال السعدي ، قال : حدثنـا إسـحق ابـن سـليمان الـرازي ، قال : ثنا الجراح ابن الضحاك الكندي ، عن علقمة ابن مرثـد ، عـن أبـي عبدالرحمـن السلمى ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال : قال رسول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم : « أفضلكم مَن تعلم القـرآن وعلمـه » وقـال : « إن فضـل القـرآن علـى سـائر الكلام كفضل الله على خلقه »(٤٠٦) ، وذلك أنه منه .

وروى سعيد بن داود قال : حدثنا أبــو سـفيان ، عـن معمـر ، عـن قتـادة ، قولـه تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُـرٍ مَـا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾(٤٠٧) لقمان : ٢٧ .

وذكر هارون بن معروف ، قـال : حدثنـا جريـر ، عـن منصـور ، عـن هـلال بـن

وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم » .

وبالتالي بطل استدلال المصنف بهذا الحديث مع كون الحديث في ألفاظه ما يخالف القرآن !

(٤٠٥) رواه أبو داود في المراسيل (٣٦١) والمرسل من أقسام الضعيف والتحقيق كما قدمنا أن هـذا حديث موضوع ، وضعفه الحافظ في الفتح (٩/ ٦٦) وقد تقدم قبل صفحة وهو موضوع .

(٤٠٦) بين الدارقطني في العلـل (٣/ ٥٧) والخطيـب البغـدادي فـي « الفصـل للوصـل المـدرج » (١/ ٢٥٥-٢٥٦) أن هذا الشطر الأخير الذي استدل به المصنف إنما هو من كلام أبي عبـد الرحمـن السلمي وليس من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم صيره الـرواة فيمـا بعـد مـن الحديـث وهـو موضوع من كلام التابعي !

(٤٠٧) ليس في الآية دلالة على ما يريد من القول بقدم القرآن بل فيـه إثبـات أنـه مُحْـدَث كمـا قـال سبحانه في آيات أخرى ، لأن الحادث مثل الأقلام والشجر والبحار والمداد لا تمد القديم وإنما تمد المُحْدَث ! وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة (٢٥/ ١٥٧) : [﴿ ولـو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ ويكتب بها والأبحر مداد لا تفنى عجائب صنع الله ، وعلى هذا فالكلمة مفسرة بالعجيبة ....] .

أساف ، عن فروة بن نوفل قال : كنت جاراً لخباب بن الأرَت ، فقال لي : يا هذا تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه(٤٠٨) .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ الزمر : ٢٨ ، قال غير مخلوق(٤٠٩) .

وروى الليث بن يحيى ، قال : حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث ، قال : سمعت مؤمل بن إسماعيل يحدث عن الثوري ، قال : من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر(٤١٠) . وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق(٤١١) . وروى ذلك عن عمه زيد بن علي ، وعن جده على بن الحسين رضي

---

(٤٠٨) رواه الآجري في الشريعة (٧٧) وابن أبي شيبة في فضائل القرآن (١٠/ ٥١٠) وعبد الله بن أحمد (١/ ١٣٦) وظاهر إسناده الصحة وليس في المتن ما يفيد المصنف في مراده بل فيه ما اتفقت الأمة عليه من أن القرآن الكريم كلام رب العالمين وهذا لا نزاع فيه .

(٤٠٩) هذا لا يثبت عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا التفسير من الأمور المضحكات حقاً ! حيث يفسر (غير ذي عوج) بأنه (غير مخلوق) !

وهذا الأثر رواه الديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٢١٧) عن سيدنا أنس بن مالك ، ورواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢١٧) والرافعي في « التدوين » (٢/ ٢٥٩) عن ابن عباس وهو من جملة الموضوعات لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة في هذا الأمر شيء .

ولو كان شيء من ذلك يثبت لذكره ابن جرير في تفسيره ؛ مع أن قول الصحابي ليس بحجة كما هو معلوم في علم الأصول .

(٤١٠) لا عبرة بقول الثوري ولا حجة فيه ! والراوي عنه مؤمل بن إسماعيل : قال أبو حاتم : صدوق شديد في السنة كثير الخطأ يكتب حديثه . (الجرح ٨/ ٣٧٤) ، وقال البخاري : منكر الحديث . (لسان الميزان ٧/ ٤٠٦) .

(٤١١) قلت في تخريج هذا القول المكذوب المروي عن سيدنا جعفر عليه السلام في « العلو » : كل الروايات في ذلك عن سيدنا جعفر عليه السلام كذب بحت وهي من وضع مجسمة الحنابلة وأهل الحديث المشبهة وأنصارهم !! وهذا رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٢٤٦) وغيره . وما ذكره الألباني المتناقض !! في « مختصر العلو » ص (١٤٨) نقلاً عن ابن تيمية وما

الله عنهم أجمعين[٤١٢] .

[**ومن قال إن القرآن غير مخلوق (وإن من قال بخلقه كافر)**[٤١٣] **من العلماء ، وحملة الآثار ، ونقلة الأخبار ، وهم لا يحصون**][٤١٤] كثرة[٤١٥] ، ومنهم حماد ،

حاول أن يصحح به هذه الرواية فهو شيء مردود باطل !!

وفي سند هذه الرواية : معاوية بن عمار ، قال أبوحاتم في ((الجرح والتعديل)) (٨/ ٣٨٥) : ((يكتب حديثه ولا يحتج به)) . وسويد بن سعيد الحدثاني قال البخاري : ((فيه نظر)) ، وقال ابن عدي : ((وهو إلى الضعف أقرب)) . وقال النسائي : ((ليس بثقة ولا مأمون)) كما في ((تهذيب التهذيب)) وغيره . والمتابع لسويد الذي ذكره الألباني المتناقض !! وهو معبد بن راشد قال ابن معين كما في ((الجرح والتعديل)) (٨/ ٢٨١) : ((ضعيف الحديث)) .

ومن العجيب الغريب أنَّ البيهقي ذكر هناك ((في الأسماء والصفات)) ص (٢٤٧) شيئاً في ذلك فقال : ((أخبرنا أبوعبدالله الحافظ ، أخبرني أبوالحسن أحمد بن محمد بن عبدوس قال : سمعت عثمان ابن سعيد الدارمي يقول : سمعت علياً يعني ابن المديني يقول في حديث جعفر بن محمد (ليس القرآن بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله تعالى) قال علي : لا أعلم أنه تكلَّم بهذا الكلام في زمانٍ أقدم من هذا ، قال علي : هو كفر)) . وحاولوا أن يرقعوا هذه الكارثة على علي بن المديني فقال عقب ذلك مباشرة : ((قال أبو سعيد : يعني من قال القرآن مخلوق فهو كافر)) قلت : ليس كذلك بل كلام ابن المديني صريح في أنَّ تلك المقالة التي يزعمون بأنّ سيدنا جعفراً الصادق عليه السلام قالها إنما هي كفر !! وهذا يثبت أن الكلام المنقول عنه عليه السلام متناقض مضطرب وما هو إلا كذب من مجسمة أهل الحديث وأنصارهم عليه رضي الله عنه !!

(٤١٢) كل ذلك لا يصح وهو من جملة المفتريات على أئمة آل البيت عليهم سلام الله تعالى ، وأين الإسناد ؟ ولولا الإسناد كما يقولون لقال من شاء ما شاء !!

ومن الملاحظ ههنا أنهم يريدون أن يأخذوا شرعية هذا الأمر من ادعاء أن أئمة آل البيت عليهم سلام الله تعالى يقولون بقولهم وهذا يفيدنا إلى أنهم يشعرون بأنه ليست لديهم شرعية بل لا قيمة لهم أمام أولئك الأئمة الأطهار !!

(٤١٣) ويحتمل أن يكون ما بين القوسين من زيادة المتمسلفين في نسخة دار ابن حزم .

(٤١٤) هذه العبارة مضطربة في نسخة الدكتورة فوقية وقد اعترفت بذلك في الحاشية بأن العبارة مضطربة في النسخ الأربع التي بين يديها !

هذا وقد أصلحتها من نسخة أخرى وهي الموافقة لطبعة دار ابن حزم .

والثوري ، وعبد العزيز ابن أبي سلمة ، ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه ، وأبو حنيفة[٤١٦] ، وأحمد بن حنبل ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وهشام ، وعيسى بن يونس ، وحفص بن غياث ، وسعد بن عامر ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وأبو بكر بن عياش ، ووكيع ، وأبو عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ، ومحمد بن يوسف ، وبشر بن الفضل ، وعبد الله بن داود ، وسلام بن أبى مطيع ، وابن المبارك ، وعلي بن عاصم ، وأحمد بن يونس ، وأبو نعيم ، وقبيصة بن عقبة ، وسليمان بن داود ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ويزيد بن هارون ، وغيرهم[٤١٧] .

---

(٤١٥) ولا عبرة بقولهم لأن قولهم لا دليل عليه بل هو مصادم لقواطع أدلة العقل والنقل هذا إن ثبت عنهم ! وأكثرهم لا يثبت عنهم ولا أدل من ذلك ما سيذكره في الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى حيث تناقض فيه !

(٤١٦) ومن التناقضات والتخابطات أن المصنف ههنا ذكر أبا حنيفة بأنه من القائلين بأن القرآن غير مخلوق وتناقض مع نفسه حيث ذكر قبل ذلك بقليل ونقل عن سلفه الطالح بأن أبا حنيفة رحمه الله تعالى مشرك وأنه استتيب من القول بخلق القرآن وأنه حدَّث بخلقه بعدما استتيب منه ! وهذا ينبئك أن المصنف حاطب ليل !

(٤١٧) ومقابل ذلك قال أئمة أهل البيت والزيدية والإمامية والمعتزلة والإباضية وجماهير الأشعرية والماتريدية أن القرآن المنزل مخلوق وهو قول البخاري ومسلم ومن معهما في اللفظ ، قال الحافظ ابن عبدالبر في كتابه « الانتقاء » ص (١٠٦) عن الإمام الحافظ الكرابيسي ما نصه بعدما أثنى عليه : « وكانت بينه وبين أحمد بن حنبل صداقة وكيدة ، فلمّا خالفه في القرآن عادت تلك الصداقة عداوة ، فكان كل منهما يطعن على صاحبه ، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يقول : من قال القرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال : القرآن كلام الله ولا يقول غير مخلوق ولا مخلوق فهو واقفي ، ومن قال لفظي في القرآن مخلوق فهو مبتدع .

وكان الكرابيسي ، وعبدالله بن كُلاَّب ، وأبو ثور ، وداود بن علي ، والبخاري والحارث بن أسد المحاسبي ، ومحمد بن نصر المروزي ، وطبقاتهم يقولون : إن القرآن الذي تكلّم الله به صفة من صفاته ، لا يجوز عليه الخلق ، وإن تلاوة التالي وكلامه بالقرآن **كسبٌ له** وفعلٌ له **وذلك مخلوق ،** وإنه حكاية عن كلام الله ، وليس هو القرآن الذي تكلّم الله به ، وشبّهوه بالحمد والشكر لله ، وهو غير الله ، فكما يؤجر في الحمد والشكر والتهليل والتكبير فكذلك يؤجر في التلاوة » .

ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام[٤١٨] وفيما ذكرنا من ذلك مقنع ، والحمد لله رب العالمين .

وقد احتججنا لصحة قولنا : إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل ، وما تضمنه من البرهان ، وأوضحه من البيان[٤١٩] ، ولم نجد أحداً ممن تُحْمل عنه الآثار ، وتنقل عنه الأخبار ، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن[٤٢٠] ، وإنما قال ذلك رعاع الناس[٤٢١] ، وجهال من جهالهم ، لا موقع لقولهم .

والحِجَاجُ الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم[٤٢٢] ، ودفع باطلهم ،

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الكرابيسي في ((السير)) (١٢/ ٨٠) : ((**وهو أوّل مَن فتق اللفظ**)) وقال في آخر الترجمة : ((**ولا ريب أن ما ابتدعه الكرابيسي وحرّره في مسألة التلفظ وأنه مخلوق هو حق**)) . **قلت :** وعلى ذلك الحق مشى البخاري ومسلم والأئمة كما تقدّم ، أما البخاري فقد تقدّم ذكره في كلام الأئمة ومنهم ابن عبدالبر ، وأما الإمام مسلم فقد قال الذهبي في ترجمته في ((السير)) (١٢/ ٥٧٢) : ((**كان مسلم بن الحجاج يُظهر القول باللفظ ولا يكتمه**)) .

(٤١٨) وليس في ذلك حجة لأن أئمة أهل الحق يخالفون في ذلك ومنهم من ذكرنا ولأن الدليل يدل على خلاف ذلك **!** فاعرف الحق تعرف أهله **!**

(٤١٩) وقد تبين أنَّ استدلالاته كلها زيف وأنه يفهم الآيات على غير وجهها ويتمحَّل في معناها والمراد منها ، وأن استدلالاته تلك مدحوضة بصريح قوله تعالى ﴿ ما يأتيهم من **ذكر من ربهم مُحْدَث** إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ الأنبياء : ٢ .

(٤٢٠) استدلال لا قيمة له كما تقدم **!** وكيف تنقله عن الإمام أبي حنيفة بعدما نقلت أنه ممن أشرك **؟!!**

(٤٢١) هل البخاري من رعاع الناس وجهالهم ؟ الجواب عند المصنف وأمثاله : نعم . والدليل على ذلك من كتاب سلفه مثل ابن أبي حاتم الرازي في كتاب ((الجرح والتعديل)) (٧/ ١٩١) حيث ترجم البخاري فقال : [محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله ؛ قدم عليهم الري سنة مائتين وخمسين ؛ روى عن عبدان المروزي وأبى همام الصلت بن محمد والفريابي وابن أبي أويس ، سمع منه أبي وأبو زرعة **ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهر عندهم أن لفظة بالقرآن مخلوق**] .

(٤٢٢) وقد أبطلنا ذلك الحِجَاج وبينا أنه سخافات لا قيمة لها في الموازين العقلية والنقلية وأن مصنفها تخيل أنها براهين تنفع عند الحجاج وليست كذلك .

والحمد لله على قوة الحق حمداً كثيراً .

الباب الرابع

الكلام على من توقف في القرآن

وقال لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق

جواب : يقال لهم : لم زعمتم ذلك وقلتموه ؟

فإن قالوا : قلنا ذلك ؛ لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق[٤٢٣] ، ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع المسلمون عليه ، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق ، ولا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع عليه المسلمون ، فتوقفنا لذلك ، ولم نقل إنه مخلوق ، ولا إنه غير مخلوق[٤٢٤] .

يقال لهم : فهل قال الله تعالى لكم في كتابه توقّفوا فيه[٤٢٥] ولا تقولوا إنه غير مخلوق ، وقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق ، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق[٤٢٦] ؟

فإن قالوا : نعم ، فقد بُهتوا .

وإن قالوا : لا ، قيل لهم : فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي

---

(٤٢٣) بل قال إنه مخلوق في قوله تعالى ﴿ ذكر من ربهم مُحْدَثٍ ﴾ والمُحْدَث هو المخلوق .

(٤٢٤) وهؤلاء في الأصل كما أرى قوم يرون أنه مخلوق ولكنهم اتقوا فتنة أصحاب الصولة وخشوا من تشغيبهم فأظهروا أنهم لا يقولون بهذا ولا بهذا ! وخالف في ذلك أمثال البخاري ومسلم فأظهروا الشجاعة بالقول بأن اللفظ مخلوق ! ولقوا ما لقوا من الأذى مثلما لقي البخاري كما هو مشهور !

(٤٢٥) اعتراض سمج لا معنى له ، وهذا يثبت أن المصنف حنبلي لا عقل له أو متزلف منافق ليرضى عنه البربهاري ولم يحصل على الرضا فما قُبِلَ !

(٤٢٦) كل هذه الشبه فاشلة ونقل عن أحمد بن حنبل أنه كان يقول في المحنة لما نوظر : ((كيف أقول ما لم يقل)) أي لم يقل إنه مخلوق ولا غير مخلوق ! كما تجد ذلك في ((المقصد الأرشد)) (١/ ٦٧) .

بها ألزمتم أنفسكم التوقف .

ثم يقال لهم : ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق[٤٢٧] ؟

فإن قالوا : لم نجده ، قيل لهم : ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس بموجود فيه ؟ ثم إنا نوجدهم ذلك[٤٢٨] ، ونتلو عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا ، واستدللنا بها على أن القرآن غير مخلوق[٤٢٩] ، كقوله تعالى : ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ الأعراف : ٥٤ ، وكقوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ النحل : ٤٠ ، وكقوله : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ الكهف : ١٠٩ ، وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن .

ويقال لهم : يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه[٤٣٠] ، ولا تقدموا في ذلك على قول فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع[٤٣١] ؟

مسألة : فإن قال قائل : حدثونا أتقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ .

قيل له : كذلك نقول[٤٣٢] ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ

---

(٤٢٧) ولم أبيت أنت أن يكون في كتاب الله ما يدل على أنه مخلوق وهو صريح ؟ هل للعناد والتقليد أم للنفاق للحنابلة المجسمة من أمثال البربهاري ؟

(٤٢٨) يعني نجد لهم تلك الأدلة في القرآن وندلهم عليها !

(٤٢٩) وكل ذلك تقدم تفنيد الاستدلال به !

(٤٣٠) ليس كذلك بل هناك مسائل يحتار فيها بعض العلماء فيقفون فيها وهذا لا يعني أنهم يقفون في كل ما اختُلِفَ فيه ! وهذه الترهات التي يوردها المصنف لا قيمة لها ! وهي تشغيبات فارغة !

(٤٣١) لما بيناه لك من تزييف الاستدلال بها وكون ما توهمته وتخيلته دليلاً ليس كذلك !

(٤٣٢) ونحن نقول ذلك ونقول بأن اللوح المحفوظ مخلوق إن كان المقصود به غير علم الله تعالى !

مَحْفُوظٍ ﴾ البروج : ٢٢ ، فالقرآن في اللوح المحفوظ[٤٣٣] .

وهو في صدور الذين أوتوا العلم[٤٣٤] ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ العنكبوت : ٤٩ .

وهو متلو بالألسنة[٤٣٥] ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ القيامة : ١٦ .

والقرآن مكتوب[٤٣٦] في مصاحفنا في الحقيقة ، محفوظ في صدورنا في الحقيقة ، متلو بألسنتنا في الحقيقة ، مسموع لنا في الحقيقة ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّه ﴾ التوبة : ٦ .

مسألة :

فإن قال قائل : حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه ؟

قيل : القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلى ، ولا يجوز أن يقال : يلفظ به[٤٣٧] ؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول إن كلام الله ملفوظ به ؛ لأن العرب إذا قال قائلهم : لفظت

---

(٤٣٣) ونقول لك أيها المصنف : خبرونا هل اللوح المحفوظ قديم أم مخلوق فإن كان مخلوقاً محدثاً فكذلك القرآن الكريم الذي فيه ! لأن الحادث لا يحل إلا في حادث !

(٤٣٤) ونقول : خبرونا هل يحل القديم في صدور الذين أوتوا العلم وهي حادثة ؟

(٤٣٥) وكل ذلك يدل على حدوثه ويدل على عدم إدراك المصنف وإخوانه المجسمة !

(٤٣٦) القرآن المكتوب الملفوظ المنزل الذي جعله الله عربياً فقال ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الزخرف : ٣ يستحيل أن يكون قديماً خالقاً ! والمجعول مخلوق كما في قوله تعالى ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ﴾ الحج : ٢٥ ، وقال تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ الإنسان : ٢ . والآيات في ذلك كثيرة .

(٤٣٧) ترهات لا أساس لها من الصحة ! قال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ق : ١٨ ومن جملة ما يلفظ به من قول القرآن الكريم ، وقال اللغويون كما في القاموس وشرحه : ((ومن المجاز لفظ بالكلام نطق به كتلفظ به)) ، والبخاري قال : لفظي بالقرآن مخلوق ! وقال الذهبي في ((السير)) (١٢/ ٥٧٢) : ((**كان مسلم بن الحجاج يُظهر القول باللفظ ولا يكتمه**)) . والمصنف يهذي بالترهات ويتمشدق باللغة !

باللقمة من فمي فمعناه رميت بها وكلام الله تعالى لا يقال : يلفظ به ، وإنما يقال : يقرأ ، ويتلى ، ويكتب ، ويحفظ .

وإنما قال قوم : لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق(٤٣٨) ، ويزينوا بدعتهم ، وقولهم بخلقه ، ويدلسوا كفرهم(٤٣٩) على مَنْ لم يقف على معناهم ، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم ، وكذا لا يجوز أن يقال إن شيئاً من القرآن مخلوق ؛ لأن القرآن بكامله غير مخلوق .

مسألة : إن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء : ٢ ؟

قيل له : الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن(٤٤٠) ، بل هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه إياهم .

وقد قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذريات : ٥٥ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ذِكْرَاً رسولاً ﴾(٤٤١) الطلاق : ١١ فسمّى الرسول ذِكْرَاً ، والرسول

---

(٤٣٨) مسكين !

(٤٣٩) الله أكبر ! الرجل مغرم بتكفير أهل الحق الذين يخالفونه فيما لا يعقله ! وهذا كلام خطير جداً ! يفيد أنه يرى كفر الأشاعرة الذين قال ناظمهم في الجوهرة :

وكل نصٍ للحدوث دلا   احمل على اللفظ الذي قد دلا

وكذا كفر غيرهم !

(٤٤٠) بل هو القرآن أيها المسكين الذي لا يعرف القرآن !! قال تعالى ﴿ وَهَـذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾ الأنبياء : ٥٠ ، وقال تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴾ يس : ٦٩ ، وقال تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ص : ٨٧ ، وقال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ القلم : ٥٢ ، والآيات في ذلك كثيرة وبه تبطل ادعاءات المصنف الفاشلة !

(٤٤١) قام المصنف بالتدليس في كتاب الله تعالى لأن كل كلمة من هاتين الكلمتين في آية مستقلة ! لأن الله تعالى يقول ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ الطلاق : ١١ ، قال القرطبي في التفسير (١٨/١٧٣) : [قال الزجاج : إنزال الذكر دليل على إضمار أرسل ، أي : أنزل اليكم قرآناً وأرسل رسولاً] وهذا هو الذي رجحه الطبري في تفسيره

محدث[٤٤٢] .

وأيضاً فإن الله تعالى قال : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إلا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ الأنبياء : ٢ يخبر أنه لا يأتيهم ذكر مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون ، ولم يقل لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثاً[٤٤٣] ، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثاً[٤٤٤] .

ولو قال قائل : ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه ، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميمياً[٤٤٥] ، فكذلك الحكم فيما سألونا عنه .

مسألة : فإن سألونا عن قول الله تعالى : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ يوسف : ٢ .

قيل لهم : الله عز وجل أنزله وليس بمخلوق . فإن قالوا : فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيد ﴾ الحديد : ٢٥ والحديد مخلوق .

قيل لهم[٤٤٦] : الحديد جسم موات ، وليس يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون جسماً مواتاً فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلاً أن يكون مخلوقاً ، وإن كان الحديد مخلوقاً .

مسألة : ويقال لهم : قد أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به وهو غير مخلوق ، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات ، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من

وأبو حيان في البحر المحيط وعبَّر عنه بالظاهر ! وهو قول السُّدي وابن زيد .

(٤٤٢) ونسي المسكين أن الله تعالى كما سمَّى الرسول ذِكْرَاً وهو مُحْدَث سمى القرآن ذكراً وهو مُحْدَث كما في الآيات السابقة ولكنه يغالط ! قال تعالى ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴾ الطلاق : ١٠ .

(٤٤٣) هذا تلاعب وعبث وتدليس مشين لا يلتفت إليه !

(٤٤٤) أرى أن هذا الرجل لا عقل له !

(٤٤٥) هذا خلاف ذاك فلا تتعنَّ !

(٤٤٦) هذا الجواب من جملة الفكاهات التي لا تستحق أن يرد عليها وإنما يتمتع الإنسان بسخافة عقل قائلها !

المخلوقات[٤٤٧] ، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله ، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق .

(٤٤٧) ليس كذلك ! قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٧٩) : [وقد أخرج قصة عاد الثانية **أحمد بإسناد حسن** عن الحارث بن حسان البكري قال : خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ؛ وفيه : فقلت : **أعوذ بالله وبرسوله** أن أكون كوافد عاد ؛ قال : ((وما وافد عاد ؟)) وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه ....] .

قلت : هو في مسند أحمد (٣/ ٤٨٢) ومعجم الطبراني الكبير (٣/ ٢٥٤) .

وذكر النووي في ((الأذكار)) (ص٥٠٦ طبعة دار الفكر دمشق) : [وجاء عن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : أعوذ بالله ثم بك] .

وبالمناسبة : فإن البيهقي في كتاب ((الاعتقاد)) جاء بنصوص الإبانة وطوَّرها وطولها وعرضها ولم يفعل إلا التقليد والمتابعة لترهات الإبانة المخزية فما نرد به على هذه النصوص ههنا نرد به على تلك !!

ومن جملة ما نقله البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص (٣٤٥) : [قال أبو سليمان الخطَّابي رحمه الله : هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا ، **فأجروه على ظاهر لفظه** ، ولم يكشفوا عن باطن معناه ....] وذكره البيهقي ص (٤٥٣) عن الخطابي أنه مذهب السلف وهذا يبين أن شيوخ الخطابي والسلف كانوا يميلون إلى التشبيه والتجسيم حيث أخذوا بها على ظاهرها والمراد بهم صنف من السلف وهم جماعة من المحدثين والحنابلة !

وللبيهقي كلمات طيبة جداً في التنزيه في ((الأسماء والصفات)) يتبين لنا من خلال هذا وذاك أن الرجل منزه ولكنه حائر ! وليست لديه أجوبة قاطعة أو باتة للنصوص التي يوهم ظاهرها التشبيه والتجسيم وصفات المحدثات ! فليس هناك مذهب واضح المعالم : مثلاً يقول بإن الله في السماء ولكنه ليس بحلول ولا تمكن ولا ...... !! بدل أن يقول بأن الله منزه عن الحلول في السماء وأن النصوص الواردة في ذلك معناها كذا وكذا ولا يراد بها ظاهرها !! فأسلوبه وأسلوب أمثاله هو الذي أوجد التميع والحيرة في الفكر الأشعري !! وجعله غير قادر على الرد على الخصوم من المتمسلفة المشبهة والمجسمة !!

الباب الخامس

ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟

قيل له : نقول : إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به(٤٤٨) من غير طول استقرار(٤٤٩) كما قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(٤٥٠) طه : ٥ ، وقد قال

(٤٤٨) قوله (يليق به) ثم قوله بعد ذلك (من غير طول استقرار) يفيد أنه باستقرار غير طويل !! وهذا يدل على أن المصنف مخلط ! وإننا لا نرى للاستواء إلا معنيين : الأول : الجلوس والاستقرار على العرش وهذا مستحيل لأنه تجسيم محض وقد صرح ابن تيمية [مجموع الفتاوى ٤/ ٣٧٤] بأن طائفة من السلف المرضيين ـ عليهم من الله ما يستحقون ـ قالوا بالقعود والجلوس ، والثاني : أن معناه أنه المسيطر والقاهر والمدبر لهذا الكون وهذا المعنى المتعين قطعاً ! وبقي طريق ثالث : يأتي به التائهون والضائعون وهو قولهم : إننا نؤمن به ونكل علمه إلى الله تعالى . وهذا ليس معنى للآية بل محاربة للمعنى !

(٤٤٩) أرجو من أهل الفهم أن يحللوا لنا هذه العبارة (طول استقرار) بكلام مقبول عقلاً وغير مضحك ولا مغرق في التأويل الركيك الممجوج !

(٤٥٠) نفس طريقة المشبهة والمجسمة الحشوية في الاستدلال ولذلك اعتمد ابن تيمية في النقل منه ! قد بينا بأن معنى هذه الآية عندنا أن الله تعالى مسيطر وقاهر ومدبر لأمور الدنيا والآخرة وهذا الكون . وهو مثل قوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ففوقيته عليهم بالتدبير والقهر والربوبية لا بالجسمية والمكان !

وقد أفضنا في معنى هذه الآية في التعليق على كتاب « العلو » للذهبي ص (١٠٨) فليراجعها من شاء .

وقال البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤١٠) : « وذهب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إلى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلاً سماه استواء ، كما فعل في غيره فعلاً سماه رزقاً ونعمة أو غيرها من أفعاله .... » .

ثم قال البيهقي : « والقديم سبحانه عالٍ على عرشه لا قاعد ولا قائم ولا مماس ولا مباين عن العرش ، يريد به مباينة الذات التي هي بمعنى الاعتزال أو التباعد ، لأن المماسة والمباينة التي هي ضدها والقيام والقعود من أوصاف الأجسام ، والله عز وجل أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له

تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[٤٥١] فاطر : ١٠ وقال تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾[٤٥٢] النساء : ١٥٨ ، وقال تعالى : ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه[٤٥٣] ﴾ السجدة : ٥ ، وقال تعالى حاكياً عن فرعون لعنه الله : ﴿ يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ غافر : ٣٧ ، فكَذَّب فرعون نبي الله موسى عليه السلام في قوله : إن الله سبحانه فوق السموات[٤٥٤] .

كفواً أحد ، فلا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام تبارك وتعالى)) وهذا كلام حسن جيد .

(٤٥١) الكلم الطيب والعمل الصالح لا يذهب إلى مكان فيه الله تعالى وإنما ذلك مجاز عن القبول ، كما يقال رفع الأمر إلى القاضي ، وقد بين الله تعالى أنه ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ فالأعمال القولية وغيرها تسجلها الملائكة في صحيفة العبد والله أعلم بها ولا ينساها جل جلاله ويحاسب العبد بمقتضاها يوم القيامة ! والكلم الطيب والعمل الصالح أمور معنوية وليست أجساماً تصعد وتهبط ! وقد توسعنا في هذا في التعليق على ((دفع شبه التشبيه)) لابن الجوزي ص (١٣١) والتعليق على ((العلو)) ص (١١٢) .

(٤٥٢) سيدنا عيسى لم يذهب إلى مكان فيه الله تعالى ؛ والله عز وجل منزه عن المكان ، وهذا مثل قول سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿ إني ذاهب **إلى ربي** سيهدين ﴾ وقوله تعالى في الظل ﴿ ثم قبضناه **إلينا** قبضاً يسيراً ﴾ ، ومعنا الآية أن الله تعالى رفع سيدنا عيسى إلى السماء [الثانية كما جاء في حديث الإسراء الذي في الصحيحين] بحيث لا يستطيع أعداؤه الوصول إليه ! ولا يعني أن المسيح عليه السلام الآن يقعد جنب الله تعالى أو بقربه كما تتوهم عقول المشبهة والمجسمة الحشوية .

(٤٥٣) المراد بلفظة (إليه) ههنا : السماء : فسيدنا جبريل هو الأمر ينزل الوحي من السماء إلى الأرض ثم يعرج إلى السماء ، انظر تفسير القرطبي (١٤/ ٨٧) .

(٤٥٤) أين قال سيدنا موسى بأن الله تعالى فوق السموات ؟

أقـول : سيدنا موسى لم يدَّع بأنَّ الله تعالى في السماء وإنما تخيل فرعون الكافر المجسم أنَّ الله عزَّ وجل في السماء قياساً منه الخالق وهو إله سيدنا موسى عليه السلام على المخلوق وهو ما يراه بعينه من الخلق وما يسمعه من الشرائع المحرَّفة التي كانت قبله !! ولم يأت في نص واحد أنَّ سيدنا موسى قال لفرعون بأنَّ الله تعالى في السماء !!

ولو أنهم أتموا الآية الكريمة لانقلب الأمر لضد ما يريدون ، فقد ذكر الله عزَّ شأنه عن إمام المجسمة

وقال تعالى : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾[٤٥٥] الملك : ١٦ .

فالسموات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السموات قال : ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ الملك : ١٦ ، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات[٤٥٦] ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ ، يعنى

فرعون أنه ظنَّ أنَّ رب سيدنا موسى عليه السلام في السماء إذ قال : ﴿ يا هامان ابنِ لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً **وكذلك زُيِّنَ لفرعون سوء عمله وصُدَّ عن السبيل** ﴾ غافر : ٣٦-٣٧. فبين الله تعالى في آخر هذه الآيات أنَّ من ظنَّ أنَّ الله تعالى في السماء **فقد صُدَّ عن سبيل المعرفة والعلم بالله تعالى !!**

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره (١٤/ ١١٩) :

((إنَّ فرعون لـمَّا طلب حقيقة الإله من موسى عليه السلام ولم يزد موسى عليه السلام على ذكر صفة الخلاقية ثلاث مرات ، فإنه لـمَّا قال ﴿ وما رب العالمين ﴾ ففي المرة الأولى قال : ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ وفي الثانية قال : ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ وفي المرة الثالثة قال ﴿ رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ وكل ذلك إشارة للخلاقية ، وأما فرعون لعنه الله فإنه قال ﴿ يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ﴾ فطلب الإله في السماء ، فعلمنا أنَّ وصف الإله بالخلاقية وعدم وصفه بالمكان والجهة دين موسى عليه السلام وسائر جميع الأنبياء ، وجميع وصفه تعالى بكونه في السماء دين فرعون وإخوانه من الكفرة)) .

(٤٥٥) ليس معنى قوله تعالى ﴿ ءأمنتم من في السماء ﴾ أنَّ الله تعالى موجود في السماء البتة **!!** بل معناها في لغة العرب ءأمنتم مَنْ شأنه عظيم ، لأنَّ العرب إذا أرادت تعظيم شيءٍ وصفته بالعلو فتقول : فلان اليوم في السماء ، وفي المقارنة تقول العرب : أين الثرى من الثريا والثريا نجم عال في السماء .

فيكون معنى الآية الكريمة : هل أمنتم من العظيم الجليل صاحب الرفعة والربوبية والبطش أن يخسف بكم الأرض .... ، أو يكون المراد بـ ﴿ مَنْ في السماء ﴾ سيدنا جبريل أو أيَّ ملك يرسله الله ليخسف أي قرية أو أيَّ موضع من الأرض ، والملائكة مسكنها السماء كما هو معلوم **!!** أنظر التعليق على ((دفع شبه التشبيه)) ص (١٣٣) و (١٣٩) .

(٤٥٦) وهذا تصريح بالتجسيم الباطل عقلاً ونقلاً !

جميع السموات ، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات[٤٥٧] ، ألا ترى الله تعالى ذكر السموات ، فقال تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ﴾ نوح : ١٦ ، ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعاً ، وأنه فيهن جميعاً .

ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء[٤٥٨] ؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات ، **فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش**[٤٥٩] ، كما لا يحطونها إذا دعو إلى الأرض .

فصل

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ طه : ٥ أنه استولى وملك وقهر[٤٦٠] ، وأن الله تعالى في كل مكان[٤٦١] ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه ، كما قال أهل

---

(٤٥٧) تأويل متكلف باطل ركيك ! والمصنف كائناً من كان هو المعني بقوله تعالى ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ أي تأويله تأويلاً باطلاً على حسب أهوائهم وفاسد اعتقادهم !

(٤٥٨) إنَّ العبد إذا مَدَّ يديه في الدعاء فإنّه يجعلهما على شكل وعاء ، فكأنه يقول متذللاً : يا رب قد سألتك وطلبت منك وجعلت يدي وعاءً لعطائك فلا تردّني خائباً ، فَمَدُّ اليد بهذا الشكل عند الدعاء هي رمز للتذلل لله تعالى لا أكثر ألا ترى أنّ الإنسان الفقير السائل إذا طلب من إنسان آخر صدقه فإنه كذلك يرفع يده مثل رفعها في الدعاء ولا يجعل راحتيه تلقاء وجه مَنْ يطلب منه ، وكان اللازم عليه حسب رأي مَنْ يستدل برفعهما على وجود الله في السماء أن يجعل السائل راحتي يديه تلقاء وجه مَنْ يسأله الحسنة أو الصدقة ، ومنه تعلم سخافة استدلال المجسمة المهاترين .

(٤٥٩) هل بقي تصريح بالتجسيم بعد هذا الهذيان ؟!

(٤٦٠) نعم هذا هو الصواب رغم أنف المصنف ! لدلائل العقل والنقل ومنها قوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ فبين أن الفوقية بالقهر لا بالمكان ! وبه ندين الله تعالى خلافاً للمصنف المجسم القائل بعدم (طول الاستقرار) والقائل (فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش) !!

(٤٦١) هذا افتراء على الجميع فأن أحداً ممن يعتبر قوله لم يقل بأن الله تعالى في كل مكان إلا

الحق[٤٦٢] ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة[٤٦٣] .

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة[٤٦٤] ؛ لأن الله

بعض العامة وأشباههم ممن لا يؤبه لقوله !

ومن تناقض المصنف في المعتزلة : أن أبا الحسن الأشعري في كتابه ((مقالات الإسلاميين)) ص (١٥٥ طبعة دار إحياء التراث العربي / بيروت الطبعة الثالثة) :

((شرح قول المعتزلة في التوحيد وغيره : **أجمعت المعتزلة** على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ... **ولا يحيط به مكان** ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة **ولا الحلول في الأماكن** ...)) .

وقال إمام المعتزلة وشيخهم واصل بن عطاء في خطبته المشهورة منزوعة الراء : ((الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية ...... فلا يحويه زمان **ولا يحيط به مكان** ولا يؤوده حفظ من خلق ولم يخلقه على مثال سبق)) . [انظر جمهرة خطب العرب ص (٢/ ٥٠١) ومفتاح الأفكار ص (٢٧٠)] .

وفي ((شرح الأصول الخمسة)) للقاضي عبد الجبار جمل كثيرة تفيد ذلك فليرجع إليها من شاء الاستزادة .

وأما الإباضية : فقال الإمام أبو محمد عبد الله بن حميد السالمي في كتابه ((مشارق أنوار العقول)) (١/ ٣٢٢) وهو من ١٤٤١لكتب القيمة المهمة في علم التوحيد والكلام عند السادة الإباضية ما نصه : ((لو كان سبحانه في مكان فإما في بعض الأحياز أو في جميعها وكلاهما باطل)) .

ومن هذه النقول يتبين أن المصنف إما أنه يهرف بما لا يعرف !! أو أنه يفتري على المسلمين بما هم بُرءاء منه !!

(٤٦٢) أي أهل حق هؤلاء ؟ صار أهل التشبيه والتجسيم القائلون باستقرار المولى على العرش أهل الحق ! وهكذا تقلب الموازين عند المجسمة وفي مثل هذا الكتاب رأساً على عقب عقائدياً ولغوياً وفكرياً و ..... !!!!

(٤٦٣) وهو الصواب والحق الذي ندين الله تعالى به !!

وبالمناسبة لقد أبى صاحب ((الإبانة)) والباقلاني في ((التمهيد)) تأويل الاستواء بالقدرة وذهب أكثر من يطلق عليهم الأشاعرة إلى أن الاستواء عائد إلى القدرة ؛ وقال الغزالي : هو القدرة والاستيلاء (الاقتصاد ص ١٠٤ دار الأمانة تحقيق العوا) وقال صاحب ((المواقف)) (٣/ ١٤٤) :

((الثالثة : الاستواء . لما وصف تعالى بالاستواء في قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ اختلف الأصحاب فيه **فقال الأكثرون هو الاستيلاء ويعود إلى القدرة**)) .

تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه قادر عليها ، وعلى الحشوش[٤٦٥] ، وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو تعالى مستو على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض ، وعلى السماء ، وعلى الحشوش ، والأقذار[٤٦٦] ؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية[٤٦٧] ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها[٤٦٨] .

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله تعالى في كل مكان[٤٦٩] ، فلزمهم

---

(٤٦٤) نعم لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن القرب منه سبحانه وتعالى ليس بالمسافات الدالة على المكان ! وهذا الإشكال الذي يريده المصنف ههنا صريح في أنه يريد أن يصل به إلى أن الله تعالى جالس ومستقر على العرش وقريب منه بالمسافة دون غيره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

(٤٦٥) يعني ههنا بالحشوش أي مكان الخلاء ! والتقوى والخوف من الله والتعظيم والتوقير لله تعالى يقتضي أن لا يُذكر الله تعالى بمثل هذه الأشياء ! وقد نص العلماء أنه لا يقال أدباً : يا خالق الكلب والخنزير مع أنه سبحانه هو خالقهما ! والمولى سبحانه مُنَزَّه عن المكان الذي منه الحشوش ! حَشَّ الله فكر هذا المصنف عن الخليقة وأراحهم منه !!

(٤٦٦) انظر إلى مستوى التعبير النازل !

(٤٦٧) إذا فسرت لفظة (مستوٍ) ههنا بمعنى الاستقرار والقعود والجلوس فهذا باطل كما هو باطل في العرش مثلاً ! وأما إذا فسرته بالقدرة فالله تعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء ! وقد اعترف المصنف قبل قليل بأنه قادر على الحشوش ! وتعالى الله عز وجل عن هذيان المصنف !

(٤٦٨) وهذا لف ودوران من المصنف يراد منه الوصول إلى عقيدة الجلوس والقعود والاستقرار وهي عقيدة باطلة عقلاً ونقلاً إلا عند المجسمة المتمسلفين !

(٤٦٩) هذا كلام باطل وقد قدَّمنا أن الأشعري نص على خلافه في ((مقالات الإسلاميين)) ص (١٥٥ طبعة دار إحياء التراث العربي / بيروت الطبعة الثالثة) حيث قال هنالك :

((شرح قول المعتزلة في التوحيد وغيره : **أجمعت المعتزلة** على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ... **ولا يحيط به مكان** ، ولا يجري عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسة

أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية ، وهذا خلاف الدين . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً[٤٧٠] .

مسألة : ويقال لهم : إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يخص العرش دون غيره ، كما قال ذلك أهل العلم ، ونَقَلَة الأخبار ، وحملة الآثار ، وكان الله عز وجل في كل مكان فهو تحت الأرض التي السماء فوقها ، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه ، والسماء فوق الأرض وفي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت ، والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه ، وفوق ما هو تحته ، وهذا هو المحال المتناقض ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[٤٧١] .

دليل آخر : ومما يؤكد أن الله عز وجل **مستو على عرشه دون الأشياء كلها** ، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٧٢] .

روى عفان ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن نافع ، عن جبير عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ولا العزلة **ولا الحلول في الأماكن** ...)) .

(٤٧٠) وتعالى الله أيضاً عن قولك أيها المصنف باستقراره سبحانه وكونه على العرش علواً كبيراً ! وينبغي لكل منصف أن يتعالى عن افترائك وتهويشك الفارغ المبني على باطل من القول !

(٤٧١) دليل مضحك حقاً !! وهذا من قبيل ما قد قال عنه العلامة المحدث الكوثري عليه الرحمة والرضوان في مقدمة ((إشارات المرام)) في حق الأشعري : [على أنه لا تخلو آراؤه من بعض ابتعاد عن النقل مرة **وعن العقل مرة أخرى** في حسبان بعض النظار كقوله في التحسين والتعليل وفيما يفيده الدليل العقلي كما هو شأن طول أمد الجدال مع أصناف المبتدعة في بندر الأهواء في عهد البصرة وبغداد ، بخلاف معاصره الماتريدي فإنه كان في بيئة لا سلطان لأهل الابتداع فيها كما سبق] .

(٤٧٢) أرجو من القراء الكرام أن يترجموا لنا معنى هذه الجملة لنرد عليها ، هل يريد أن يقول بان معنى استوى على عرشه جلس عليه واستقر دون باقي خلقه التي يعبر عنها بتلك الأشياء ؟

« ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له حتى يطلع الفجر »[٤٧٣] .

---

(٤٧٣) رواه البخاري (١١٤٥و٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨) **وهو حديث مردود عندنا ومؤول عند الذين يثبتونه المنزهة ! والذي نقول به الآن آخراً** أنه من كلام كعب الأحبار الذي نقله من التوراة المحرَّفة وليس بحديث وإن روي في الصحيحين !! وغاية أمره عند من يصححه أنه يقول : **صحيح الإسناد ولا دلالة فيه !!** ولنا فيه كلام طويل سابغ الذيل ذكرناه في كتبنا وتعليقاتنا السابقة .

والاستدلال بهذا الحديث على أنَّ الله تعالى في السماء أو فوق العرش باطل من وجوه ذكرناها في كتبنا نلخصها هنا بالنقاط التالية :

١- أن في الأخذ بظاهر هذا الحديث إثبات حلول الله تعالى في السماء الدنيا وهي من جملة خلقه ، أي حلول الله الخالق المنزه عن المكان في المخلوق المحدود . فصارت السماء إذن أكبرمنه فإذا كانت المسألة بالكبر بالأجسام بطل قولنا الله أكبر !! وهذا باطل محال !!

ومن العجيب الغريب قول ابن قيم الجوزية الزرعي في « اجتماع الجيوش الإسلامية » ص (١٠٩) ـ كما ذكرنا في المقدّمة ـ أنَّ الله ينزل فيجلس على كرسيه وله في كل سماء كرسي ! تعالى الله عن هذا الهراء علواً كبيراً !

٢- أنه جاءت أحاديث صحيحة تثبت أن النزول هو نزول مَلَك من ملائكة الله تعالى ينادي في الشطر الأخير من الليل بأمر الله تعالى : هل من داع فيستجاب له هل من ذا حاجة .... وهذا رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٢٤) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً : « إنَّ الله تعالى يمهل حتى يمضي شطر الليل ثم يأمر منادياً أن ينادي يقول : هل من داع فيستجاب له .... » . وإسناده صحيح .

ورواه أحمد (٤/ ٢٢و٢١٧) والطبراني (٩/ ٥١) والبزار (٤/ ٤٤كشف الأستار) من حديث عثمان بن أبي العاص بأسانيد صحيحة كذلك أنه ينادي منادٍ . فهذا كله مما يعكّر على المجسمة استدلالهم بالحديث على ما يريدون .

٣- أنَّ الحافظ ابن حجر ذكر في « الفتح » (٣/ ٣٠) أن بعض المشايخ ضبط الحديث الذي أورده المصنف هنا بضم ياء (**يُنْزِل**) . فتكون لفظة (أنا الملك) من زيادات الرواة قطعاً .

٤- أنَّ عقيدة نزول الله حقيقة إلى السماء الدنيا في شطر الليل الآخر باطلة بصريح المعقول ، لأنَّ شطر الليل مستمر على وجه الكرة الأرضية طوال الأربع والعشرين ساعة .

وبهذا التقرير يُرْفَع الإشكال والله المعين .

روى عبيد الله بن بكر ، قال : ثنا هشام بن أبي عبدالله ، عن يحيى بن كثير ، عن أبي جعفر ، أنه سمع أبا حفص يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول من ذا الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر »[٤٧٤] .

وروى عبدالله بن بكر السهمي ، قال : ثنا هشام بن أبي عبدالله ، عن يحيى بن كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، قال : ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال : فكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إذ مضى ثلث الليل أو قال ثلثا الليل نزل الله عز وجل إلى السماء فيقول : من ذا الذي يدعوني أستجيب له ؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له ؟ من ذا الذي يسألني أعطيه ؟ حتى ينفجر الفجر »[٤٧٥] [**نزولاً يليق بذاته من غير حركة وانتقال ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً**][٤٧٦] .

دليل آخر : قال الله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾[٤٧٧] النحل : ٥٠ ، وقال تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾[٤٧٨] المعارج : ٤ ، وقال تعالى : ﴿ ثم استوى

---

(٤٧٤) هذه الرواية ضعيفة رواها أحمد (٢/ ٢٥٨) في المسند وفي إسنادها أبي جعفر الواسطي وهو مجهول ، وما يقال في الحديث الذي قبله يقال في هذا وكثرة الطرق لن تقدِّم ولن تؤخر إذا كان مصدره عن كعب الأحبار وأمثاله .

(٤٧٥) رواه أبو داود الطيالسي (١/ ١٨٢) وأحمد في مسنده (٤/ ١٦) وهو غريب تفرد به يحيى بن أبي كثير عن شيوخه بهذا الإسناد ، وإن كان له شواهد ، وتكلمنا قبل قليل في حديث النزول فإن أثبتناه أولناه بنزول ملَك كما جاء في روايات صحيحة وإن رددناه وهو الراجح عندنا قلنا إنه جاء من الكتب المحرفة القديمة فَصُيِّرَ حديثاً !

(٤٧٦) هذه الجملة التي بين معكوفتين [ ] من الناسخ المُنَزِّه وليست من كلام المصنف .

(٤٧٧) معنى الآية عندنا : يخافون ربهم الذي هو فوقهم بالقوة والسلطان والقهر والربوبية ، ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ولا يفيد هذا عندنا أنه في السماء ولا على العرش كما يتوهم المصنف .

(٤٧٨) لا تعني الآية أن الملائكة تعرج إلى مكان فيه الله تعالى البتة ! وتعالى جل وعلا أن يكون في

إلى السماء وهي دخان ﴾[٤٧٩] فصلت : ١١ ، وقـال تعـالى : ﴿ ثـم استوى علـى العـرش الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾[٤٨٠] الفرقان : ٥٩ ، وقال تعـالى : ﴿ ثـم استوى علـى العـرش مالكم من ولي ولا شفيع ﴾[٤٨١] السجدة : ٤ ، فكل ذلك يدل على أنه تعـالى فـي السـماء مستو على عرشه ، والسماء[٤٨٢] بإجمـاع النـاس ليسـت الأرض[٤٨٣] ، فـدل علـى أنـه

مكان سواء في السماء أو في الأرض أو فوق العرش أو تحته ! ومعنى الآية عندنا : أن الملائكة وفيها سيدنا جبريل عليهم السلام وهو الروح تعرج إلى السماء ؛ ولفظة (إليه) ليست عائدة إلى الله تعالى وإنما إلى السماء ؛ قال العلامة الإمام أبو حيان في « البحر المحيط » (٨/ ٤٣١) : « والضمـير فـي (إليه) عائد إلى السماء لأنها تُذَكَّر ، وقيل إلى الله » قلت : فإن قلنا بأنه عائد إلـى اللـه تعـالى كـان مجازياً مثل قوله تعالى في الظل ﴿ ثم قبضناه إلينا قبضـاً يسـيراً ﴾ والظـل ليـلاً لا يذهـب عنـد اللـه اتفاقاً ، وكذا مثل قول سيدنا إبراهيم ﴿ إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴾ أي إلى مكان أمرني أن أذهب إليه ربي ! فالآية التي أوردها المصنف لا تصلح أن تكون دليلاً على كون اللـه تعـالى فـي السـماء أو على العرش ! لأنه منزه عن المكان قطعاً !

(٤٧٩) معنى الآية : (أي عمد إلى خلقها وقصد لتسويتها ؛ والاستواء من صفـة الأفعـال علـى أكـثر الأقوال ؛ يدل عليه قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سـبع سـماوات ﴾) انظـر القرطبـي (١٥/ ٣٤٣) .

(٤٨٠) معنى الآية : خلق الخلق أي هذا الكـون ثـم دبـر أمـره لا غـير ، وأمـا المعنـى الـذي يريـده المصنف والمجسمة أنه خلق الخلق ثم اسـتقر وجلـس وقعـد علـى العـرش فمعنـى بـاطل بصريـح المعقول وصحيح المنقول ! والله منزه عن المكان وعن الجلوس والوقوف والقعـود ﴿ ليـس كمثلـه شيء ﴾ .

(٤٨١) نفس المعنى في الآية السابقة .

(٤٨٢) لم يقل تعالى (استوى على السماء) بل قال : ثم استوى إلـى السـماء ! فـالمصنف يريـد أن يأتي بآيات مختلفة المعنى والمقصود فيجعل معناها جميعاً أن الله مستقر على العـرش ! تعـالى اللـه عن ذلك علواً كبيراً ! وهذه الآيات من المتشابه ، والله تعالى يقول : ﴿ فأما الذين فـي قلوبهـم زيـغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ أي : تأويلـه علـى أمزجتهـم وأهوائهـم كمـا يفعـل المصنف ههنا !!

(٤٨٣) إجماع باطل !

تعالى منفرد بوحدانيته ، مستو على عرشه[٤٨٤] ، [**استواء منزهاً عن الحلول والاتحاد**][٤٨٥] .

دليل آخر : قال الله تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾[٤٨٦] الفجر : ٢٢ ، وقال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾[٤٨٧] البقرة : ٢١٠ ، وقال : ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما

---

(٤٨٤) تعالى الله عن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع الحسي ، والاستقرار والصعود على العرش والسماء ، نعم الله مستوٍ على عرشه أي مدبر لأمر مخلوقاته متعال عليهم بالسلطان والقهر والتسيير ! فالأمر معنوي وليس حسياً كما يتوهم المصنف والمجسمة حيث يدورون ويلفون حول كلمة استوى ليثبتوا أن معناها الاستقرار ، والمصنف صرَّح في كتابه هذا أنه تعالى استوى على العرش من غير طول استقرار ! يعني بقصر استقرار ! ومعنى ذلك أن العرش ليس قديماً وكان الله تعالى جالساً ومستقراً عليه منذ الأزل بل عندما خلقه وهذا أمر قريب أي حديثاً استقر عليه ! فالاستقرار عليه ليس طويلاً ولكنه قصير المدة بالنسبة للأزل ! وهكذا يكون التخبيص !

(٤٨٥) هذه من زيادات النساخ المنزهة لأنها في نسخة الدكتورة فوقية ساقطة من مخطوطة (ك ، ز) .

(٤٨٦) معنى ﴿ وجاء ربك ﴾ أي : وجاء أمر ربك سبحانه ! إذ يتنزه الله عز وجل عن المجيء والذهاب قطعاً لأنه ليس جسماً ينتقل ويتحرك من مكان لآخر ! وقد ثبت عن أحمد بن حنبل إمام المصنف ومرجعه كما يقول في مقدمة هذا الكتاب أنه أوَّل المجيء بمجيء الأمر !

قال الإمام الحافظ ابن الجوزي في ((دفع شبه التشبيه)) : [لا بد من تأويله كقوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ الفجر : ٢٢ ، أي جاء أمره . وقال أحمد بن حنبل : وإنما صرفه إلى ذلك أدلة العقل فإنه لا يجوز عليه الانتقال] .

وقد ثبت هذا التأويل عن أحمد الذي تتظاهر المجسمة بالانتساب إليه بالإسناد الصحيح في كتاب : ((مناقب أحمد)) للحافظ البيهقي (مخطوط) وقد نقله منه ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (١٠ / ٣٢٧) بسند البيهقي الصحيح عن أحمد بن حنبل .

(٤٨٧) هذا خطاب تهكُّم بأولئك المشركين ، وهذا الآية ليس فيها أن الله تعالى في السماء ؛ إلا أن يقول المصنف ظلل الغمام تكون في السماء ؛ ومحال أن يكون الله في ظلل من الغمام ! وظلل الغمام مخلوقة قطعاً والله منزه عن الحلول في بعض خلقه ومنزه عن المكان ! وكل هذه النصوص لا يراد منها ظاهرها ! وهذه مثل قوله تعالى ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾ وقوله تعالى ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ !

أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخــرى ﴾[٤٨٨] النجم : ٨-١٣ إلى قوله ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾[٤٨٩] النجم : ١٨ ، وقــال تعــالى لعيســى ابن مريم عليه السلام : ﴿ إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾[٤٩٠] آل عمران : ٥٥ ، وقــال تعــالى : ﴿ وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ﴾[٤٩١] النساء : ١٥٨ .

وأجمعت الأمة على أن الله ســبحانه رفـع عيسـى صلـى اللـه عليـه وسـلم إلـى السماء[٤٩٢] ، ومن دعاء أهل الإسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلــى اللـه تعـالى فـي الأمـر

---

(٤٨٨) الذي دنا فتدلى هو سيدنا جبريل وليس الله جل وعــز المتعـالي والمـنزه عـن المكـان وعـن التدلي ! وقد نقلت السيدة عائشة في هذه الآيات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المراد بذلك سيدنا جبريل كما في صحيح مسلم (١٧٧) حيث قالت : ((أنا أول هذه الأمة ســأل عـن ذلـك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : **إنما هــو جـبريل**)) ، وانظـر أيضـاً البخـاري (٣٢٣٥) ، وأفتى بذلك ابن مسعود رضي الله عنه وأبو هريرة كما في ((صحيح مسلم)) (١٧٤و٢٨٣) .
فتبين أن قول المصنف ههنا معاكس ومعارض لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة أي السلف !

(٤٨٩) لم يقل سبحانه رأى ربه الكبير ! وإنما قال رأى مــن آيـات ربـه الكـبرى أي مخلوقاتـه ومنـه سيدنا جبريل الذي وردت فيه هذه الآيات !

(٤٩٠) قد بينتُ فيما علقته على ((دفع شبه التشبيه)) ص (١٣٢) أن هــذه الآيـة لا تصـح أن تكـون دليلاً لعقائد المجسمة لأنَّ سيدنا عيسى عليه السلام رفع إلى السماء الثانية وهــو فيهـا كمـا جـاء فـي حديث الصحيحين في حادثة الإسراء !! فيكون معنى الآيتين أن الله تعــالى رفـع سـيدنا عيسـى إلـى السماء الثانية وهي مكانٌ لا يستطيع أعداؤه الذين أرادوا قتله أن يصلوا إليه فيه !! ولا يعنــي ذلـك أنَّ الله في مكان في السماء وجاء بسيدنا عيسى بجنبه تعالى الله عـن ذلـك الخيـال !! وهـذا مثـل قولـه تعالى في الظــل ﴿ ثمَّ قبضناه **إلينا** قبضاً يسيراً ﴾ فتأمل والله الموفق .

(٤٩١) نفس معنى الآية الكريمة التي قبلها .

(٤٩٢) لكن أجمعت الأمة على أن سيدنا عيسى لم يذهب فيجلس عند الله تعــالى أو يقعـد بجنبـه ! فإجماع الأمة على أن سيدنا عيسى رفع إلى السماء الثانية شيء ، وكون رب العزة فـي السـماء الثانيـة أو على العرش أو فوق السماء السابعة شيء آخر ! وقد أجمــع المـنزهون والعقـلاء مـن هـذه الأمـة بجميع فرقها ومذاهبها أن الله مُنَزَّه عن الحلول فوق العرش أو فــي السـماء واتفقـوا علـى أن خـالق

النازل بهم يقولون جميعاً : **يا ساكن السماء**[٤٩٣] ومن خلفهن جميعاً : **لا والذي احتجب بسبع سموات** .

دليل آخر : قال الله عز وجل : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء ﴾ الشورى : ٥١ ، وقد خصت الآية الشريفة البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر ، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم ، كان أبعد من الشبهة وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول : ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً ، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول : ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو أرسل رسولاً ، وننزل أجناساً لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم[٤٩٤] .

المكان منزه عن المكان .

فما يهذي به المصنف والمجسمة وما يوردونه ههنا ما هو إلا زيغ مبين ! لأن هذه الآيات كلها من المتشابه ! وقد أعلمنا الله أن الذين يتبعون متشابه القرآن ويبنون عليه عقيدتهم زائغون أصحاب فتنة في قوله تعالى ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ ! أي تأويله كما يريدون ! من كون الله في السماء !

(٤٩٣) تعالى الله عز وجل عن خرافات هذا الرجل الذي يدعي أن الله يسكن السماء ! تقدس الله عن هذيان المبرسمين ! الذين لا ينزهون إلههم عن السكنى في بعض خلقه ! وهذا الرجل ضال حلولي !

وقلت في التعليق على هذه الكلمة في كتاب العلو : خرط باطل !! ولم نسمع قطُّ أنَّ أحداً من أهل الإسلام يدعو الله تعالى فيقول : يا ساكن العرش أو السماء !! ولم يرد ذلك في الكتاب والسنة ! وهذه كذبة واضحة ظاهرة فنسأل الله تعالى السلامة !!

(٤٩٤) لم أفهم وجه استدلال المصنف بهذه الآية !

إلا أن يريد بها أن البشر بما أنهم على الأرض فيكلمهم الله تعالى بهذه الطرق الثلاث ، وأما الملائكة **فلأنهم عنده في السماء** فإنهم يرونه ولا يحتاج أن يرسل لهم رسول أو يكلمهم من وراء حجاب ، ومع كون هذا استدلالاً متهافتاً إلا أنه منقوض بسيدنا عيسى وهو من البشر وقد ذهب المصنف إلى أنه عند الله تعالى قد رفعه إليه ! وكذا بقية الأنبياء الذين هم في السماء ! وإذا وصل

دليل آخر : قال الله تعالى : ﴿ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ﴾[٤٩٥] الأنعام : ٦٢ ، وقال : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ﴾ الأنعام :٣٠ ، وقال : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ﴾ السجدة : ١٢ وقال عز وجل : ﴿ وعرضوا على ربك صفاً ﴾ الكهف : ٤٨ . كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه ، ولا خلقه فيه[٤٩٦] ، وأنه مستو على عرشه[٤٩٧] [**سبحانه ، بلا كيف ولا استقرار**][٤٩٨] ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، (فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا له بذكرهم إيّاه وحدانية)[٤٩٩] ، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل[٥٠٠] ، وجميع أوصافهم تدل على النفي[٥٠١] ، يريدون بذلك التنزيه ، ونفي التشبيه على زعمهم ، فنعوذ بالله

عقل المصنف إلى هذا المستوى فلا لوم عليه ! ومثله لا تليق به الإمامة إلا كما قيل :

إمام في الضلال له رجال يعينون الإمام على الضلال

(٤٩٥) أي ردوا إلى حساب ربهم وإلى الآخرة لا أنهم يُرَدُّون إلى مكانٍ هو فيه .

(٤٩٦) بل لا يدل ذلك على ما يقول المصنف !

(٤٩٧) ليس في ذلك من قريب ولا من بعيد دلالة على أنه سبحانه عما يقول مستوٍ على العرش !

(٤٩٨) هذه القطعة من زيادة بعض النساخ المنزهة وليست من نص الإبانة أو الأشعري فانتبه .

(٤٩٩) هذا كلام لا معنى له عندنا كما هو (ويمكن تأويله واللف والدوران الفلسفي فيه) وعلى كل الأحوال هو من جملة تخاريف المصنف !

(٥٠٠) طبعاً !! الذي لا يثبت أنه تعالى قاعد وجالس على العرش وله أعضاء وأنه خلق آدم على صورته و... يكون عندهم معطلاً ! وأنا أول المعطلين عن هذه السفسطات التجسيمية والحمد لله رب العالمين !

(٥٠١) لأن النفي هو أصلٌ عَلَّمَنا إياه الله تعالى في القرآن الكريم ! فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **لم** يلد ، **ولم** يولد ، **ولم** يكن له كفواً أحد ﴾ فنفى هنا بـ (لم) ثلاث مرات ! وقال سبحانه ﴿ **ليس** كمثله شيء ﴾ فنفى بـ (ليس) ، وقال سبحانه ﴿ **وَلَمْ** يَتَّخِذْ وَلَدًا **وَلَمْ** يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ وقال تعالى ﴿ **لَمْ** يَتَّخِذْ وَلَدًا **وَلَمْ** يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ **وَلَمْ** يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ والأدلة على النفي كثيرة ! وبه يتبين أن هذا أسلوب القرآن الكريم الذي أراد منا الله تعالى أن نتعلمه ! وبه يسقط كلام المصنف ومن يقول بقوله !

من تنزيه يوجب النفيَ والتعطيل[٥٠٢] .

دليل آخر : قال الله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ النور : ٣٥ فسمى نفسه نوراً والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين :

إما أن يكون نوراً يُسْمع ، أو نوراً يُرَى[٥٠٣] ، فمن زعم أن الله يُسْمَع ولا يُرَى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه[٥٠٤] ، وتكذيبه بكتابه ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم . وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام والله عز وجل فوق ذلك »[٥٠٥] .

وروت العلماء رحمهم الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله »[٥٠٦] .

---

(٥٠٢) انظروا كيف يستعيذ بالله من التنزيه ! وتأملوا في فارغ كلامه الذي انتسف بأدلة القرآن الكريم !

(٥٠٣) لا نور يسمع ولا نور يرى !! لأن معنى النور ههنا هو : الهادي للإيمان ، أو منور السموات والأرض ، قال تعالى ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ أي خلقهما ! وتعالى الله عز وجل أن يكون كخلقه ضوءً كما يتخيل المصنف ويتوهم !

(٥٠٤) الله تعالى لا يُسمَع ولا يُرى ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فلا تخلطنَّ الحابل بالنابل ولا تمزجنَّ السمع بالبصر في قضية غير مرادة فيهما أصلاً !

(٥٠٥) حديث موضوع لا يصح ! رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » ص (٤٢٠) ! وأبو الشيخ في كتاب العظمة (١/ ٢١٢) وأصل الحديث إسرائيلي رواه أبو نُعَيم في « الحلية » (٦/ ٦٧) عن عبدالله بن سلام . وهو مروي عن ابن عباس من قوله الموقوف فليس بحجة ! والمصنف لا يعرف صناعة الحديث !

(٥٠٦) لا يصح بهذا اللفظ ، (موقوف وضعيف الإسناد وزيادة « بين يدي الله » مكذوبة موضوعة فيه) في إسناده ليث بن أبي سُلَيم وهو متروك ، وقال الدارقطني في « العلل » (٦/ ٤٧) الصحيح أنه موقوف عن سيدنا معاذ رضي الله عنه ، وكل من رواه لم يذكر زيادة (بين يدي الله عز وجل) ، ورواه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة ، وإنما الذي رواه بهذا اللفظ البزار (٧/ ٨٨) وهناد في الزهد (٢/ ٣٧٥) .

وروت العلماء أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال : يا رسول الله إني أريد أن أعتقها في كفارة ، فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « فمَن أنا » قالت : أنت رسول الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أعتقها فإنها مؤمنة »[٥٠٧] .

وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه[٥٠٨] [**فوق السماء فوقية لا تزيده قرباً من العرش**][٥٠٩] .

---

(٥٠٧) **هذا الحديث بهذا اللفظ شاذ مردود منكر** . وقد بسطنا الكلام عليه في التعليق على كتاب « العلو » للذهبي الحديث رقم (١) ولنا رسالة خاصة في هذا الحديث بيَّنا فيه عدم صحة لفظ (أين الله ؟) وأنها من تصرفات الرواة !

وقلت في العلو : لفظة (أين الله) هذه شاذة والصواب أنها منكرة ، وقد روى الحديث آخرون فلم يذكروها !! بل ذكروا غيرها وهو : « أتشهدين أن لا إله إلا الله .... » وهو الصواب كما في مسند أحمد (٣/ ٤٥٢) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ٢٤٤) : « رجاله رجال الصحيح » . ورواه أيضاً بلفظ (أتشهدين) الصحيح عبد الرزاق في « المصنَّف » (٩/ ١٧٥) والبزار (١/ ١٤كشف) والدارمي (٢/ ١٨٧) والبيهقي (١٠/ ٥٧) والطبراني (١٢/ ٢٧) وابن الجارود في « المنتقى » (٩٣١) وابن أبي شيبة (١١/ ٢٠) وغيرهم .

وقد بسطنا الكلام بإسهاب على هذا الحديث وما يتعلّق به في كتابنا « تنقيح الفهوم العالية بما ثبت وما لم يثبت في حديث الجارية » وأثبتنا عدم صحة لفظ (أين الله) وجزمنا بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقله بل قال لها « أتشهدين أن لا إله إلا الله ... » فليرجع إليها من شاء استقصاء الأمر من جميع أطرافه وبه يبطل الاستدلال به على العلو الذي يزعمونه والله الموفق والهادي .

(٥٠٨) بل لفظة (أين الله ؟) لا تثبت فيه كما بيناه ! فلا يدل الحديث على ما يريده المصنف ! وهو آحاد معارَض !!

(٥٠٩) زيادة من ناسخ منزه وليست من نص الإبانة ولا من كلام الأشعري فانتبه .

الباب السادس

الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ القصص : ٨٨ ، وقال تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٧ ، فأخبر أن له سبحانه وجهاً لا يفنى ، ولا يلحقه الهلاك[٥١٠] .

وقال تعالى : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾[٥١١] القمر : ١٤ ، وقال تعالى : ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾[٥١٢] هود : ٣٧ ، فأخبر تعالى أن له وجهاً وعيناً لا بكيفٍ ولا بِحَدٍّ[٥١٣] .

وقال تعالى : ﴿ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾[٥١٤] الطور : ٤٨ ، وقال تعالى : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾[٥١٥] طه : ٣٩ ، وقال تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾[٥١٦]

---

(٥١٠) هل تفنى اليدان والقدم والرجل والساق والأصابع والكف والجنب ويبقى الوجه فقط ؟ فلا يلحقه الفناء والهلاك ! وعلى هذا يقال إن للنهار وجهاً قال تعالى ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا **وَجْهَ النَّهَارِ** وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾ ومعنى الآيتين : كل شيء هالك إلا الله جل جلاله ، والمصنف يُفَكِّر حسب تخيلات وأوهام المجسمة !

(٥١١) معنى الآية : أي تجري بحفظنا ورعايتنا ، وليس فيها من بعيد ولا من قريب إثبات أن لله تعالى أعين ! وانتبه إلى أن المصنف يريد إثبات عينين لله تعالى من تبويبه والآية التي أوردها فيها لفظ (أعيننا) وهو جمع العين وليس التثنية !

(٥١٢) أي اصنعه ونحن حافظون لك وآمروك بذلك بالوحي !

وللاستئناس نقول : قال القرطبي في تفسيره (٩/ ٣٠) : [وقد يرجع معنى الأعين في هذه وغيرها إلى معنى عين كما قال ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة ، وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره] .

(٥١٣) كلام فارغ لا معنى له من الإعراب ! من أثبت لله عينين فقد كيَّفه وحدَّه !

(٥١٤) أي في حفظنا ورعايتنا ! وليس في ذلك في اللغة القصد إلى إثبات عين !

(٥١٥) معنى الآية : أي ولتربى بحفظي وكلاءتي لك من إذاية فرعون وقتله ! وإلا فكل الخلق يصنعون على عين الله أي يخلقون ويتربون بتدبيره ورعايته !

النساء : ١٣٤ ، وقال لموسى وهارون عليهما أفضل الصلاة والسلام : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾[٥١٧] طه : ٤٦ فأخبر تعالى عن سمعه وبصره ورؤيته[٥١٨] .

فصل

ونفى الجهمية[٥١٩] أن يكون لله تعالى وجه كما قال ، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين[٥٢٠] ، ووافقوا النصارى ؛ لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم ، وكذلك قالت الجهمية ، ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا : نقول إن الله عالم ، ولا نقول سميع بصير ، على غير معنى عالم ، وذلك قول النصارى[٥٢١] .

فصل

قالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ، ولا سمع له ، ولا بصر ، وإنما

---

(٥١٦) ليس في هذا النص أن الله له عينين بل فيه أنه سبحانه سميع وبصير ! والله منزه عن الجوارح ليس له عين بمعنى الحدقة ، والآيات التي أوردها المصنف التي فيها ذكر الأعين والعين لا علاقة لها بموضوع السمع والبصر لأن المراد بها الحفظ والرعاية ! لكن التجسيم يسري في دم المصنف ولحمه !

(٥١٧) قال القرطبي في تفسيره (١١/ ٢٠٣) : [وقوله (أسمع وأرى) عبارة عن الادراك الذي لا تخفى معه خافية تبارك الله رب العالمين] .

(٥١٨) نتيجة باطلة في إثبات العين وصل لها المصنف ! ويعبر عنها ههنا الآن بعدما جاء بآيات ذكر فيها العين (ببصره ورؤيته) ونسي أن يثبت الأُذُنَ أيضاً مع العين !!

(٥١٩) ذكر الجهمية ههنا وفي مثل هذه الأماكن تشغيب لن ينفعه ! فربما تنفي الجهمية شيئاً وتكون مصيبة ومحقة في ذلك !

(٥٢٠) الله تعالى سميع بصير ! ولكن العين نبطلها كما أبطلتها الجهمية ! فكلام الجهمية أيها المصنف هو الصواب وكلامك خطأ !

(٥٢١) هذا كلام لا خطام له ولا زمام ! أين قال النصارى بأنهم يردّون السمع والبصر إلى العلم ! والجهمية الذين تعنيهم كالمعتزلة أثبتوا أن الله سميع وبصير ! فبطلت هذه التهويشات !

قصدوا إلى تعطيل التوحيد ، والتكذيب بأسماء الله تعالى ، فأعطوا ذلك له لفظاً ، ولم يحصلوا قولهم في المعنى ، ولولا أنهم خافوا السيف ؛ لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم(٥٢٢) .

فصل

وزعم شيخ منهم نحس مقدم فيهم أن علم الله هو الله(٥٢٣) ، وأن الله سبحانه علم ، فنفى العلم من حيث أوهم أنه يثبته ، حتى أُلْزِم أن يقول : يا علم اغفر لي ؛ إذ كان علم الله عنده هو الله ، وكان الله ـ على قياسه الفاسد ـ علماً وقدرة ، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً(٥٢٤) .

---

(٥٢٢) هذا تشغيب لا أساس له من الصحة ! ويقصد بالجهمية المعتزلة والمتكلمين المنزهين ! وكلهم يثبتون العلم والبصر والسمع والقدرة ! وقصد المصنف أن المعتزلة وغيرهم قالوا الله عالم وقادر و ... ولا يقال بعلم وقدرة قديمين خوفاً من أن يتعدد القدماء ولأن العلم وصف الذات وليس شيئاً زائداً في الحقيقة على الذات وإنما هو أمر ذهني يعبر الخلق عنه بلفظة صفة !

(٥٢٣) نعم هذا صحيح وهذا الشيخ الذي وصفه بأنه نحس مصيب فيما قال ! لأن العلم ليس شيئاً في الحقيقة غير الله تعالى يعني غير وصف الله عز وجل بكونه عالماً !! فالله عز وجل ليس محلاً كما يدَّعي بعض المتنطعين في علم الكلام ولا تقوم به الصفات بمعنى أنها تحل في محل وتلتصق به ! وإنما هذه أمور ذهنية للخطاب والفهم عند الكلام عليها ، ولا وجود لها في الواقع بمعنى الجزئية ، والله تعالى عالم سميع بصير عند جميع المسلمين الجهمية وغيرهم ! وقال تعالى ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ جاء في تفسير الجلالين :
(أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته) بدليل تقييدها بقوله تعالى ﴿ إلا بما شاء ﴾ وعلم الله تعالى لا يمكن للخلق إدراكه بوجه من الوجوه .

(٥٢٤) وعلى كل حال نقول : الله تعالى فوق مستوى تفكير الخلق جميعاً وحقيقته تعالى غير مُدركَة للخلق ، وكثير من المتكلمين يتعاملون مع الله وصفاته كأنهم يتعاملون مع بشر فيأتون بالقيود والتعريفات البشرية التي يدركونها ويحاولون تطبيقها على الله تعالى !
ونحن نعتقد أن الله تعالى خاطبنا بهذه الألفاظ التي نفهم منها الكمال ليدلنا على أنه موصوف بالرفعة والعظمة ويتعالى أن تصله عقول خلقه ! فالوجود مثلاً الذي نصف الله به لو طبقناه على أنفسنا لكان

قال الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري رحمه الله ورضى عنه : بالله نستهدي ، وإياه نستكفي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو المستعان .

مسألة :

أما بعد : فمن سألنا فقال : أتقولون إن لله سبحانه وجهاً ؟

قيل له : نقول ذلك ، خلافا لما قاله المبتدعون ، وقد دلَّ على ذلك قوله تعالى[٥٢٥] : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٧ .

مسألة : قد سألنا : أتقولون إن لله يدين ؟

قيل : نقول ذلك بلا كيف ، وقد دلّ عليه قوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾[٥٢٦] الفتح : ١٠ ، وقوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾[٥٢٧] ص : ٧٥ ، وروى عن

عدماً في حقنا لأننا أجسام ولأننا لا ندرك إلا الأجسام والصفات التي هي أعراض ! فوجود الله ليس في مكان ولا يجري عليه زمان ولا يأخذ حيزاً في الفراغ ! ولو وُصِفْنَا نحن بهذا لَدَلَّ على العدم والله موجود ولكن لا تنطبق عليه القوانين التي خلقنا فيها والتي لا يظن بعض الناس إثبات الوجود إلا بها ! ومن هؤلاء الناس ابن تيمية والمجسمة وهذا المصنف المسكين !

(٥٢٥) إذا أراد بالوجه هذا العضو المخصوص الذي هو أحد جهات الرأس فهذا باطل والله تعالى منزه عن الوجه ! والمراد بهذه الآية الذات ومعناها : ويبقى الله ذو الجلال والإكرام .

(٥٢٦) معنى هذه الآية هي كما قال ابن كثير في ((تفسيره)) (١٨٦/٤) : [أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم] أي أنهم بمبايعتهم لرسول الله يعتبرون مبايعيين لله تعالى ، فليس في هذه الآية إثبات شيء يسمى : صفة اليدين !!

وقد أنكروا على من زعموا أنه قال قدرتين ولم ينكروا على أنفسهم عندما أثبتوا يدين ثنتين !!

وقال ابن تيمية في ((التأسيس)) (٢٣/٢) : [وقد اعتلَّ مُعْتَلٌّ بقول الله عز وجل : ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾ قال : الأيدي القوة ، فوجب أن يكون معنى قوله بيدي أي **بقدرتيَّ** ! قيل لهم هذا التأويل فاسد من وجوه : أحدهما أن الأيد ليس بجمع اليد لأن جمع يد أيدي] .

أقول : وهذا من الشيخ الحراني إما تدليس وكذب وإما جهل وغباوة ! لأن (أيدٍ) في اللغة جمع يد وقد بينَّا ذلك فيما مضى ومنه قوله تعالى ﴿ **أم لهم أيد يبطشون بها** ﴾ الأعراف : ١٩٥ .

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته »[٥٢٨] فثبتت اليد بلا كيف[٥٢٩] .

---

(٥٢٧) معنى الآية : لما خلقت أنا ولم يخلقه غيري ! لأن جميع المخلوقات حتى الأنعام خلقت باليد أو باليدين أو بالأيدي ! قال تعالى ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت **أيدينا** أنعاماً فهم لها مالكون ﴾ يعني : بالقدرة ، وفي حديث الدجال الذي في مسلم (٢٩٣٧) : « **لا يَدَانِ** لأحد بقتالهم » أي لا طاقة ولا قدرة كما قال أهل اللغة والنووي في « شرح مسلم » (١٨/ ٦٨) .

فالتثنية ههنا لم تدل على شيئين وإنما دلت على شيء واحد وهو القدرة ، وقول الله تعالى ﴿ تبت **يدا** أبي لهب وتب ﴾ أي ذاته وليس المقصود بذلك حصر الذم بيديه !

(٥٢٨) **موضوع وخرافة إسرائيلية** . ويتنزه الله تعالى أن يمسح بيده على ظهر سيدنا آدم ، وعلى هذه الخرافات لا يستبعد وضع يده تعالى على ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين كتفيه حتى يجد بردها بين ثدييه ، وعليه تكون يده تعالى بحجم ما بين كتفي الرسول وظهر سيدنا آدم عليهما السلام ! وإذا لم تكن هذه خرافات فليس على وجه الأرض خرافات ! والحديث روي من حديث مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً رواه مالك في الموطأ (١٦٦١) والترمذي (٣٠٧٥) وابن حبان (١٤/ ٣٨) وقد بيَّن الحفاظ أنه منقطع بين مسلم بن يسار وعمر بن الخطاب ، مِمَّنْ بَيَّنَ ذلك الترمذي هناك ، والحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (٦/ ٣) وغيره ، وروي من حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٢٥١-٢٥٢ و ٢٩٩ و ٣٧١) وغيره وفيه :

علي بن زيد بن جُدْعَان ضَعَّفوه ، ويوسف ابن مهران ، وثقه أبو زرعة وابن سعد وفيه جهالة ولذا قال الحافظ في التقريب : « لين الحديث » .

وروي من حديث أبي هريرة وهو أقواها رواه الترمذي (٣٠٧٨) وأبو يعلى (١١/ ٢٦٤) و (١٢/ ٨-٩) ، وغيرهما ، وذكره ابن أبي حاتم في « العلل » (٢/ ٨٧) لكن لم يبين فيه ضعف ولا علة ومع هذا فأقول بأن إيراده في العلل من حديث أبي هريرة يبين أنه له علة خفية ، وعلى كل حال فأنا أبيِّن ما عندي من علة هذا الحديث وهي :

أن الترمذي (٣٣٦٨) وابن حبان (١٤/ ٤١/ ٦١٦٧) وغيرهما روياه من حديث أبي هريرة وليس فيه مسح الظاهر ولكن في الحديثين من الشنائع ما الله به عليم ! وها أنا ذا أذكر جزءاً من هذه الرواية التي ليس فيها ذكر مسح الظهر وأضع تحت مستشنع كلماتها خطاً ليدركه القارىء اللبيب ناقلاً لها من صحيح ابن حبان :

[لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس .... فقال له ربه : يرحمك ربك ؛ يا آدم اذهب إلى أولئك

وجاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن اللـه تعـالى خلـق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيـده))[٥٣٠]

الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فسلِّم عليهم ؛ فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليكم السلام ورحمـة الله ، **ثم رجع إلـى ربـه** ؛ فقـال : هـذه تحيتـك وتحيـة بنيـك بينهـم ، وقـال اللـه جـل وعـلا **ويـداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت** ، فقال : **اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين** مباركـة ، **ثـم بسـطهما فإذا فيهما آدم وذريته** ، فقال : أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان منهـم مكتـوب عمره بين عينيه] .

أقول : تعالى الله عن هذا التجسيم الصريح والهراء القبيح وتنزه سيدنا رسول اللـه صلـى اللـه عليـه وآله وسلم أن ينطق بهذا ! وأنا أجزم بأن هذا حديث منقول عن أهل الكتاب من الكتب المحرفة .

(٥٢٩) والله لم تثبت لا بالآيات التي أوردتها لأن معناها يغاير ما تريد وتقصد ولا بمثل هذا الحديث الإسرائيلي ! وتعالى الله عن الأعضاء والتركيب !

(٥٣٠) هذا قول ليس مأثوراً عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم بـل هـو مـروي بسـند صحيح عن كعب الأحبار اليهودي الأصل !

رواه أبو الشيخ في العظمة (برقم ٢١٥) و (برقم ١٠٢٩) وعثمان بن سعيد الدارمـي فـي ((الـرد على بشـر المريسي)) ص (٣٥) عن كعب الأحبار فقال هناك :

((حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ابن أبي عروبة ، عن قتـادة **عـن أنـس عن كعب** قال : لم يخلق الله بيده إلا ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عـدن بيده ، ثمَّ قال لها تكلمي . قالت : قد أفلح المؤمنون)) .

ورواه البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص (٣١٨) : عن عبدالله بن الحارث ، وهـو ممـن يـروي عن كعب الأحبار كما تجد ذلك في ترجمته في ((تهذيب الكمال)) (١٤/ ٣٩٧) .

ورواه عبد الله ابن أحمد فـي كتـاب السـنة (٢/ ٤٨٥/ ١١١٨) موقوفـاً علـى ابـن عبـاس بإسـناد واهٍ واعـترف المحقـق بضعفـه هنـالك ! ورواه الطـبراني فـي الأوسـط كمـا فـي ((مجمـع البحريـن)) (٨/ ١٤٧/ ٤٨٦١) وإسناده واه ، ورواه الطبراني عقبه هناك بإسناد آخر وليـس فيـه ذكـر اليـد .ورواه الطبراني هناك أيضاً برقم (٤٨٦٠) مـن حديـث أبـي سعيـد وإسـناده واهٍ أيضـاً ، والـبزار كمـا فـي ((كشف الأستار)) (٤/ ١٨٩) موقوف وفي السند حماد بن سلمة لا يلتفت لخبره .

وأنس وأبو سعيد وعبد الله بن الحارث وابن عباس كانوا ممن يروي عن كعب الأحبار !!

وهو معارض بما رويَ عن ابن عمر وهو أيضاً مما أخذه عـن كعـب الأحبـار فيمـا رواه الحـاكم فـي

[**أي بيـد قدرتـه سبحانه**][٥٣١] .

وقال تعالى : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾[٥٣٢] المائدة : ٦٤ ، وجاء عن النبي صلـى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال : « كلتـا يديـه يميـن »[٥٣٣] وقـال تعـالى : ﴿ لأخذنـا منـه باليمين ﴾[٥٣٤] الحاقة : ٤٥ .

المستدرك (٢/ ٣١٩) والبيهقـي فـي « الأسـماء والصفـات » ص (٣١٩) وصححـه الحـاكم وأقـرَّه الذهبي ولفظه : « خلق الله أربعة أشياء بيده : العـرش ، وجنـات عـدن ، وآدم ، والقلـم ... » ولـم يذكر كتابة التوراة بيده .

وكنت قد قلت عنه في التعليق على العلو ص (٢٧٥) : **موقوف منكر باطل إسـرائيلي وهـو معـارض للقـرآن كمـا سـيأتي وهـو ممـا أُخِـذَ ونقـل عـن كعـب الأحبـار** ، وإنمـا قلنـا يعـرض القـرآن لأنـه يعارض قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوا أنا خلقنا لهم مما **عملت أيدينا أنعاماً** فهم لها مـالكون ﴾ وقولـه تعالى ﴿ **والسماء بنيناها بأيد** وإنا لموسعون ﴾ ولفظة (أيدٍ) هنا هي جمع يد وهي الكف بدليل قوله تعالى ﴿ أَلَهُمْ أَيدٍ يبطشون بها ؟ ﴾ والله المستعان .

فبهذه الآيات تَبَيَّنَ أن العالَم كله مخلوق بيد الله تعالى أي بقدرته لا خصوص تلك الأشياء الثلاث أو الأربع ، أما تخصيص سيدنا آدم بالذكر في قوله تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديَّ ﴾ فهي لبيان الفضل والمزية ، وقد أفاض الحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى في بيان ذلك في « دفع شـبه التشبيه » ص (١١٤-١١٧) فارجع إليه فإنه مهم .

(٥٣١) زيادة من ناسخ منزه وليست من نص الإبانة ولا من كلام الأشعري فانتبه لذلك .

(٥٣٢) هذا كناية عن الكرم ! ولا يدل هذا في لغة العرب على أن له جارحتين مفتوحتين !

(٥٣٣) ليس بصحيح بل هو معارَض ومن جملة الإسرائيليات ، رواه مسلم في الصحيح (١٨٢٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وهو من رواة الإسـرائيليات ، ويعارضـه مـا فـي صحيـح مسـلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر مرفوعاً :

« يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامـة ثـم يـأخذهن بيـده اليمنـى ثـم يقـول أنـا الملـك أيـن الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي **الأرضين بشماله** » فتأملوا ! والحديثـان لا يصحـان عندنـا وهمـا متعارضان والله منزه عن هذا !

(٥٣٤) قال القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٧٨) : « أي بالقوة والقدرة ؛ أي لأخذناه بالقوة » وكـذا قـال ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣/ ٤٩) وزاد : « أن هذا الكـلام خـرج مخـرج الإذلال علـى عـادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب » .

وليس يجوز في لسان العرب[٥٣٥] ، ولا في عادة أهل الخطاب ، أن يقول القائل : عملت كذا بيدي ويعنى به النعمة[٥٣٦] ، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ، ومعقولاً في خطابها ، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان[٥٣٧] أن يقول القائل : فعلت بيدي ، ويعني النعمة[٥٣٨] ، بطل أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ بيدي ﴾ النعمة ، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل : لي عليه يدي ، بمعنى لي عليه نعمتي[٥٣٩] ، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دوفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة ؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلّق في أن اليد النعمة إلاّ من جهة اللغة[٥٤٠] فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسّر القرآن من جهتها ، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها ؛ لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى : ﴿ بيدي ﴾ نعمتي إلى الإجماع[٥٤١] فليس المسلمون على ما ادعى متفقين ، وإن روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل : بيدي يعنى نعمتي[٥٤٢] ، وإن لجأ إلى

---

(٥٣٥) كنت أرجو أن لا يذكر المصنف لسان العرب لأنه يدَّعي أشياء في لسان العرب وفي الحقيقة الصواب بعكسها وإنما تلك القواعد من اختراع المصنف أو أناس آخرين قبله .

(٥٣٦) والمعتزلة لم يقولوا ذلك في مثل هذه الجملة ولا قاله أحد ! لأن اليد في كل سياق لها معنى يناسب ذلك السياق ولم ينحصر معناها في النعمة فالمصنف يغالط .

(٥٣٧) أنت لا تعرف أهل اللسان ولا ما يقوله أهل اللسان ولا أدل على ذلك من ادعائك أن (أيدٍ) لا تأتي بمعنى جمع يد وهذا غلط بصريح القرآن واللغة ، فإياك أيها المصنف أن تتشدق علينا بذكر أهل اللسان وأهل البيان !

(٥٣٨) هنا لا يريد النعمة إنما يراد بذلك القدرة فلا تغالط !

(٥٣٩) بل يجوز وكلامك كلام غير الواعين !

(٥٤٠) هذا كلام لا أريد التعليق عليه لأنه ظاهر المغالطة والفساد ! وقد تقدَّم أن المصنف يجهل قضايا في اللغة وهي مذكورة في القرآن الكريم بخلاف ما يدَّعيه المصنِّف !

(٥٤١) ولماذا يراجع على الإجماع ؟! لا تغالط !

(٥٤٢) بل إن كلام اللغويين يبطل ويفسد ما يدَّعيه المصنف بل ينسفه نسفاً ! قال المجد الفيروز أبادي في شرح القاموس في مادة (يدى) ما نصه : [**واليد :** الجاه ، والوقار ، والحَجْرُ على من

وجه ثالث سألناه عنه ، ولن يجد له سبيلاً .

مسألة : ويقال لأهل البدع : ولم زعمتم أن معنى قوله : ﴿ بيدي ﴾ نعمتي أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة ؟

فلا يجدون ذلك إجماعاً ولا في اللغة(٥٤٣) .

وإن قالوا : قلنا ذلك من القياس .

قيل لهم : ومن أين وجدتم في القياس أن قوله تعالى : ﴿ بيدي ﴾ لا يكون معناه إلا نعمتي(٥٤٤) ؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن تفسير كذا كذا مع أنا رأينا الله عزّ وجلّ قد قال في كتابه العزيز الناطق ، على لسان نبيه الصادق : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ إبراهيم : ٤ ، وقال تعالى : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ النحل : ١٠٣ ، وقال تعالى : ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾(٥٤٥) الزخرف : ٣ وقال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله ﴾ محمد : ٢٤ ، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره ، ولا أن نعرف معانيه

يستحقه ، ومنع الظلم ، ... **والقوة ، والقدرة** ، والسلطان ، والمِلك ، ..... **والنعمة ، والإحسان تصنعه ، جمعها** : يُدِيٌّ مثلثة الأول ، **وأَيْدٍ**] فليهنأ المصنف ومن على شاكلتهم بأقوال أئمة اللغة التي لا يعرفونها ويتشدقون بمعرفتها !

(٥٤٣) بل من معاني اليد في القاموس المحيط : (النعمة) كما بيناه قبل قليل .

(٥٤٤) مَنْ الذي قال بأن معنى قوله تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ معناه بنعمتي ؟! إذا كان يعني المعتزلة الذين يقال أنه درس عندهم أربعين سنة فهم لم يقولوا بذلك ! وهذا يثبت أن القصص التي تُحْكَى في ذلك وأنه يعرف تفاصيل مذهب المعتزلة قصص خرافية ! أو كان المذكور غبياً بحيث يجلس في مذهبٍ أربعين سنة فلا يعرف أقواله ولا آراء ذلك المذهب ! ونحن نرى اليوم كثيراً في شيوخ ينتسبون إليه اسماً وعمرهم يقارب الستين والسبعين وأكثر وهم من أجهل الناس بمذهب الأشعري والأشاعرة !

(٥٤٥) الآن سيتبين بعد قليل أنه لا يفهم القرآن بهذه اللغة العربية التي أورد فيها هذه الآيات الكريمة !! حيث يقول بأنه ليس من معنى (أيدٍ) أنها جمع كف أو الجارحة المعروفة !!

إذا سمعناه ، فلما كان من لا يحسن لسان العرب[٥٤٦] لا يحسنه ، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه على أنهم إنما علموه ، لأنه بلسانهم نزل ، وليس في لسانهم ما ادعوه .

مسألة : وقد اعْتَلَّ مُعْتَلٌّ بقول الله تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾الذاريات:٤٧ ، **قالوا الأيد القوة**[٥٤٧] فوجب أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ بيديَّ ﴾ بقدرتَيَّ ، قيل لهم : هذا التأويل فاسد من وجوه :

أحدها : أن الأيد ليس جمع لليد[٥٤٨] ؛ لأن جمع يد أيدي ، وجمع اليد التي هي نعمة أيادي ، وإنما قال تعالى : ﴿ لما خلقت بيديَّ ﴾ ، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله : ﴿ بيدَيَّ ﴾ معنى قوله : ﴿ بنيناها بأيدٍ ﴾[٥٤٩] .

وأيضاً : فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي ، وهذا ناقض لقول مخالفنا ، وكاسر لمذهبهم ؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين[٥٥٠] .

---

(٥٤٦) ينبغي أن يخاطب المصنف نفسه قبل أن يخاطب خصومه لأن كلام خصومه هو الصواب وكلامه فاسد لغوياً بمقتضى لسان العرب !!

(٥٤٧) يعني هو ينكر عليهم ذلك ولنستمع إلى كلماته وأدلته المضحكة حقاً !

(٥٤٨) هذا كلام باطل فاسد ! وهو دعوى عريضة ! ولاحظ أن المصنف أورد آيات فيها ذكر العربية وذكر أهل اللسان ليوهم أنه يفهم القرآن باللغة العربية التي نزل بها ويعرف أقوال أهل اللسان والواقع ليس كذلك !! والبرهان على فساد كلامه وبطلانه وأنه كلام مردود لا قيمة له واعتراض ساقط على خصومه الذين يفهمون اللغة أكثر منه بمرات وكرات !! أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا **أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا** أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ الأعراف : ١٩٥ ، فهذا القرآن يخبرنا بأن (أيد) هي جمع يد وهو العضو المعروف في البدن ، وأما أهل اللسان : فيقول صاحب القاموس في مادة (يدى) : [**اليد : الكف أو من أطراف الأصابع إلى الكتف ، أصلها يَدْيٌ ، جمعها : أيدٍ ويُدِيٌّ**] . فليهنأ المصنف ومن يعظّمه ويفخمه بهذه المعلومات القيمة !!

(٥٤٩) بل هو نفس المعنى لأن الله تعالى خلق الكون كله بقدرته الإلهية وليس بعضو ولا آلة ! فبطل كلام المصنف !

(٥٥٠) ومن قال لك بأنهم يثبتون قدرتين وهم يقولون بأن الصفات عين الذات ؟ هل حقاً أنت تفهم مذهبهم ؟ مسكين !

وأيضاً : فلو كان الله تعالى عنى بقوله : ﴿ لما خلقت بيديَّ ﴾ القــدرة لـم يكـن لآدم صلى الله عليه وسلم على إبليس مزية في ذلـك(٥٥١) ، واللـه تعـالى أراد أن يـرى فضل آدم صلى الله عليه وسلم عليه(٥٥٢) ؛ إذ خلقه بيديه دونـه(٥٥٣) ، ولـو كـان خالقـاً لإبليس بيده كما خلق آدم صلى الله عليه وســلم بيـده لـم يكـن لتفضيلـه عليـه بذلـك وجه(٥٥٤) ، وكان إبليس يقول محتجّاً على ربّه : فقد خلقتنــي بيديـك كمـا خلقـت آدم صلى الله عليه وسلم بهما(٥٥٥) ، فلما أراد الله تعالى تفضيله عليه بذلــك ، وقـال اللـه تعالى موبخاً له على استكباره على آدم صلـى اللـه عليـه وسـلم أن يسـجد لـه : ﴿ مـا منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت ﴾ ص : ٧٥ ، دل على أنـه ليـس معنـى الآيـة

واعلم أن معنى قوله تعالى ﴿ أن تسجد لما خلقت بيديَّ ﴾ أي ما خلقته أنا ولم يخلقه غيري ! وجاء فـي تفسـير الجلاليـن : [أي توليـت خلقـه ، وهـذا تشـريف لآدم ، فـإن كـل مخلـوق تولــى اللـه تعالى خلقه] . والتثنية هنا لا تدل على المثنى ولا على أي شيء غير الذات ! ألم تر إلى قوله تعـالى ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ أن المراد بذلك ذاته ؟! وألم تقرأ ما جاء في حديـث يـأجوج ومـأجوج الذي في صحيح مسلم (٢٩٣٧) (**لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم**) أي لا طاقة ولا قدرة !
لكن المصنف مفلس في اللغة وفي إدراك معاني القرآن !

(٥٥١) بل له مزية في ذلك ! لأن تخصيص الشيء بالذكر يدل على الأفضلية ! فالله تعالى يقول عــن البيت الحرام ﴿ أن طهرا بيتي للطائفين ﴾ ولا يعني هذا أن بقية المساجد ليست بيـوت اللـه تعـالى ! فافهم ذلك قبل أن تضلك كلمات المصنف المتهاوية !

(٥٥٢) بل أراد أن يعلم إبليس أنه عصاه تعالى بترك الأمر بالسجود وعدم تنفيذ أمره !

(٥٥٣) كلام غير صحيح ! كل شيء خلق بيد الله أي بقدرته !

(٥٥٤) هذه مغالطة من المصنف ! وهذا إقحام لشيء غير موجود ولا مختزن إلا فـي ذهـن المصنـف المسكين ومن على شاكلته ! فإقحام التفضيل ههنا بذكر الخلق باليدين باطل ! الخصوصية لا تقتضي الأفضلية كما قالوا ! ولكن تخصيصه بالذكر يقتضي المزية وقد يقتضي الأفضلية !

(٥٥٥) إبليس أكثر من المصنف فهماً لأنه كان عارفاً وفاهماً ومدركاً بأنه هو وسيدنا آدم عليـه السـلام مخلوقين بيدي الله أي بقدرته ، وهذه ليست نقطة الجدل والبحث ، فذهب ليفاضل بشيء آخر وهــو كونه من نار وكون سيدنا آدم من طين ! فكأنه يقول كلنا عبادك وأنا لم أسجد لــه لأننـي أرى الفضـل عليه !

القدرة ؛ إذ كان الله تعالى خلق الأشياء جميعاً بقدرته ، وإنما أراد إثبات يدين[٥٥٦] ، ولم يشارك إبليس آدم صلى الله عليه وسلم في أن خُلِقَ بهما[٥٥٧] .

فصل

وليس يخلو قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيديَّ ﴾ أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين[٥٥٨] ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين [**تعالى الله عن ذلك**][٥٥٩] ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا توصفان إلا كما وصف الله تعالى[٥٦٠] ، فلا يجوز أن

---

(٥٥٦) إذا فسَّر المصنف اليدين بغير القدرة والمعاني المجازية الأخرى استلزم ذلك أنه يعتقد أن لله يدين حقيقيتين أي جارحتين ـ وإن تعلل بأنهما لا تشبهان جوارح الخلق ـ بهما خلق سيدنا آدم عليه السلام ! وهذا مذهب وتصور فاسد من المصنف لأن الله بيَّن أنه خلق سيدنا آدم والخلق ـــ في آية أخرى مُبَيِّنَة ـ بالقدرة إذ قال سبحانه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران : ٥٩ . فسقط كلام المصنف جميعه !

(٥٥٧) كلام فارغ !!

(٥٥٨) المعتزلة لم يقولوا أيها المصنف بأن اليدين هنا النعمتين ، وإنما قال بعضهم في تفسير قوله تعالى ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ أي أن نعمتيه مبسوطتان على العباد وهما نعمة الدين ونعمة الدنيا ، لكن إن فسروها هنالك بالنعمة أو بالنعمتين لا يعني أن تُلزمهم بجر تفسير كل نص على أنه النعمة أو النعمتان . فالمصنف يغالط ليقنع بعض السذج الذين لا يفهمون الكلام ولا يستطيعون أن يدركوا فساد قوله وبطلانه !

(٥٥٩) زيادة من ناسخ منزه وليست من نص الإبانة ولا من كلام الأشعري فانتبه لذلك .

(٥٦٠) ما الذي وصف الله تعالى به نفسه في اليد ؟ إذا كنت تقول بأن القرآن نزل بلغة العرب فمعنى ذلك أن لفظ اليد معلومة من السياق ! ومن قال بأن الله لم يخلق بيده شيء إلا ثلاثة أشياء منهم سيدنا آدم عليه السلام كان كلامه واضحاً في أنه يقصد بأن لله تعالى جارحتين اسمهما اليدان ! أما أن تقول كما وصف الله نفسه بدون معنى فهذا باطل لأن اللفظة في لغة العرب لها معنى يفهم من السياق ـ إذا كان لها أكثر من معنى ـ فإما أن تقول بالمعنى المجازي وهو القدرة وإما أن تقول بالمعنى الحسي الحقيقي وهو الجارحة ؟ ولا ثالث لذلك ! والمسألة لا تحتاج للجري بها في مهيع

يكون معنى ذلك نعمتين ؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل : عملت بيدي وهو يعني نعمتي .

ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين[٥٦١] ، ولا يجوز عند خصومنا أن يعني قدرتين وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع ؛ وهو أن معنى قوله تعالى : ﴿ بيدي ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ، ولا قدرتين ، ولا نعمتين ، لا يوصفان إلا بأن يقال : إنهما يدان ليستا كالأيدي[٥٦٢] ، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت .

مسألة : وأيضاً : فلو كان معنى قوله تعالى : ﴿ بيدي ﴾ نعمتي[٥٦٣] لكان لا فضيله لآدم صلى الله عليه وسلم على إبليس في ذلك على مذاهب مخالفينا[٥٦٤] ؛ لأن

التمييع أكثر من ذلك ! فأنت تقول بالجارحة وإن حاولت التقية والتهرب واللف والدوران !

وقد تبين أن المصنف يدعو الناس إلى أن القرآن مفهوم معناه لأن الله أنزله باللغة العربية ثم يصل هنا إلى أنه (لا معنى) !!!! أرأيتم كيف يكون الاضطراب والتخابط والتهافت والتناقض ؟!!!

(٥٦١) قوله ههنا بأنه لا يعني باليدين جارحتين لن يبعده عن التجسيم ولن ينفعه بعدما أثبت بأن جميع معانيها الأخرى منفية عنه تعالى ، فإذا قلنا بأنهما ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين ، ولا يوصفان إلا بأنهما يدان ليستا كالأيدي ، ماذا يكون معناهما ؟ وقد أنزل الله تعالى لنا هذا القرآن بالعربية لنفهمه ونتدبر معناه لا لنجهله ونجعله طلاسم لا تُفهم ! ولماذا يصر على أنهما يدان ثنتان وليست يد واحدة ولا أيدي كثيرة ؟! ولماذا يبقى مصراً على أن خصومه يقولون بقدرتين ؟! وأما نِعَمُ الله تعالى فليست نعمة واحدة ولا ثنتين بل نِعَمُهُ تعالى كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصى !!

والمصنف يثبت لله الأصابع في تلك اليد وأن الله تعالى عما يقول مسح ظهر آدم بيده وبعد هذا يقول إنها ليست بجارحه وهما يدان اثنتان بلا كيف !! ما هذا إلا هراء يَضْحَكُ به المصنف على قليلي العلم وخفيفي العقل !!

(٥٦٢) كلام لا معنى له .

(٥٦٣) لم يقل فيما أعلم أحد أن معنى هذه الآية ههنا (نِعْمَتَيَّ) حتى يورد المصنف هذا الإشكال .

(٥٦٤) مخالفيه لا يقولون بذلك !

الله تعالى قد ابتدأ إبليس على قولهم ، كما ابتدأ آدم صلى الله عليه وسلم(٥٦٥) ، وليس تخلو النعمتان أن يكونا هما بدن آدم صلى الله عليه وسلم ، أو يكونا عَرَضين خلقا في بدن آدم عليه الصلاة والسلام ، فلــو كـان عنـى بـدن آدم عليـه السـلام فـالأبدان عنـد مخالفينا من المعتزلة جنس واحد(٥٦٦) ، وإذا كانت الأبدان عندهـم جنسـاً واحـداً فقـد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة(٥٦٧) ما حصل في جسد آدم صلى اللـه عليه وسلم(٥٦٨) ، وكذلك إن عنى عَرَضين فليس من عرض فعله في بدن آدم صلى الله عليه وسلم من لون أو حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بـدن إبليس وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم صلى الله عليه وسلم على إبليس في ذلك(٥٦٩) ، والله تعالى انما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم صلى الله عليه وسلم فــي ذلـك الفضيلـــة(٥٧٠) ، فـــدل مـــا قلنـــاه علـــى أن اللـــه عـــز وجـــل لمـــا قـــال :

---

(٥٦٥) نعم هذا هو قول الله تعالى الذي لا تستطيع إنكاره قال تعالى ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردنـاه أن نقول له كن فيكون ﴾ وقوله تعالى عن سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ آل عمران : ٥٩ .

(٥٦٦) نعم الأبدان جنس واحد أي أنها جميعاً داخلة في كونها أجساماً !

(٥٦٧) إن المعتزلة لم يفسروا الآية ههنا بالنعمــة ! وإنمـا قـال بعضهـم بـأن اللـه تعـالى عندمـا أمـر الملائكة بالسجود لسيدنا آدم كان ذلك إنعاماً على سيدنا آدم بتكرمة سنيَّةٍ وابتلاء للملائكة !
ثم إن الإيجاد نعمة أنعمها الله تعالى على كل مخلوق عاقل ! ولكن لم يقل أحد مــن المعتزلـة فيمـا نعلم أنه حصل في جسد إبليس من النعمة ما حصل في جسد سيدنا آدم ، فإن كان هنـاك قـائل فربمـا قصد أن الله أنعم عليه بالسمع والبصر كما أنعم على سيدنا آدم وكذا العقل وغير ذلك من النعم !

(٥٦٨) وهذا شطح للمصنف في الكلام عن الآية إلى واد آخر في محاولات إلزام غير ملزمة !

(٥٦٩) لا يوجب ذلك إلا من لا عقل له ! لأن الله أنعم على الأنبياء بالبصر والسمع والقــوة والإرادة وأنعم هذه الأشياء أيضاً على أبي لهب ولا يعني ذلك تساويه مع الأنبياء أو أن الأنبياء لا فضيلـة لهـم على أبي لهب اللعين !! فلتستيقظ !

(٥٧٠) ليس كذلك كما قدمناه ! وإنما احتج له بذلك ليقول له : لماذا لم تطع أمري وأنا الخالق لهـذا المخلوق والآمر بالسجود له ! فلم يخلقه غيري ولم يأمرك غـيري فكـان ذلـك حصـراً لـه فـي عـدم وجود جواب فيه نوع حجة فطغى وأظهر استكباره وأجاب بما يفيد التمرد والعصيان !

﴿ خلقت بيدي ﴾لم يعن نعمتي[٥٧١] .

مسألة : ويقال لهم : لم أنكرتم أن يكون الله تعالى عنى بقوله : ﴿ بيدي ﴾ يدين ليستا نعمتين[٥٧٢] ؟

فإن قالوا : لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة[٥٧٣] .

قيل لهم : ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة ؟ وإن رجعونا إلى شاهدنا ، أو إلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا : اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم : إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله تعالى فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً فاقضوا بذلك على الله ـ تعالى عن ذلك ـ وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين[٥٧٤] .

وإن أثبتم حياً لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله تعالى عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ، ولا كالأيدي[٥٧٥] ؟

وكذلك يقال لهم : لم تجدوا مدبراً حكيماً إلا إنساناً ثم أثبتم أن للدنيا مدبراً حكيماً ليس كالإنسان ، وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد[٥٧٦] .

---

(٥٧١) كما لم يَعْنِ يدين ثنتين ! فإن من قال له يدين ثنتين وعينين ووجه لم يكن إلا مجسماً وإن تظاهر بنفي الجارحة !

(٥٧٢) هم لم يقولوا نعمتين حتى تلزمهم هذا الإلزام الفاشل !

(٥٧٣) افتراض غير صحيح ! لأن اليد لها عدة معانٍ منها القدرة والكرم والبخل وغير ذلك !

(٥٧٤) إلزام باطل ! ويلاحظ أن المصنف يكثر الكلام فيما لا فائدة فيه ليوهم بأنه رد على المنزهة ولكن ليس ثم هناك !

(٥٧٥) مغالطة لأن حياة الله تعالى ليست روح ودم ولحم حتى يصح هذا الإيراد والاستشكال !

(٥٧٦) هذا إيغال في المغالطات ! وهذا كله شطح عن أصل الموضوع وهو نفس حجة المجسمة في إثبات اليد التي هي في الحقيقة جارحة ! فالحكمة والتدبير مثلاً صفات أي أمور معنوية حسية خلافاً

مسألة : فإن قالوا : إذا أثبتم لله عز وجل يدين لقوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله تعالى : ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ يس : ٧١ ؟

قيل لهم : قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي(٥٧٧) ، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك ؛ وجب أن يكون الله تعالى ذكر أيدي ورجع إلى إثبات يدين ؛ لأن الدليل عنده دل على صحة الإجماع(٥٧٨) ، وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يرجع من قوله أيدي إلى يدين ؛ **لأن القرآن على ظاهره ، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة ، فإن وجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر آخر(٥٧٩) ، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها إلا بحجّة(٥٨٠)** .

مسألة : فإن قال قائل : إذا ذكر الله عز وجل الأيدي وأراد يدين ، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة ؟

قيل له : ذكر تعالى أيدي وأراد يدين ؛ لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال

لليد والقدم والوجه والعينين والساق !

(٥٧٧) من هم الذين أجمعوا ؟! وهذا هروب من الجواب ! ولماذا لا تكون يد واحدة مع ورود ذكر اليد واليدين والأيدي هل رجحتم اليدين قياساً على الإنسان لأنه تعالى خلق آدم على صورته كما تزعمون ؟!

(٥٧٨) لم تجمع الأمة على إثبات يدين لله تعالى والإجماع إن كان منعقداً في هذه المسألة فهو منعقد على تنزيه الله عن اليدين واليد والأيدي بمعنى الجارحة ! والمصنف يسعى ههنا أن يثبت يدين بمعنى الجارحة وإن نفى لفظ الجارحة وقال به معنى !

(٥٧٩) إذن هو يقول بظاهر اليدين اللتان هما جارحتان وليس لهما ظاهر إلا ذلك ! والمعنى المغيب عنا الذي يَدَّعيه غير الظاهر ! فتبين تناقضة واضطرابه في هذه المسألة وانكشف أنه يقول بالظاهر وهو الجارحة ! تعالى الله سبحانه عما يهذي به علواً كبيراً .

(٥٨٠) هذا تصريح واضح بالجارحة ! فهو يذكر (الظاهر) و (على حقيقته) وأي حقيقة وظاهر لليدين إلا هذه اليد الجارحة المعروفة عند جميع الناس ؟!

أيدى كثيرة[٥٨١] وقول من قال يداً واحدة ، فقلنا يدان ؛ **لأن القرآن على ظاهره**[٥٨٢] ، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر[٥٨٣] .

مسألة : فإن قال قائل : ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى : ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ يس : ٧١ ، وقوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ ص : ٧٥ **على المجاز ؟**

قيل له : حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته ، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة ، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم ، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر ، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة ، **كذلك قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين** ، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة ، ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدعى أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص ، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة ، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز أن يكون مجازاً بغير حجة ، بل واجب أن يكون قوله تعالى : ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ **إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة** غير نعمتين إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم : فعلت بيدي ، وهو يعني النعمتين[٥٨٤] .

---

(٥٨١) من هم الذين أجمعوا ؟ هل هم الكرَّامية ؟

(٥٨٢) هذه المواضع تفيد أنه يأخذ القرآن في أمور الصفات على الظاهر وهذا نفس قول المشبهة والمجسمة وهو منهم عندنا جزماً !

(٥٨٣) يعني وهنا لم تقم حجة بأنه على خلاف ظاهر اليدين ! فهو يبني عقيدته على مخطط جسم الإنسان ! فاليد والأيدي ليس على ظاهره أما اليدين فإنهما على ظاهرهما عنده !

(٥٨٤) المعتزلة لم يفسروا الآية التي فيها ذكر اليدين بالنعمتين ! والمصنف يغالط ويطوِّل الكلام ويعرّضه ويبديه ويعيده في هذه النقطة ! قال الزمخشري في الكشاف (١٠٧/٤) : [فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما ، حتى قيل في عمل القلب : هو مما عملت يداك ، وحتى قيل لمن لا يد له : يداك أوكتا وفوك نفخ] .

الباب السابع

الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه ﴾[٥٨٥] النساء : ١٦٦ .

وقال تعالى : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ فاطر : ١١ وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه العزيز[٥٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ هود : ١٤ .

وقال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه[٥٨٧] إلا بما شاء ﴾ البقرة : ٢٥٥ .

وذكر القوة فقال : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ فصلت : ١٥ .

---

(٥٨٥) قال صاحب الجلالين : أي عالماً به . ثم ليس في هذا النص دلالة على أن المراد بلفظة (بعلمه) صفة قائمة بالذات على معنى كذا وكذا ، فإن هذا معنى اصطلاحي عند المتكلمين لم تكن العرب تقصده ! ولم يكن القصد من هذه الجملة قطعاً إثبات صفة زائدة على الذات قائمة بالمحل ليست عين الذات ولا غيرها كما يقول المفلسفون المتمشدقون !

قال الإمام الرازي في ((التفسير)) (٦/ ١١/ ١١٤) : [قال أصحابنا : دلت الآية على أن لله تعالى علماً ، وذلك لأنها تدل على إثبات علم لله تعالى ، ولو كان علمه نفس ذاته لزم إضافة الشيء إلى نفسه وهو محال] .

أقول : أشعر من اقتصار الإمام الرازي على هذا الكلام أنه غير موافق عليه ! وعلى كل حال فهذا كلام باطل وقوله فيه محال لا يصح بل هو من أبطل الباطل ! فإن الله تعالى يقول ﴿ ويحذركم الله **نفسه** ﴾ كيف يضيف نفسه إلى نفسه وتقولون إنه محال ؟ وهو سائغ جائز كما ترون من نص القرآن وهو بالكلام العربي الفصيح ! وما يقال هنا يقال في الآيات التي تليها أو التي وردت بهذا اللفظ !

(٥٨٦) وهذا لن يقدِّم ولن يؤخِّر فإنه سبحانه ذكر الاستواء كما يقولون في سبعة مواضع من كتابه ولم يَعْنِ ذلك عندنا ما يريده الأشعري وابن تيمية والمجسمة ! والعقل ومشتقاته مذكور في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جداً ومع ذلك يمنعون من استعماله والاعتماد عليه !

(٥٨٧) معنى (من علمه) أي بشيء من معلوماته !

وقال تعالى : ﴿ ذو القوة المتين ﴾ الذاريات : ٥٨ .

وقال تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾[٥٨٨] الذاريات : ٤٧ .

فصل

وزعمت الجهمية أن الله تعالى لا علم لـه ، ولا قـدرة ، ولا حياة ، ولا سـمع ، ولا بصر له ، وأرادوا أن ينفوا أن الله تعالى عالم ، قادر ، حـي ، سـميع ، بصـير[٥٨٩] ، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك[٥٩٠] ، فـأتوا بمعنـاه ؛ لأنهـم إذا قـالوا لا علم لله ولا قدرة له ، فقد قالوا إنه ليس بعالم ولا قـادر ، ووجـب ذلـك عليهـم[٥٩١] ، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل ؛ لأن الزنادقة قد قال كثيرٌ منهـم : إن اللـه تعالى ليس بعالم ، ولا قادر ، ولا حيّ ، ولا سميع ، ولا بصير ، **فلم تقدر المعتزلـة** أن تفصحَ بذلك فأتت بمعناه[٥٩٢] ، وقالت إن الله عالم ، قادر ، حيّ ، سميع ، بصير ، من

---

(٥٨٨) هنا جاء بهذه الآية الكريمة يقصد بأن (أيدٍ) المذكورة فيها معناها القوة ! لأنه ذكـر أن أيـدٍ لا تأتي في اللغة بمعنى جمع يد ! وقد تقدم تزييف هذا الادعاء ونسفه من القرآن الكريم واللغة !

(٥٨٩) هذا محض افتراء على الجهمية الذين هم المعتزلة ! لأن الجهمية أولاً ليس لهـم مذهـب ولا أئمة كانوا يَدْعُونَ زمن الأشعري إلى فكرهـم ! فمـن أيـن يـأتي بالمعلومـات عنهـم ؟ هـل هـذا مـن الأسرار أو من باب التأليف على الخصم ؟

والمعتزلة أثبتوا كبقية المسلمين أنه سبحانه عالم وسميع وبصير ..... كما تجد ذلك فـي كتبهـم مثـل « شرح الأصول الخمسة » للقاضي عبد الجبار وتفسير الزمخشري وغيرهما !

(٥٩٠) لماذا لم ينفوا ذلك في زمن المأمون ؟!

(٥٩١) لا يجب وهو تلازم باطل بعد تصريحهم لأن الله عالم حي قادر سميع بصير .....

ومن عجب العجاب في افتراء المصنف أن الأشعري قال فـي « المقـالات » (٢٣٨/١) : [وأجمعـت المعتزلة على أن الله لم يزل عالماً قادراً حياً] .

(٥٩٢) وهذا يعني أنه يريد بالجهمية المعتزلة !! وما قاله افتراء له قرون ! ومنه يتبين أن المصنف إمـا أنه لم يلق المعتزلة في حياته قط خلافاً لما يقولونه عنه أنه بقي يدرس عندهـم أربعيـن سـنة ! وإمـا أنـه يفتري عليهم بالباطل ! وعلى كلٍّ هناك احتمال ثالث وهو أنه كان غبياً قرأ على المعتزلة أربعين سنة ولـم

طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم[٥٩٣] ، والقدرة ، والسمع ، والبصر .

فصل

وقد قال رئيس من رؤسائهم ـ وهو أبو الهذيل العلاف ـ إن علم الله هو الله ، فجعل الله تعالى علماً[٥٩٤] .

وألزم فقيل له : إذا قلت إن علم الله هو الله فقل يا علم الله اغفر لي وارحمني[٥٩٥] ، فأبى ذلك فلزمه المناقضة .

واعلموا رحمكم الله أن من قال عالم ولا علم كان مناقضاً[٥٩٦] ، كما أن من

يفهم مذهبهم فحكى عنهم ما لم يقولوه !

(٥٩٣) حقيقة العلم الذي يفهمه الإنسان يتنزه الله تعالى عنه كما أن حقيقة الوجود الذي يفهمه الإنسان يتنزَّه الله تعالى عنه ! لأن حقيقة الوجود الذي يفهمه الإنسان مثلاً هو أخذ حيز في الفراغ ووجودٌ في مكانٍ وأن يجري عليه زمان والله تعالى منزه عن هذا كله ! فالاتفاق هو من جهة التسمية فقط وأما الحقائق فهي مختلفة تماماً والله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ !

(٥٩٤) هذا تخبيص من المصنف لأن العلاف وغيره إنما أراد أن الصفة ليست شيئاً غير الذات ! وقد اعترف بذلك المتكلمون حيث قالوا بأن الصفة هي أمر يتصوره الذهن بأنه شيء غير الذات وأما في الواقع الملموس فالعلم ليس شيئاً سوى الذات ! ولعلَّ هذا مما نقله عن ابن الراوندي الملحد !

(٥٩٥) لا يقال ذلك وإنما يقال يا عالم اغفر لي وارحمني ! فهو لا يثبت شيئاً قديماً غير الذات فكيف يلزم أن يقول بما لا يثبته ولا يعترف به ؟! فهذا إلزام باطل وخطأ في العربية وفي المنطق السليم ! فأنت تعتقد أن فلاناً عالم وأن له صفة العلم وعلمه لا يعني أمراً غيره بحيث تستطيع أن تفرق في الواقع والوجود الفعلي بينه وبين علمه !

(٥٩٦) لم يكن متناقضاً لأنه يعرف أن علمه ليس شيئاً يمكن فصله عنه وإنما هو إخبار عن حال الذات وما يصح أن توصف به كالوجود ! فالوجود من الصفات ولكنه لا يعني أمراً غير الذات ! مع علمنا بما قالوه من الفروق بين صفات المعاني والمعنوية إلا أنهم اعترفوا بأن الفرق بينهما ذهني لا وجود له في الواقع ! وكلام المصنف ساذج مع أنه الموصوف بالإمام وأنه قمع مخالفيه في أقماع السمسم كما يقولون !

فمن قال عالم ولا علم أي لا وجود لشيء قديم غير الله تعالى وهو لا ينكر أن الله تعالى عالم لا

قال علم الله ولا عالم كان مناقضاً[٥٩٧] ، وكذلك القول في القادر والقدرة ، والحياة والحي ، والسمع والبصر والسميع والبصير.

مسألة : ويقال لهم : خبرونا عمّن زعم أن الله متكلم ، قائل ، آمر ، ناه ، لا قول له ، ولا كلام ، ولا أمر له ، ولا نهي ، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين[٥٩٨] ؟ فلا بُدَّ مِنْ نَعَم .

يقال لهم : فكذلك مَنْ قال : إن الله تعالى عالم ولا عِلْم له ، كان ذلك مناقضاً خارجاً عن جملة المسلمين[٥٩٩] .

وقد أجمع[٦٠٠] المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علماً لم يزل ، وقد قالوا : علم الله لم يزل ، وعلم الله سابق في الأشياء ، ولا يمتنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل كل هذا سابق في علم الله ، فمن جحد أن لله علماً فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم .

يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء !

(٥٩٧) ليس كذلك !

(٥٩٨) لاحظ كيف يحاول دائماً في طرحه الفكري أن يكفر مخالفه وأن يخرجه من زمرة المسلمين ! وهذا سلاح إرهابي يستعمله كما يتخيل لتخويف خصومه ! وقد بينا فيما سبق بأن معنى الكلام في حقه تعالى هو أنه خلقه وأوجده في اللوح المحفوظ وفي الشجرة والنار لا أنه نطق وتلفظ بهذه الحروف والأصوات !

واستشكاله هذا لا يصح قياسه على العلم ومن يخالفونه لم يقولوا بأنه لا كلام له سبحانه ولا أمر ولا نهي فبطل كلامه من أساسه !

(٥٩٩) انظروا كيف يُكَفِّر مخالفيه ! ولو أنه نظر في تخبطاته في هذا الكتاب في حق الله تعالى من قوله : بأن أهل الإسلام يدعون الله تعالى فيقولون (يا ساكن السماء) وغير ذلك من ترهاته لما فاه بتكفير خصومه الذين قالوا بأن الله تعالى عالم ولا نقول بأن هناك شيئاً آخر غير الله تعالى قديم قائم به يسمى العلم !

(٦٠٠) ما أجرأه على حكاية الإجماعات الخيالية الباطلة ! أين توثيق إجماعهم ؟

مسألة : ويقال لهم : إذا كان الله مريداً فله إرادة[٦٠١] ؟

فإن قالوا : لا ، قيل لهم : فإذا ثبتم مريداً لا إرادة له فثبتوا أن قائلاً لا قول له[٦٠٢] ، وإن أثبتوا الإرادة قيل لهم : فإذا كان المريد لا يكون مريداً إلا بإرادة ، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالماً إلا بعلم ، وأن يكون لله علم كما أثبتم له

---

(٦٠١) الإرادة ليست شيئاً غير المريد ! وتصورها أنها شيء غيره أمر ذهني فقط لا وجود له في الحقيقة والواقع ! والمصنف يحب الخوض فيما لا فائدة فيه ويهوى المماحكة وكثرة الكلام ! وأحمد بن حنبل الذي يدعي بأنه يسير على طريقته لم يبحث في هذه الأمور ويتعمق ويتقعر بها ! وملخص الأمر أن إرادة المريد ليست شيئاً غيره وإنما هو تعبير لغوي لا يقصد منه إلا المجاز والأمر الذهني ! فيقال فلان إرادته أقوى من فلان ولا يراد إلا الذات ! فلا يمكن إخراج شيئين من ذاتهما محسوس ومشاهد يمكن التفضيل بينهما وإنما الأمر هو ملاحظة كل منهما في العزم على التنفيذ !

(٦٠٢) لا يقاس هذا على هذا ! وهذا له جواب مطوَّل وجواب مختصر ! أما المختصر : فقال الإمام الحافظ أبو حيان في « البحر المحيط » (٥/٢١٨) : [ونظيره قول الله عز وجل ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ . ﴿ **فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين** ﴾

وقول الشاعر : ***إذا قالت الأنساع للبطن إلحقي تقول له ريح الصبا قرقار***

ومعلوم أنه لا قولَ ثَمَّ وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى] .

وأما الجواب المُطَوَّل : وأنا سأتحدث عن المخلوق ولن أتحدث عن الخالق لأن الخالق لا يمكن إدراكه وكلام هؤلاء حاصله قياس الخالق على المخلوق في مثل هذه المواضيع !

أقول : إذا قلنا (إن فلاناً قال أو فلاناً قائل) فربما يلزم أن يكون له قول أو مقالة ، وأما إذا قلنا بأن فلاناً عالم فلا يلزم أن يكون قد أخرج وأبرز من علومه ، فهو يعلم لأنه سمع من إنسان علم شيء ولم يبرزه أو يظهره ! وعلى كل الأحوال فخوض المصنف في مثل هذه الأمور تنطع لأن أصل المسألة هو اختلاف الناس في الصفات هل هي غير الذات أو عين الذات وهذا لا يوجب التكفير والإخراج عن الإسلام كما يفعل المصنف !

والكل متفقون على أنه تعالى موصوف بأنه عالم وقادر وحي وسميع وبصير ! ولذلك عَدَّ كثيرٌ من الأشاعرة الصفات ثلاثة عشر ولم يعدوها عشرين صفة لأنهم دمجوا ما يسمى بالمعاني والمعنوية فسووها شيئاً واحداً !

الإرادة[٦٠٣] .

مسألة : وقد فرَّقوا بين العلم والكلام فقالوا : إن الله تعالى علَّم موسى وفرعون ، وكلَّم موسى ولم يكلِّم فرعون ، فكذلك قد يقال : علم موسى الحكمة وفصل الخطاب ، وآتاه النبوة ، ولم يعلم ذلك فرعون .

فإن كان لله كلام ؛ لأنه كلم موسى ولم يكلِّم فرعون ، فكذلك لله علم ؛ لأنه علم موسى ولم يعلم فرعون[٦٠٤] .

ثم يقال لهم : إذا وجب أن لله كلاماً به كلم موسى دون فرعون ؛ إذ كلم موسى دونه ، فما أنكرتم إذا علمهما جميعاً أن يكون له علم به علمهما جميعاً[٦٠٥] .

ثم يقال : قد كلَّم الله الأشياء بأن قال لها : كوني[٦٠٦] ، وقد أثبتم لله قولاً ، وإن

---

(٦٠٣) إنما جاء المصنف بهذا من كلام النحويين واللغويين الذين يبحثون في اشتقاق الكلمة ومصدرها وفاعلها ومفعولها ونحو ذلك ويريد أن يطبقه على الله تعالى !

(٦٠٤) كلام لا معنى له ولا قيمة في الاستدلال !

(٦٠٥) لا فائدة فيما أرى لهذا الكلام وهو كلام لغو ! وليس فيه دلالة على شيء !

(٦٠٦) هذا كلام فارط واستدلال باطل ! وذلك لأن المصنف فسَّر الآية بالتفسير الساذج الدال على ضعف علمه والآية التي يريد أن يتكئ على ظاهرها هي قوله تعالى ﴿ إنما أمرنا لشيئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ ومعناها الظاهري إذا أردنا أن نوجد شيئاً فإنما نقول له حال كونه عدماً كن ، فإذا قلنا له ذلك فإنه يوجد .

إذاً القول أي توجيه الكلام للشيء حصل قبل وجود الشيء ، والعدم لا يُخاطَب ، كما أنه غير قادر على إيجاد نفسه لا شرعاً ولا عقلاً بتوجيه لفظة (كن) له ، لأنه يحتاج إلى موجِد والعدم لا يخلق نفسه ولا له قدرة على ذلك !

والمعنى الصحيح للآية هو أمر مجازي وهو : أننا إذا أردنا خلق شيء وإيجاده فلا بد أن يوجد ولا يستطيع أحد أن يمانعنا ، وليس هناك قول ولا عبارة ولا كلام !

فالمصنف كالأطفال يحتاج أن نفهمه هذه الأمور كلها حتى يدرك فساد استدلاله وكلامه ومنطقه وتفكيره ! وهذا يدل على أنه لا يصلح أن يكون إماماً ! ولذلك لمَّا رأى الأشاعرة أنه لا يصلح أن يكون إماماً لهم لم يعولوا على كتبه ولم يتداولوها بينهم وجعلوا الإمام أبا حامد الغزالي إمامهم لأنه

علم الأشياء كلها فله علم .

مسألة : ثم يقال لهم : إذا أوجبتم أن لله كلاماً وليس له علم ؛ لأن الكلام أخصّ من العلم ، والعلم أعم منه ، فقولوا : إن لله قدرة ؛ لأن العلم أعم عندكم من القدرة ؛ لأن مذاهب القدرية أنهم لا يقولون إن الله لا يقدر أن يخلق الكفر ، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم ، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم إن لله قدرة[٦٠٧] .

مسألة : ثم يقال لهم : أليس الله عالماً ، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلّم مُكَلِّم[٦٠٨] ؟ ثم لم يجب ، لأن الكلام أخص من أن يكون الله تعالى متكلماً غير عالم ، فلم لا قلتم إن الكلام ـ وإن كان أخصّ من العلم ـ أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم ، كما لم يَنْفِ بخصوص الكلام أن يكون الله عالماً[٦٠٩] .

مسألة : و يقال لهم : من أين علمتم أن الله عالم ؟

فإن قالوا : بقوله تعالى : ﴿ إنه بكل شيء عليم ﴾ الشورى : ١٢ .

قيل لهم : وكذلك فقولوا : إن لله علماً بقوله : ﴿ أنزله بعلمه ﴾[٦١٠] النساء : ١٦٦ ، وبقوله : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ فاطر : ١١ ، وكذلك فقولوا إن له قوة لقوله تعالى : ﴿ أولم يروا أن الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ فصلت : ١٥ .

هو مؤسس المذهب على التحقيق !

(٦٠٧) كل هذا الكلام ضعيف ركيك لا يحتاج إلى رد وتفنيد لأنه متهاوٍ بنفسه !

(٦٠٨) كيف عرفت هذا وما هو معناه ؟ ويكفيك تخبيص !

(٦٠٩) كلام ركيك لا يستحق جواباً ! لما قدَّمناه من القواعد !

(٦١٠) تقدم فيما مرَّ أننا قلنا : قال صاحب الجلالين أن معنى الآية : أي عالماً به . ثم لا يراد من هذا النص أو ليس في هذا النص دلالة على أن المراد بلفظة (بعلمه) صفة قائمة بالذات على معنى كذا وكذا فإن هذا معنى اصطلاحي عند المتكلمين لم تكن العرب تقصده ! ولم يكن القصد من هذه الجملة قطعاً إثبات صفة زائدة على الذات قائمة بالمحل ليست عين الذات ولا غيرها كما يقول المتفلسفون المتمشدقون !

فإن قالوا : قلنا : إن الله عالم ؛ لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتّساق التدبير .

قيل لهم : فلم لا قلتم[٦١١] إن لله علماً بما ظهر في العالم من حكمة وآثار تدبيره ؛ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلاّ من ذي علم ، كما لا يظهر إلا من عالم ، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة كما لا تظهر إلا من قادر[٦١٢] .

مسألة : ويقال لهم : إذا نفيتم علم الله فلم لا نفيتم أسماءه[٦١٣] ؟

فإن قالوا : كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه[٦١٤] ؟

قيل لهم فلا تنفوا العلم والقوة ؛ لأنه تعالى ذكر ذلك في كتابه العزيز[٦١٥] .

مسألة أخرى : ويقال لهم : قد علَّم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الشرائع والأحكام ، والحلال والحرام ، ولا يجوز أن يعلمه ما لا يعلمه ، فكذلك لا يجوز أن يعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم مالا علم لله به[٦١٦] . تعالى الله عن قول

---

(٦١١) نشعر من صياغة جُمَلِ المؤلف ركة في التعبير ! ونحن نعرف أن الأفصح أن تقول بدل (فلم لا قلتم) : (فلم لم تقولوا) فتأمل !

(٦١٢) هذه الإشكالات الفارغة تفرَّغ لها القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » ص (١٩٩-٢١٣) فردها !

(٦١٣) الاسم هو لفظ مُحدَث يدل على الذات خلافاً لتعريفهم للصفة في حق الله تعالى ! فإنهم يقولون بأن الصفات أمور قديمة والذات أيضاً قديم ، ومن نفى علم الله تعالى إنما عنى بنفيه أنه ليس هناك أكثر من قديم ونفى أن يكون الله مَحَلٌّ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

(٦١٤) الصواب أننا لا ننفي الأسماء ولا الصفات لأنها مجرَّد ألفاظ تدل على الذات أو على ما تتميز به الذات (أو على حال الذات بالنسبة للمخلوقات) ! والمصنف غير مستوعب للأمر فهو يغالط فيما لا يعيه ولا يفهمه !

(٦١٥) لم ينفوا ذلك وإنما نفوا الفلسفة الزائدة التي استنبطها المصنف حيث قال بأن هذه الصفات أمور قديمة قائمة بالذات وأن القدماء أربعة عشر أو أكثر أو أقل الذات والصفات . ومن المعلوم أن القديم شيء واحد وهو الله تعالى وهو غير مركب .

(٦١٦) تخبيص وخوض فيما لا فائدة فيه ! بعدما عرفنا حقيقة الأمر !

الجهمية علواً كبيراً .

مسألة :

ويقال لهم : أليس إذا لعن الله الكافرين ، فلعنه لهم معنى ، ولعـن النبـي صلـى الله عليه وسلم لهم معنى ؟[٦١٧]

فمن قولهم : نعم ؛ يقال لهم : فما أنكرتم من أن الله تعالى إذا عَلَّـم نبيـه صلـى الله عليه وسلم شيئاً فكان للنبي صلى الله عليه وسلم عِلْم ، ولله تعالى عِلْم ، وإذا كنّا متى أثبتناه غضباناً على الكافرين فلا بُدّ من إثبات غضب ، وكذلك إذا أثبتناه راضياً عن المؤمنين فلا بُدّ من إثبات رضى ، وكذلك إذا أثبتناه حياً سميعاً بصيراً فلا بُدّ من إثبات حياة وسمع وبصر[٦١٨] .

مسألة : ويقال لهم : وجدنا اسم عالم اشتق من علم[٦١٩] ، واسم قـادر اشـتق من قدرة ، وكذلك اسم حي اشتق من حياة ، واسم سميع اشتق من سمع ، واسم بصير اشتق من بصر ، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة إما لإفـادة معنـى أو على طريق التلقيب ، فلا يجوز أن يسمّى الله تعالى على طريق التلقيب باسم ليس فيـه

---

(٦١٧) ما فهمنا معنى هذا الكلام ولا المراد منه !

(٦١٨) كلام لا دلالة فيه كما نرى بعدما بينا أن المقصود من هذه الصفات هي ألفاظ تعبر عمـا تتميـز به الذات .

(٦١٩) كل كلامهم دائر على اشتقاقات لغوية لا تنطبق على اللـه بمعنـى لا تسـتطيع إثبـات الـتركيب بالنسبة للمولى جل جلاله ! فاللغة واسعة وفيها اسم الفاعل والمفعول والمصدر والصفة ووجود كل هذه الأشياء في اللغة لا يفيد ولا يوجب ولا يثبت أن اللـه تعـالى مركَّـب مـن ذات وصفـات قديمـة بمعنى أنه مركَّب من أربعة عشر شيئاً قديماً وهي الذات والصفات الأربع عشرة ! أو أقل أو أكـثر ! إذ ليس هناك شيء قديم كما قدَّمنا إلا الله تعالى الواحد الأحد ! الذي ليس لنـا أن نخـوض فـي ماهيـة ذاته وحقيقة صفاته فنقول بأنه محل لها وأنها معه مثل الواحد مع العشرة ! تعالى الله عـن ذلـك علـواً كبيراً !

إفادة معنى[٦٢٠] ، وليس مشتقاً من صفة[٦٢١] .

فإذا قلنا : إن الله تعالى عالم قادر فليس تلقيباً ، كقولنا زيد وعمرو ، وعلى هذا إجماع المسلمين[٦٢٢] .

وإذا لم يكن كذلك تلقيباً ، وكان مشتقاً من علم[٦٢٣] ، فقد وجب إثبات العلم ، وإن كان ذلك لإفادة معنى ، فلا يختلف ما هو لإفادة معنى واجب إذا كان معنى العالم منا أن له علماً أن يكون كل عالم فهو ذو علم[٦٢٤] ، كما إذا كان قولي موجود مفيداً فينا الإثبات كان الباري تعالى واجباً إثباته ؛ لأنه سبحانه وتعالى موجود[٦٢٥] .

مسألة : ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية : أتقولون إن لله علماً بالأشياء سابقاً فيها ، وبوضع كل حامل ، وحمل كل أنثى ، وبإنزال كل ما أنزله ؟

---

(٦٢٠) اختلف أهل العلم في لفظ الجلالة (الله) هل هو مشتق أم مرتجل ؛ أي لقب لم يشتق من شيء ! قال العلامة الرملي في ((نهاية المحتاج)) (١/ ١٧) بعدما نقل القول القائل بأنه مشتق : ((فهو مرتجل لا اشتقاق له ؛ ونُقل عن الشافعي وإمام الحرمين وتلميذه الغزالي والخطابي والخليل وسيبويه وابن كيسان وغيرهم ، قال بعضهم : وهو الصواب)) .

(٦٢١) كلام فارغ ! وملخص الكلام الكاشف في هذه المسألة عن فساد مراد المصنف ومن يقول بقوله : أن الاسم لفظ دال على الذات ، وأن الصفة لفظ دال على حال الذات (ونعني بالحال ههنا هو التعظيم أي أنها ذات معظمة بنوع من الكمال عندنا) والقديم الأول واحد وهو الله جل جلاله . ولا مانع من إثبات الصفات لكن ليس كما يتخيل المصنف (أو ما هو اللازم القريب لكلام بعض المتكلمين) أن الله تعالى عبارة أو مركب من مزيج من القدماء هو الذات والصفات .

(٦٢٢) لا فائدة من ثبوت هذا بالإجماع أو غيره لتثبيت ما يريده المصنف ! فسواء كان الأمر تلقيباً أو اشتقاقاً ومع إثباتنا للصفة فإنها لا تعني إلا أنها لفظ يدل على تعظيم الذات من وجه من الوجوه .

(٦٢٣) هو ينظر إلى الاشتقاقات اللغوية المحدثة ويريد أن يطبقها على ذات الله تعالى القديم الأول !

(٦٢٤) ومع كونه ذو علم ومتصف بصفة العلم لا يعني أن هناك شيء حسي قائم به وإنما هو تعبير لغوي عن حال الذات وما يصح إطلاقه عليها إذ ليس هناك شيء قديم إلا الله تعالى وحده !

(٦٢٥) لاحظ أن هذا الكلام لا خطام له ولا زمام ! ومعانية ملخبطة ولا طعم لها !

فإن قالوا : نعم ، أثبتوا العلم ووافقوا .

وإن قالوا : لا ، قيل لهم : جحد منكم لقوله تعالى ﴿ أنزله بعلمه ﴾ النساء : ١٦٦ ، ولقوله ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ فاطر : ١١ ، ولقوله تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ الرعد : ١١ .

وإذا كان قول الله تعالى : ﴿ بكل شيء عليم ﴾ ، ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ الأنعام : ٥٩ يوجب أنه عليم يعلم الأشياء ، فكذلك فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علماً بالأشياء سبحانه وبحمده[٦٢٦] .

مسألة : ويقال لهم : هل لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه ؟ وهل هو مريد لذلك ؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان ؟

فإن قالوا : نعم ، وافقوا[٦٢٧] . وإن قالوا : إذا أراد الإيمان فله إرادة .

قيل لهم : وكذلك إذا فرَّق بين أوليائه وأعدائه ، فلا بد من أن يكون له علم بذلك[٦٢٨] ، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك ، وليس للخالق عز وجل علم بذلك ؟ وهذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضلاً على الخالق[٦٢٩] . تعالى الله

---

(٦٢٦) النزاع في هذه المسألة هو في تعدد القدماء وليس في وصف الله تعالى بكونه عالماً ! فالمعتزلة يقولون إن القديم شيء واحد وهو الله تعالى الموصوف بكل كمال والمنزَّه عن كل نقص ! فقول من قال بأن ذات الله محل والصفات ١٣ أو ٢٠ أو أكثر أو أقل كلها قديمة وقائمة بذلك المحل خطأ محض ؛ لأن معنى المحل المكان كالجسم وهو قديم ويقوم به ١٣ أمر قديم ! وهذه معناه أن عدد القدماء القائمة بالمحل مع المحل = ١٤ قديم ، ولذلك قال المعتزلة بأن الصفات ليست أشياء حقيقية قائمة بالذات وإنما هي أشياء ذهنية في الفكر .

(٦٢٧) يتوصل بألفاظ صحيحة ثابتة إلى معان فاسدة ! والمعاني الفاسدة قولهم أن ذات الله **محل** والصفات قائمة بها ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

(٦٢٨) يبحث ويناقش بالطريقة الساذجة !

(٦٢٩) مسكين ! يظن أن هذا استدلال باهر ! هم لا ينكرون العلم فهم يقولون بأنه سبحانه عالم بهم وعالم بأوليائه وأعدائه لكن المنكر من ذلك ما ذكرناه قبل قليل من كونه محلاً وأن الصفات تقوم به فيكون مركباً ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

عن ذلك علوا كبيراً .

ويقال لهم : إذا كان مَنْ له علم مِن الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له ، فإذا زعمتم أن الله تعالى لا علم له ، لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق[٦٣٠] . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ويقال لهم : إذا كان مَنْ لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله ؟ وإلا ألحقتم به النقصان ـ جلّ عن قولكم وعلا ـ ألا ترون أن مَنْ لا يعلم مِن الخلق يلحقه الجهل والنقصان ، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف الله تعالى بما لا يليق به ، فكذلك إذا كان من قيل له مِنَ الخلق لا علم له لَحِقَهُ الجهل والنقصان ، وجب أن ينفى ذلك عن الله تعالى[٦٣١] ؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان .

مسألة : ويقال لهم : هل يجوز أن تتسق الصنائع الحكميّة ممن ليس بعالم ؟

فإن قالوا : ذلك محال ، ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حي[٦٣٢] .

قيل لهم : وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة ، فإن جاز ظهورها لا من ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي .

وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع

---

(٦٣٠) مع قولنا إن لله تعالى علم وهو أنه سبحانه عالم نقول :

لا يلزم هذا الذي يقوله المصنف لأن قياس الخالق على المخلوق فاسد باطل ! وذكرني هذا المصنف بقول الإمام الغزالي : بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا له قدرة على الطيران لأنكر ذلك وقال : كيف يكون خالقي أنقص مني ويكون لي آلة لا يكون له مثله ! وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل !

(٦٣١) وخصوم المصنف ينفون عن الله تعالى الجهل والنقصان فما يقوله المصنف باطل !

(٦٣٢) والذين يخالفون المصنف يعتقدون ويقولون بأنه سبحانه عالم قادر حي !

والبصر[٦٣٣] .

مسألة : وزعمت المعتزلة أن قول الله تعالى : ﴿ سـميع بصـير ﴾ الحج : ٦١ إن معناه عليم[٦٣٤] .

قيـل لهـم : فـإذا قـال اللـه تعـالى : ﴿ إننـي معكمـا أسـمع وأرى ﴾ طـه : ٤٦ ، وقال : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ المجادلة : ١ فمعنـى ذلـك عندكـم علم . فإن قالوا : نعم .

قيل لهم : فقـد وجـب عليكـم أن تقولـوا معنـى قولـه : ﴿ إننـي معكمـا أسـمع وأرى ﴾ طه : ٤٦ أعلم وأعلم[٦٣٥] إذا كان معنى ذلك العلم .

---

(٦٣٣) المصنف يدور في حلقة مفرغة ! ونتائجه يريد أن يثبت بها أموراً فاسدة !

(٦٣٤) إنه يفتري على خصومه ! إذ ما يقوله عنهم ليس كذلك ! بل إنهم قالوا بأن اللـه تعـالى سـميع بصير ! قال القاضي عبد الجبار في ((شرح الأصول الخمسة)) ص ١٦٧ : [أما السميع البصـير فهـو المختص بحال لكونه عليها يصح أن يسمع المسموع ويبصر المبصر إذا وجدا ، وأما السامع المبصـر فهو أن يسمع المسموع ويبصر المبصر في الحال] . فأين زعم الأشعري ؟!

(٦٣٥) بعد أن تبين فساد افترائه على المعتزلة وعدم مصداقيته نقول : إن هذا مبني عنده علـى قـاعدة طالما يرددها ويفسِّر النصوص بها وهي أن العطف بالواو يقتضي التغاير ! وقد بينـا فسـاد ذلـك عنـد الكلام على زعمه أن الخلق والأمر متغايران وأن الأمر غير الخلـق ! وبينَّـا أن العطـف لا يـدل علـى التغاير ! ومنه قوله تعالى ﴿ قالوا نعبد إلهك وإله ءابائك .. ﴾ فلفظـة الإلـه الأولـى هـي نفـس الإلـه الثانية !

فصل

ونفت المعتزلة صفات رب العالمين[٦٣٦] . وزعمت أن معنى ﴿ سميع بصير ﴾ بمعنى عليم[٦٣٧] ، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره ، وهو رؤيته ، وهو كلامه ، وهو علمه ، وهو ابنه . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فيقال للمعتزلة : إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم ، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم[٦٣٨] ؟

وإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى قادر ، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم ؟

وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر ، فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم ؟

فإن قالوا : هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدوراً .

قيل لهم : ولو كان معنى سميع بصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعاً ، و إذا لم يجز ذلك بطل قولكم[٦٣٩] .

---

(٦٣٦) المعتزلة وغيرها لم تنف اتصاف الله بالسمع والبصر والعلم والإرادة ولكنها منعت القول بأنها أمور زائدة في الواقع على الذات ! أي أنها أعراض قائمة بالمحل كما يعبر عن ذلك بعض المبتدعة الذين يشبهون الله بخلقه ويتظاهرون بالعيب على المشبهة !

(٦٣٧) ليس كذلك وقد تقدَّم النقل عن القاضي عبد الجبار المزهق لهذا الاتهام ! وتذكروا أن أحمد بن حنبل والذهبي وغيرهما أرجعوا صفة الكلام للعلم !

(٦٣٨) هذا المصنف كثير الزعم والافتراء !

(٦٣٩) كلام فارغ وتافه لا معنى له وهو من الكلام الذي لا يقدم ولا يؤخر ولا يستأهل الرد لأنه مركب من جملة من المغالطات !

الباب الثامن

الكلام في الإرادة

مسألة على المعتزلة في ذلك : يقال لهم : ألستم تزعمون أن الله تعالى لم يزل عالماً ؟ فَمَنْ قولهم : نعم .

قيل لهم : فلم لا قلتم إن ما لم يزل عالماً ، أنه يكون في وقت من الأوقات ، لم يزل مريداً أن يكون في ذلك الوقت وما لم يزل عالماً أنه لا يكون فلم يزل مريداً أن لا يكون ، وأنه لم يزل مريداً أن يكون ما علم كما علم ؟

فإن قالوا : لا نقول إن الله لم يزل مريداً ؛ لأن الله تعالى مريد بإرادة مخلوقة .

قيل لهم : فلم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة ، وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عالم بعلم مخلوق ، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقاً ، فما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله مخلوقة(٦٤٠) ؟

فإن قالوا لا يجوز أن يكون علم الله مُحْدَثاً ؛ لأن ذلك يقضي أن يكون حدث بعلم آخر كذلك لا إلى غاية .

قيل لهم : ما أنكرتم أن لا تكون إرادة الله محدثة مخلوقة ؛ لأن ذلك يقتضي أن

---

(٦٤٠) كل ما يقوله المصنف هو من خرط القتاد ومن الفلسفة التي لا معنى لها ! فالمعتزلة لم يقولوا ما زعمه عليهم ! والجهمية ليس لهم مذهب معلوم إلا نقولات ينقلها مثل الأشعري في مثل ((مقالات الإسلاميين)) **بواسطة ابن الراوندي الملحد** وكل ذلك مما لا يعوَّل عليه !

ومثال من يقول هذه المقالات مثل المصنف نفسه عندما يقول بأن المعتزلة يقولون بأن الله في كل مكان ثم يُفَرِّع على هذا الأصل الباطل الذي لا يقول به المعتزلة ألف مسألة ! كقوله : إنه يلزم منه أنه في الحشوش والأخلية تعالى الله عن هَذَيان المصنف علواً كبيراً ! وكل تلك الفروع التي يبنيها وإن كانت تعد بالآلاف فإنها فاسدة باطلة لأنها مبنية على زعم فاسد على خصومه !! والمصنف أنموذج للإنسان العاق الذي لا يعرف حق المعلِّم ! فقد درس عند المعتزلة كما يَدَّعُون ويزعمون أربعين سنة ثم صار يفتري عليهم ؛ ولولا أولئك المعتزلة لما صار لديه فهم !

تكون حدثت عن إرادة أخرى ، ثم كذلك لا إلى غاية .

فإن قالوا : لا يجوز أن يكون علم الله محدثاً ؛ لأن من لم يكن عالماً ثم علم لحقه النقصان .

قيل لهم : ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثه مخلوقة ؛ **لأن من لم يكن مريداً ثم أراد لحقه النقصان** ، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة ، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثاً مخلوقاً[٦٤١] .

مسألة أخرى : ويقال لهم : إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان[٦٤٢] الله عز وجل الكفر والعصيان ، وهو لا يريده[٦٤٣] ، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون ، فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم أن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن[٦٤٤] ، وأكثر ما شاء الله أن لا يكون كان[٦٤٥] ؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه عندكم ، أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه ، وأكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن[٦٤٦] .

وهذا جحد ما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان ، وما لا

---

(٦٤١) الله تعالى يقول ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَث ﴾ وهو يقول لا يجوز أن يكون محدثاً ! وهكذا يعاكس الحقائق ويفتري على المخالفين أو يعارضهم بسذاجة بالغة !

(٦٤٢) أي : مُلْك الله ويعني به هذا الكون الذي أحدثه الله تعالى !

(٦٤٣) نعم لا يريد الله الكفر ولا العصيان ولا يرضى به ! ولكن يريد منا الإيمان والطاعة !

(٦٤٤) بل ما شاء الله كان بلا شك ولا ريب ! ومشيئة العبد مغايرة لمشيئة الله تعالى ! وقد شاء الله تعالى أن تكون للعباد مشيئة ! والله تعالى شاء منهم الإيمان والطاعة فمنهم مَنْ وافق مشيئة الله ومنهم من خالفها فشاء غير ما شاء الله تعالى منه !

(٦٤٥) لأن مشيئته تعالى ليست جبرية ! وإنما هي طلبية ! فقد شاء من العباد الإيمان وأكثرهم شاءوا الكفر والضلال ولا يعني هذا أنهم فعلوا ذلك رغماً عنه ! بل ذلك داخل في إرادته حيث شاء أن يكونوا مُخَيَّرين لا مُكْرَهين ولا مُجْبَرين !

(٦٤٦) كله تهويل فارغ ساقط بدليل أن المولى سبحانه وتعالى جعلهم مُخَيَّرين وشاء وأراد وطلب منهم الإيمان ولم يشأ منهم الكفر والعصيان ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ .

يشاء لا يكون[٦٤٧] .

مسألة أخرى : ويقال لهم : من قولكم : إن كثيراً مما شاء أن يكون إبليس كان ؛ لأن الكفر أكثر من الإيمان وأكثر ما كان هو شاءه ، فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين جل ثناؤه[٦٤٨] ، وتقدست أسماؤه ، ولا إله غيره ؛ لأن أكثر ما شاءه كان ، وأكثر ما كان فقد شاءه .

وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين[٦٤٩] . تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علواً كبيراً .

مسألة أخرى : ويقال لهم : أيما أولى بصفة الاقتدار : من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة ، وإذا لم يرده لم يكن أو من يريد أن يكون ما لا يكون ويكون مالا يريد[٦٥٠] ؟

فإن قالوا : من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا .

وقيل لهم : إن جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول : من يكون ما لا يعلمه

---

(٦٤٧) كيف أجمعوا عليه والخلاف قائم بين المسلمين بين الجبر والاختيار ! كما أنه قائم في اختلافهم في تفسير مثل قوله تعالى ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله ﴾ الإنسان : ٣٠ .

(٦٤٨) هذه مغلطة مبنية على تفسير المشيئة والإرادة والله تعالى شاء وأراد أن يكون العباد مخيرين ، وإلا فهم بمشيئته على تفسير المصنف مجبورون ومقهورون وإذا كان كذلك فإن تعذيب العاصي قهراً ظلم والله تعالى منزه عن الظلم !

(٦٤٩) هكذا يكون خرط الخرَّاطين بالإلزامات المتهاوية الباطلة ! بل مرتبة رب العالمين في المشيئة فوق كل المراتب ولا قياس بينها وبين مرتبة مشيئة الخلق ، فهو سبحانه شاء كل ذرة في هذا الكون وحركات الجمادات وحركات الأحياء الاضطرارية ولم يبق إلا نزر يسير للعباد وهو اختيارهم ومشيئتهم في أفعالهم فشاء أن يجعلهم مخيرين فيها ، أما ما جعله دون تخيير فنسبتها ضئيلة جداً بحيث لا تُعَدُّ شيئاً مذكوراً ! وعلى هذا القليل يدور الحوار بين الناس على اختلاف مذاهبهم وفرقهم ! وبذلك يبطل إلزام المصنف لخصومه بأنهم جعلوا مرتبة إبليس أعظم من مرتبة الله تعالى في المشيئة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٦٥٠) لا شك ولا ريب أن الأولى بالاقتدار هو الله تعالى الذي ما شاء كان ! فلا تغالط !

أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه[٦٥١] .

وإن رجعوا عن هذه المكابرة ، وزعموا أن مَنْ إذا أراد أمراً كان ، وإذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار لزمهم على مذاهبهم أن يكون إبليس ـ لعنه الله ـ أولى بالاقتدار من الله تعالى[٦٥٢] ؛ لأن أكثر ما أراده كان وأكثر ما كان قد أراده .

وقيل لهم : إذا كان من إذا أراد أمراً كان ، وإذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار فيلزمكم أن يكون الله تعالى إذا أراد أمراً كان ، وإذا لم يرده لم يكن ؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار .

مسألة : ويقال لهم : أيما أولى بالإلهية والسلطان من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يغيب عن علمه شيء ولا يجوز ذلك عليه ، أو من يكون ما لا يعلمه ويعزب عن علمه أكثر الأشياء[٦٥٣] ؟

فإن قالوا : من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية . قيل لهم : فكذلك مَن لا يريد كون شيء إلا ما كان ، ولا يكون إلا ما يريده[٦٥٤] ، ولا يعزب عن إرادته شيء أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في العلم ، وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم ورجعوا عنه[٦٥٥] وأثبتوا الله عز وجل مريداً لكل كائن ، وأوجبوا أنه لا يريد أن يكون إلا ما يكون .

مسألة : ويقال لهم : إذا قلتم أنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد ، فقد كان

---

(٦٥١) خرابيط لا معنى لها وإلزامات منهارة بنفسها !

(٦٥٢) تقدم إبطال هذه الشبهة !

(٦٥٣) هذا إيراد باطل لم يقل به أحد وكل ما بناه عليه مهدوم باطل لأنه تكثير الكلام فيما لا فائدة فيه !

(٦٥٤) نعم وهو أراد أن يكون العباد مخيرين ! لكن معاصيهم وكفرهم وإلحادهم وزناهم ونحوها لم يرده الله ولم يشأه منهم ! فلا تغالط وتوهم السذج والمساكين أنك عبقري ألمعي !

(٦٥٥) يظن المصنف أنه بهذه المغالطات المتهاوية بنفسها وبهذه الشبه الفاسدة يستطيع إقناع الناس بعقيدة الجبر !

إذاً في سلطانه ما كرهه[٦٥٦] فلا بد من نعم .

يقال لهم : فإذا كان في سلطانه ما يكرهه فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه .

فإن أجابوا إلى ذلك ، قيل لهم : فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى[٦٥٧] ، وهذه صفة الضعف والفقر . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ويقال لهم : أليس لما فعل العباد ما يسخطه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أغضبوه وأسخطوه ؟ فلا بد من نعم .

يقال لهم : فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا أكرهوه[٦٥٨] ، وهذه صفة القهر . تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة : ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ هود : ١٠٧ ؟

فلا بد من نعم .

قيل لهم : فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد وأراد أن يكون مِنْ فعله ما لا يكون ، لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساه غافل عنه ، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه[٦٥٩] فلا بد من نعم .

قيل لهم : فكذلك من زعم أنه يكون في **سلطان**[٦٦٠] الله تعالى ما لا يريده من عبيده ؛ لزمه أحد أمرين : إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة .

---

(٦٥٦) نعم في سلطانه ما يكرهه ولا يحبه ! قال تعالى ﴿ والله لا يحب كل كفار أثيم ﴾ ومعنى ذلك أنه يكرهه !

(٦٥٧) تصويرٌ خطأٌ للقضية ! فقد كانت المعاصي ولم يشأها ولم يردها بل نهى عنها وهو القوي سبحانه ! لأن عصيان العباد على خلاف ما أراد منهم تم بأن أراد وشاء أن يجعلهم مخيرين ولم يجعلهم مجبورين ولا مقهورين في أفعالهم !

(٦٥٨) ليس كذلك ! وهذا الإيراد يدل على حمق المصنف عند كل عاقل منصف !

(٦٥٩) كل ذلك باطل ولم يقل به أحد من المسلمين وإنما هذه أمور يخترعها المصنف !

(٦٦٠) أي ملك الله وهذه المخلوقات .

أو أن يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه .

مسألة : ويقال لهم : أليس من زعم أن الله تعالى فعل ما لا يعلمه فقد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل ؟ فلا بد من نعم .

قيل لهم : وكذلك يلزم من زعم أن عبد الله فعل مايريده ؛ لزمه أن ينسب الله تعالى إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده ، فإذا قالوا : نعم .

قيل لهم : وكذلك يلزم مَن زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله ؛ نسب الله تعالى إلى الجهل . فلا بد من نعم .

يقال لهم : فكذلك إذا كان في كون فعل فعله الله ، وهو لا يريده إيجاب سهو أو ضعف أوتقصير عن بلوغ ما يريده .

فكذلك إذا كان من غيره ما لا يريده وجب إثبات سهو وغفلة ، أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد ، لا فرق في ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره[٦٦١] .

مسألة : ويقال لهم : إذا كان في سلطان الله مالا يريده وهو يعلمه ، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان ، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه[٦٦٢] .

مسألة : إن قال قائل : لم قلتم : إن الله مريد لكل كائن أن يكون ، ولكل ما لا يكون أن لا يكون ؟

قيل له : الدليل على ذلك أن الحجة قد وضحت أن الله تعالى خلق الكفر والمعاصي[٦٦٣] ، وسنبين ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا .

---

(٦٦١) أعاننا الله على هذا الهَذَيان !! لأنَّ هذا كلام باطل وإلزام فاسد لا يحتاج للتعليق وكل ما كان كذلك فإننا لن نعلق عليه إلا إذا اقتضى المقام .

(٦٦٢) ليس كذلك وهذا قياس باطل !

(٦٦٣) أعمال العباد ليست أفعالاً لله تعالى بل هي أفعال العبد وأعماله ! قال تعالى ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ البقرة : ١٩٧ فنسب الفعل إلى العبد ، وقال ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان

وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك[٦٦٤] ، فقد وجب أنـه مريـد لـه ؛ لأنـه لا يجوز أن يخلق مالا يريده[٦٦٥] .

وجواب آخر : أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله تعالى مـن **اكتسـاب العبـاد** مالا يريده[٦٦٦] ، كما لا يجوز أن يكون من فعله المجتمع على أنه فعـل مـا لا يريـده ؛ لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه[٦٦٧] ، لكان في ذلك إثبات النقصان ، وكذلك القصـد لو وقع من عباده ما لا يعلمه فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده ؛ لأن ذلـك

خيراً لهم ﴾ النساء : ٦٦ ، وقـال تعـالى ﴿ وإذا فعلـوا فاحشـة ... ﴾ الأعـراف : ٢٨ ، وقـال تعـالى ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ وقوله تعالى ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ . والمصنـف **يريـد ههنـا أن يقـرر مذهب الجبرية الناص على أنه لا فعل في الوجود لغير الله تعالى** وأن العبـاد ليسـت لهـم أفعـال ولا أعمال خلافاً لما يقرره القرآن الكريم في مثل قوله تعالى ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم **تعملون** ﴾ أي فإن للعباد أفعالاً وأعمالاً ، ولذلك اعترف جماعة من العلماء والمتكلمين أن هـذا القـول جـبر ، وَلَطَّفُـوا العبارة فيه فقالوا : جبر أوسط . ومن ذلـك مـا قالـه صـاحب شـرح المواقـف (٣/ ٧١٢) : [الفرقـة السادسة من تلك الفرق الكبار : الجبرية ؛ والجبر إسناد فعل العبد إلى اللـه ؛ **والجبريـة متوسـطة أي غير خالصة في القول بالجبر المحض بل متوسطة** بين الجبر والتفويض تثبت للعبد كسـباً فـي الفعـل بلا تأثير فيه **كالأشعرية** والنجارية والضرارية] ومن المعلوم أن من يقول بأن كل ما فـي الوجـود هـو فعل الله تعالى وليس للعباد فعل قائل بوحدة الوجود أو ما يفضي إليها ! نسأل الله تعالى السلامة .

(٦٦٤) لم يثبت هذا حتى يبني عليه المصنف قصوراً وعوالي .

(٦٦٥) هو لا يخلقه إنما الذي يخلقه العبد قال تعالى ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ فلا يتم بهذا مراد المصنف وإشكاله .

(٦٦٦) هنا صرَّح بالكسب الذي لا معنى له ! وأما الكسب الذي له معنى فهو الفعل والعمـل ﴿ يريـد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ والعباد يخالفون ذلك فيريدون العسر ويفعلونه فيعصونه تعـالى والأصل أنه خلقهم مختارين فلا جبر .

وقال تعالى ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِيـنَ يَتَّبِعُـونَ الشَّـهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُـوا مَيْـلاً عَظِيمًـا ﴾ وأصحاب الشهوات مستمرين في انحرافهم يريدون الشهوات والله يريد خلاف ذلـك وهـم يعملـون بخلاف إرادة الله تعالى فيعصون ! وبه تسقط استنباطات المصنف العقلية والنقلية المتهاوية بنفسها !

(٦٦٧) انظروا كيف يخلط الإرادة بالعلم ويدعي أن كلاً منهما يستوجب الآخر ! وهذا كلام باطل !

يوجب أن يقع عن سهو وغفلة ، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده ، كما يجب ذلك لو وقع من فعله المجتمع على أنه فعل ما لا يريده(٦٦٨) .

وأيضاً : فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون لكان قد كره أن تكون وأبى أن تكون ، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى(٦٦٩) ، وهذا صفة الضعف . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد أوضحنا أن الله سبحانه لم يزل مريداً على حقيقته التي علمه عليها ، فإذا كان الكفر مما يكون ، وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون(٦٧٠) .

مسألة : يقال لهم : إذا كان الله عز وجل علم أن الكفر يكون ، وأراد أن لا يكون ، فقد أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم ، وإذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم(٦٧١) .

---

(٦٦٨) كلام فارغ وإلزام باطل متهافت !!

(٦٦٩) مسكين هذا المصنف ! الله شاء أن يكون العباد مخيرين وكره منهم المعاصي ولم يردها وهم أرادوها ففعلوها عن غير رضى الله وإرادته لأنه يريد لهم الخير والطاعات فاستحقوا عقابه ! وكل هذه المسائل التي يقولها حسب فهمي مبنية على خلق أفعال العباد أي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وليس للعباد وهذه عقيدة غير صحيحة وهي عقيدة الجبر .

(٦٧٠) عِلْمُ الله تعالى بالأشياء قبل حدوثها لا يقتضي أنه أراد أن تكون بمعنى الجبر والغَصْب ! فأنت أيها الإنسان قد تعلم شيئاً قبل أن يحدث بطريقة ما ولا تريد حدوثه ! والمصنف يدخل في هذه المضائق ليثبت بأنه ليس هناك فعل للعباد وإنما أفعالهم هي أفعال الله تعالى لأنها مخلوقة له !!

ومما يبطل كلامه ههنا أن الله تعالى يقول مثلاً ﴿ تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾ الأنفال : ٦٧ ، ويقول تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ البقرة : ١٨٥ ، والإنسان أحياناً يترك ما يريده الله وهو اليسر ويذهب إلى ما لا يريده الله وهو العسر ، ويقول تعالى ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ مع أن الله تعالى لا يريد لهم الضلال وإنما يريد لهم الهدى ! فثبت من هذا أنه لا تلازم بين الإرادة والعلم وهو المطلوب ! وبه يبطل ادعاء المصنف !

(٦٧١) هذا برهان تافه لما يريد ! وهو مغالطة ! لأن هذا تَدَخُّلٌ وخوض في كيفية علم الله جل وعز ومعاملته بما يفهم من علم البشر وبما ندركه !

مسألة : ويقال لهم : لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون أن يكون قبيحاً فاسداً متناقضاً خلافاً للإيمان ؟ فإن قالوا : لأن مريد السفه سفيه .

قيل لهم : ولم قلتم ذلك ، أو ليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه : ﴿ لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ المائدة : ٢٩ ، فأراد أن لا يقتل أخاه لئلا يعذب وأن يقتله أخوه حتى يبوء بإثم قتله له ، وسائر آثامه التي كانت عليه فيكون من أصحاب النار ، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه ولم يكن بذلك سفيهاً ، فلم زعمتم أن الله تعالى إذا أراد سفه العباد وجب أن ينسب ذلك إليه[٦٧٢] ؟

مسألة : ويقال لهم : قد قال يوسف صلى الله عليه وسلم : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ يوسف : ٣٣ ، وكان سجنهم إياه معصية ، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه[٦٧٣] ، ولم يكن سفيهاً ؛ فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد أن يكون قبيحاً منهم ، خلافاً للطاعة أن يكون سفيهاً .

مسألة أخرى : ويقال لهم : أليس من يرى منا حُرَمُ المسلمين كان سفيهاً ، والله تعالى يراهم ولا ينسب إلى السفه ؟[٦٧٤]

ثم إن العبد قد يعلم أن شيئاً سيحصل وهو لا يريد ذلك الشيء بل يريد خلافه ويحصل الشيء على خلاف مراده !

(٦٧٢) كثرة كلام فيما لا فائدة فيه !

(٦٧٣) وهذه مغالطة أيضاً لأن السجن في حق سيدنا يوسف ليس معصية ! لأنه يريد الهروب من المعصية ويفضل المكث في السجن على اقتراف المعصية وبذا يبطل كلام المصنف وإشكاله !

(٦٧٤) ذكَّرني هذا المصنف بأدلة جحا وبالحمقى والمغفلين ! فهو يعامل رب العالمين بالنسبة للنساء وهم عبيده وإماؤه مثل معاملة الرجال للحريم الأجنبيات اللاتي يحرم الاطلاع عليهن فهذا

فلا بد من نعم .

يقال لهم : فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيهاً والله سبحانه يريد سفة السفهاء ولا ينسب إلى الله تعالى سفه . تعالى الله عن ذلك .

مسألة أخرى : ويقال لهم : السفيه منا إنما كان سفيهاً لما أراد السفه ؛ لأنه نهى عن ذلك ، ولأنه تحت شريعة من هو فوقه ، ومن يحد له الحدود وترسم له الرسوم ، فلمّا أتى ما نهي عنه كان سفيهاً ، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة ، ولا فوقه مَن يحد له الحدود ويرسم له الرسوم ولا فوقه مبيح ولا حاظر ، ولا آمر ولا زاجر ، فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحاً أن ينسب إلى السفه سبحانه وتعالى [٦٧٥].

مسألة : ويقال لهم : أليس من خلى بين عبيده وبين إمائه منا ؛ يزنى بعضهم ببعض وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيهاً ؟ ورب العالمين عز وجل قد خلى بين عبيده وإمائه يزنى بعضهم ببعض وهو يقدر على التفريق بينهم[٦٧٦] وليس سفيهاً ،

المصنف يقيس رب الناس بالناس فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي المتعالي !

(٦٧٥) هذا الكلام ينبغي للمصنف أن يقوله لنفسه .

(٦٧٦) إنما خلق الناس من ذكور وإناث وأوجدهم سبحانه في هذه الدنيا لتكون لهم اختباراً وامتحاناً وبلاءً فيطيع الله تعالى من أراد النجاة والخضوع له ويعصي من أعرض عن أوامر الله تعالى واقترف ما نهى عنه ! فإذا منعهم وحجزهم ولم يجعل سبيلاً إلى التقاء الذكور بالإناث والإناث بالذكور بطل التكليف !

ثم من المعلوم أن الرجل لو أباح لأولاده وبناته أن يعيشوا في بيت واحد لم يكن سفيهاً فإن أزل الشيطان أحد أبنائه ففعل الفاحشة بأخته فهل يكون الأب سفيهاً أم يكون صاحب الفاحشة من أولاده هو السفيه ؟

لو قلنا بأن الأب إذا زين الفاحشة لابنه وحَضَّهُ عليها إما بلسان الحال أو بلسان المقال يكون سفيهاً لأصبنا وربنا جل وعز لا يأمر بالفحشاء ولا يزينها لعباده ! وهو متعالي عن السفه وما في معناه ! والمصنف يتطاول على رب العزة فيقول يريد السفه !

وكذلك من أراد السفه منا كان سفيهاً ، ورب العالمين عز وجل يريد السفه(٦٧٧) وليس سفيهاً .

مسألة أخرى : ويقال لهم : من أراد طاعة الله منا كان مطيعاً ، كما أن من أراد السفه كان سفيهاً ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعاً(٦٧٨) ، فكذلك

ولا أدري لماذا يورد المصنف مثل هذه الأمثلة ! **ويعرض عن ضرب مثال الكفر أنه خلى سبحانه بين عباده وبين الكفر** ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ **!!**

وبمناسبة ذكر هذه المسألة نقول : لقد أضيف التزيين في القرآن لله جل جلاله على المجاز وللشيطان على الحقيقة ومن ذلك قوله تعالى ﴿ كذلك زَيَّنَّا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾ النمل : ٤ ، وقال تعالى ﴿ ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ الأنعام : ٤٣ ، وقال تعالى ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ﴾ الأنعام : ١٣٧ ، وقال تعالى ﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ الأنفال : ٤٨ ، وقال تعالى ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم ﴾ النحل : ٦٣ وقال تعالى﴿ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ فصلت : ٢٥ ، وقال تعالى : ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ الحجرات : ٧ .

ومن هذا الباب قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ... ﴾ آل عمران : ١٤ ، ثم قال عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم ﴾ التغابن : ١٤ فلعل من يقلِّد المصنف يتأمل هذا ليفهم **!!**

(٦٧٧) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

(٦٧٨) فاعل الطاعة هو المطيع ! وليس من أمر بها ! فما يقوله المصنف ويحاول الإشكال به باطل من أصله !

فانظروا كيف يموِّه فيساوي بين الله تعالى وبين العباد ! فالعبد إذا أراد الطاعة أي أراد أن يفعلها وفعلها كان مطيعاً ! **والله تعالى إذا أراد الطاعة يعني إذا طلب من العباد فعلها وأمرهم بها يكون مُطاعاً لا مطيعاً كما يريد أن يموِّه المصنف ! فشتان ما بين المطيع والمطاع !**

يريد السفه وليس سفيهاً .

مسألة أخرى : ويقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ البقرة : ٢٥٣ .

فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا ، قال : ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ البقرة : ٢٥٣ من القتال ، فإذا وقع القتال فقد شاءه[٦٧٩] ، كما أنه قال : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ الأنعام : ٢٨ فقد أوجب[٦٨٠] أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر ،

وبهذا ينهدم إشكال المصنف الذي يظن نفسه أنه أتى بحجج الإفحام والإلزام وبطل كلامه من أساسه !
والله لا يريد السَّفَهَ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ قال تعالى ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ النساء : ٢٧ ، ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ غافر : ٣١ ، وأما مثل قوله تعالى ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ﴾ الأعراف ٨٧ ، وقوله تعالى ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغوِيَكم ﴾ هود ٣٤ ، فعلى سبيل المشاكلة وحقيقته الحكم ، أي لأجل كفركم حكم الله عليكم بأنكم غاوون ! وليس معناه يريد أن يجبركم على أن تكونوا غاوين !
وبالمقابل جاء : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ الحجر : ٤٢ .

(٦٧٩) إرجاع الضمير ههنا على القتال خطأ بل تمويه ! فقد أراد الله أن يكونوا هم مخيرين وليسوا بمجبرين ولو شاء الله أن يجبرهم على القتال أو عدمه لفعل ولكن كان سبحانه يريد أن يكونوا مخيرين !
مثلاً : الظلم : الله تعالى لا يريد الظلم قال تعالى : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ آل عمران : ١٠٨ ، وقال تعالى ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ غافر : ٣١ ، ومع ذلك قال : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ !! فأثبت الله تعالى أن الظلم موجود وقال بأنه لا يريده فبهذا يفسد إشكال المصنف ومن يقول بقوله !
وعلى زعمهم هذا فالمحارب والمعترض على الكفر والظلم والشرك والمعصية ونحوها يكون محارباً ومعترضاً على إرادة الله تعالى وهذا كلام فاسد باطل بالبداهة !

(٦٨٠) كلمة أوجب هنا خطرة وغير صحيحة وهي صريحة في الجبر والإكراه ! والله تعالى لم يوجب ولم يُكْرِه عباده لأنه لا يظلم الناس شيئاً !

وأنهم إذا لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا(٦٨١) ، فكذلك لو شاء الله أن لا يقتتلوا لما اقتتلوا ، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا(٦٨٢) .

مسألة : ويقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾(٦٨٣) السجدة : ١٣ وإذا حقّ القول بذلك فما شاء أن تؤتى كل نفس هداها ؛ لأنه إذا لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين ، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها(٦٨٤) .

---

(٦٨١) هذه القضية تتعلق بعلم الله تعالى فمن الخطأ أن يقحمها المصنف في الإرادة أو الإجبار !

(٦٨٢) نتيجة غير صحيحة !

(٦٨٣) معنى الآية أي : ولو شاء الله لأجبر الناس على الهدى فكانوا جميعاً مهتدين ! ولكن اقتضت حكمته وإرادته أن يكونوا مخيرين فكان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر فاقتضى ذلك أن يكون منهم من يستحق بذلك دخول الجنة وبعضهم يستحق دخول النار !! فالله تعالى لم يكره أحداً منهم لا على الجنة وأعمالها ولا على النار وأعمالها !

ومعنى ﴿ لحق القول مني لأملأن جهنم .. ﴾ هو أن هذه جملة مجازية مثل ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أن الله علم أن هناك مَنْ يعصيه وبناء على هذا العلم خلق جهنم وجعلها مستقراً للكافرين الفاسقين من الجن والإنس ! وفي الحقيقة لم يجبرهم الله على شيء ! ولكنه أعدَّ للكفار والمجرمين ناراً يملأها منهم !

ولذلك قال في آية أخرى ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾غافر: ٦ ، وقوله أيضاً ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ...... وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ السجدة : ١٣- ١٤ ! وهذا يبين أنه حق القول أي صدق القول عليهم نتيجة أفعالهم !

والدليل على هذا من القرآن قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ **تُكْرِهُ النَّاسَ** حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ يونس : ٩٩ ، فبين أنه لا إكراه !!

(٦٨٤) تعالى الله عن هذه النتيجة الباطلة ! الله جل جلاله لا يظلم الناس شيئاً ولذلك لا يشاء أن يضلوا قسراً وإكراهاً !! وإنما يضلوا بمشيئتهم هم التي ما كانت لولا أن الله شاء أن يكونوا مختارين ! قال تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف : ٢٩ .

فإن قالوا[٦٨٥] : معنى ذلك لو شئنا جبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه .

قيل لهم : فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه يكونوا مهتدين ؟ فإن قالوا : نعم[٦٨٦] .

قيل لهم : فإذا كان إذا فعل الهدى كانوا مهتدين ، فما أنكرتم[٦٨٧] لو فعل كفر الكافرين فكانوا كافرين[٦٨٨] ، وهذا هدم قولهم[٦٨٩] ؛ لأنهم زعموا أنه لا يفعل

وقد ورد في القرآن الكريم ﴿ كذلك يضل الله الكافرين ﴾ غافر : ٧٤ ، أي يحكم عليه بالضلال مثلما يقال : فلان ضلل فلان أي حكم عليه بالضلال ! وهذا مثل قوله ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ سورة سيدنا محمد : ١ !! وهذا مثل قوله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ البقرة : ٢٦ ، ومعنى ذلك أن القرآن يحكم بالضلال على كثير من الناس وهو في نفسه ليس مصدراً للضلال ولكنه هدى ونور ﴿ هدى للناس ﴾ البقرة : ١٨٥ ، وقال تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ سورة سيدنا محمد : ٢٥ .

وكلام المصنف ههنا واحتجاجه هو نفس كلام المشركين والكفار الذين يحتجون بالمشيئة ويبين الله تعالى لنا أنهم كاذبون في مثل قوله تعالى ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا ءَابَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ** ﴾ الأنعام : ١٤٨ ، وقال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا ءَابَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ النحل : ٣٥ .

(٦٨٥) كل ما سيورده المصنف ههنا بعد هذا في هذه النقطة بنظري لا معنى له ! وإنما هو اللجاج الفارغ !

(٦٨٦) يكونوا مهتدين قسراً وقهراً لا باختيارهم ! وأنت بعد هذا تحكم عليهم بما تراه مناسباً !

(٦٨٧) لو حصل هذا فلا أحد ينكره ولكنه لم يحصل !

(٦٨٨) يكونوا كافرين قسراً وقهراً أيضاً ! فإدخالهم للنار يكون حينئذ لا لفعلهم وإنما هو لفعل غيرهم ، والله تعالى متنزه عن الفحشاء ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ !

(٦٨٩) لم ينهدم شيء في قوله هذا !! ولا معنى لقوله مهما حاول الإنسان أن يتأمل فيه يجده لا محل له من الإعراب !

الكفر إلا كافر[٦٩٠] .

ويقال لهم أيضاً : على أي وجه يؤتيهم الهدى لو آتاهم إياه ، وشاء ذلـك لهـم ، فإن قالوا : على الإلجاء ، قيل لهم : وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه علـى طريق الإلجاء ؟ فَمَنْ قولهم : لا[٦٩١] .

قيل لهم : فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يمـلأ جهنم ، وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعاً لهم ولا مزيلاً للعذاب عنهم ، كما لـم ينفـع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء[٦٩٢] ، فلا معنى لقولكم[٦٩٣] ؛ لأنه لولا مـا حق من القول[٦٩٤] لأوتيت كل نفس هداها ، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب[٦٩٥] .

---

(٦٩٠) والله لا يفعل الكفر وما فرضه المصنف هو مجرد وهـم وخيـال لا يقـول بـه أحـد أصـلاً إلا خياله وأوهامه !

(٦٩١) ولـم يذكـر مـن قولهـم نعـم لأنـه يهـدم كلامـــه ! والصـــواب أن يقـــال إن ألجـــأهم إلـــى الهـدى نفعهـم وإن ألجـأهم إلـى الضـلال لـم ينفعهـم لأنهـم سـيكونون مـن أهـل النـــار ! ويتـــنزَّه الله سبحانه أن يظلمهم ويجعلهم من أهل النار قسراً وكرهاً وهذه قول المجبرة الذين أضـاعوا الحـق وخالفوا القرآن والواقع !

(٦٩٢) الإلجاء الذي قاله أولاً وهو خلق الخاطر والميل والفعل ليس هذا الإلجاء الــذي يقولـه الآن من أنه الإكراه والتضييق مع وجود الاختيار أصلاً والتمكن من الفعل !

(٦٩٣) بل لا معنى لقول المصنف وإشكاله بعد هذا البيان الذي بيناه !

(٦٩٤) تمسكه ولجاجه في أن معنى ﴿ حق القول ﴾ هو الإجبار باطل غير صحيـح وقـد تقـدم بيـان المعنى ! وبالتالي يبطل كلامه الذي بعد هذه الجملة كما بطل ما قبله أيضاً !

(٦٩٥) ليس كذلك ! إذ إتيان الهدى على الوجه الذي يقوله أئمـة أهـل البيـت والمعتزلـة هـو البيـان والإيضاح والتيسير لا خلق الخاطر في ذهن المكلف وخلق اختياره وميله له ثـم خلـق الفعـل فيـه ! فبطل وانهدم ما يقوله المصنف !

ونحن نريد أن نفهم ما الذي يقصده المصنف من هذا ؟! هـل يقصـد أنـه لـو اهتـدى إنسـان وعمـل الصالحات فإنه يدخل النار لأن الله وضع اسمه مع أسماء أهل النار وكان حظ هذا الفاعل هكذا ؟!!

مسألة أخرى : ويقال لهم : قال الله تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾[٦٩٦] الشورى : ٢٧ ، وقال تعالى: ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾الزخرف : ٣٢ ، مخبراً أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط لهم الرزق ، ولم يجعل للكافرين سقفاً من فضة ، فما أنكرتم من أنه تعالى لو لم يرد أن يكفر الكافرون ، ما خلقهم مع علمه ، بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين[٦٩٧] ، كما أنه لو أراد أن لا يكون الناس على الكفر مجتمعين لم يجعل للكافرين سقفاً من فضه ومعارج عليها يظهرون ؛ لئلا يكونوا جميعاً على الكفر متطابقين ، إذا كان في معلومه أنه لو لم يفعل ذلك لكانوا جميعاً على الكفر مطبقين[٦٩٨] .

ومتى حصل الإجبار انتفى التكليف ! وبالتالي أصبح إدخال العبد للنار ظلم والله منزه عن هذا سبحانه ! ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ﴾ يونس : ٤٤ .

(٦٩٦) المشكلة أن المصنف يأتي بكلام غامض لا يُفهم منه ما هو مراده ! ثم يأتي بالآيات القرآنية ويفهمها بفهم مغاير لفهم الناس ـ أعني العلماء ـ وللفهم الصحيح ! حتى يظن الناظر بأنه أتى بشيء وهو في الحقيقة لم يأت بشيء ! ولا نعرف ماذا يريد هذا الرجل من إيراده لهذه الآية ! وعلى كل حال فنحن نقول للمصنف هنا ولمن يقول بقوله : هل وقع بغي العباد مع فقرهم ؟! وهل الشعوب الفقيرة بغوا وكفروا ووقع البغي فيما بينهم ؟! قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يونس : ٢٣ ، الجواب : نعم . إذن لا يتم للمصنف مراده !

(٦٩٧) لقد خلقهم الله تعالى وهو يعلم ما سيعملون ولكنه أتى بهم إلى الدنيا ابتلاء واختباراً وحجة عليهم لأنه أوجدهم فيها مختارين يفعلون ما يشاءون ولم يجبرهم أو يحملهم على شيء كرهاً أو خلقاً فيهم !! فليس ههنا أي إلجاء لهم ما دام أنه غير مكره لهم ولا خالق للفعل الاختياري فيهم ! فبطل ما يقوله هذا المصنف !

(٦٩٨) تحليلات ونتائج غير قائمة ! وملخص القول أنني أرى المصنف يقول بأن الإلجاء هو الكسب وهذا مغاير لما عليه الأشاعرة من أنه ليس الإلجاء الظاهري وإنما هو خلق الفعل فيه مع رضاه به دون إكراه !

الباب التاسع

الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

يقال للقدرية : هل يجوز أن يُعْلِمَ الله عز وجل عباده شيئاً لا يعلمه ؟

فإن قالوا : لا يُعْلِمُ الله عباده شيئاً إلا وهو به عالم .

قيل لهم : فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر(٦٩٩) ، فلا بد من الإجابة إلى ذلك .

قيل لهم : فإذا أقدرهم على الكفر ، فهو قادر أن يخلق الكفر لهم ، وإذا قدر على خلق الكفر لهم فلم أبيتم أن يخلق كفرهم فاسداً متناقضاً باطلاً ، وقد قال تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ هود : ١٠٧ وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقَدَّرَهُ(٧٠٠) .

مسألة : ويُرَدُّ عليهم في اللطف : يقال لهم : أليس الله عز وجل قادراً أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا في الأرض ؟

وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا ؟ كما قال تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ الشورى : ٢٧ ، وكما قال : ﴿ ولو لا أن يكون الناس أمة

---

(٦٩٩) ملخص الكلام في الرد على هذا :

أولاً : أن القدرة لا تقاس بالعلم فالعلم يتعلق كما تقول الأشاعرة بالجائز والواجب والمستحيل وأما القدرة فتتعلق بالممكنات أو الجائزات !

ثانياً : لا نقول بأن الله غير قادر على فعل العبد لأن الله قادر على ذلك وذلك ممكن ! وإنما نقول بأن الله تعالى لا يخلق الفعل للعبد وإنما مكنه من ذلك ! فقد أجبنا على ذلك !

(٧٠٠) ليس كذلك ! لأن الكفر لم يرده الله تعالى ولم يرضه لعباده ! ولأنه أمرهم بتركه والعمل بخلافه !! والمصنف عاجز عن سبك العبارات بطريقة سليمة وسلسة وواضحة وهو لا يعرف كيف يستدل على مسائله هذه !

واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ﴾الزخرف : ٣٢ فلا بد من نعم .

يقال لهم : فما أنكرتم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفاً لو فعله بهم لآمنوا أجمعين ، كما أنه قادر أن يفعل بهم أمراً لو فعله بهم لكفروا كلهم[٧٠١] .

مسألة أخرى : ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾ النساء : ٨٣ ، ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ﴾ النور : ٢١ ، وقال ﴿ فاطَّلع فرآه في سواء الجحيم ﴾ الصافات : ٥٥ يعني في وسط الجحيم ، قال : ﴿ تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ الصافات : ٥٧ .

ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين ، الذي لو لم يفعله لاتَّبَعوا الشيطان ، ولو لم يفعله ما زكى من أحد أبداً ؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكانوا من المحضرين ؟ وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين ؟

فإن قالوا : نعم .

فقد تركوا قولهم ، وأثبتوا لله تعالى نعماً وفضلاً على المؤمنين ابتدأهم بجميعه ، ولم ينعم بمثله على الكافرين ، وصاروا إلى القول بالحق .

فإن قالوا : قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين لما فعله بالمؤمنين ، فقل لهم : فإذا كان الله تعالى قد فعل ذلك أجمع بالكافرين فلم يكونوا زاكين ، وكانوا للشيطان متبعين ، وفي النار محضرين .

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين : لولا أني خلقت لكم أيدي وأرجل لكنتم للشيطان مُتَّبِعين ، وهو قد خلق الأيدى والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين ؟

فإن قالوا : لا يجوز ذلك . قيل لهم : وكذلك لا يجوز ما قلتموه .

---

(٧٠١) الظاهر أن المصنف غير فاهم للطف عند المعتزلة والقدرية وهو يريد فقط أن يشنع عليهم بلا علم فيقول كلمات لا معنى لها ولا دلالة بل يتهمهم بأنهم يقولون بأن الله غير قادر على الفعل والواقع أن الله قادر على ذلك ولكنه لا يفعل الكفر ولا الشرك ولا الفحشاء ولا يأمر بذلك !

وهذا يبين أن الله تعالى اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين ، وفضل عليهم المؤمنين[٧٠٢] .

مسألة في الاستطاعة : ويقال لهم : أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله تعالى وفضلاً وإحساناً ؟

فإذا قالوا : نعم .

قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون توفيقاً وتسديداً ، فلا بد من الإجابة إلى ذلك .

يقال لهم : فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان ، فما أنكرتم من أن يكونوا موفقين للإيمان ولو كانوا موفقين مسددين لكانوا ممدوحين ؛ وإذ لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين[٧٠٣] ، ووجب أن يكون الله تعالى اختص بالقدرة على الإيمان للمؤمنين[٧٠٤] .

مسألة أخرى : ويقال لهم : لو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان[٧٠٥] ، فقد رغب إليه في أن يقدره على الكفر ، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى

---

(٧٠٢) لقد وافق المصنف في هذه النتيجة من يقول باللطف في نفس المعنى ولكنه أحب التشغيب قبل ذلك ، وملخص الكلام في الآيتين أن الله تعالى يمن على المؤمنين المعصومين كالأنبياء وكذا غير المعصومين وهم بقية الناس أن الله تعالى هداهم بمعنى دلهم وأرشدهم وأوضح لهم سبل الهداية فاهتدوا !

(٧٠٣) نتيجة فاشلة وصل إليها بكلام غير مفهوم لم يحسن سبكه ! وكلام غير مترابط ! وهذا مثل قول القائل الدليل على أن صلاة الظهر أربع ركعات قوله تعالى ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ !

(٧٠٤) يعني المصنف بأن الكفار لا يستطيعون أن يطيعوا ويؤمنوا ! ولو كان كلام المصنف حقاً فَلِمَ أمرهم بالإيمان والعمل والدخول في الدين الصحيح ؟!

(٧٠٥) هذا بحث فاشل ! عندما يبحث الإنسان في أنه هل الفعل الذي يقوم به في طاعة ما نفسه هو الفعل الذي يقوم به في معصية أخرى يصبح الجدل عقيماً سائراً نحو العبث واللامعقول ! ولذلك فإن طريقة المصنف بل موضوعاته أيضاً التي يطرحها في هذه الأمور موضوعات خرجت عن البحث عن الحق وصارت دائرة في العبثية والفضول !!

الله تعالى في قدرة الإيمان ، ويزهدون في قدرة الكفر ؛ علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه(٧٠٦) .

مسألة أخرى : ويقال لهم : أخبرونا عن قوة الإيمان ، أليست فضلاً من الله تعالى ؟(٧٠٧) فلا بد من نعم .

يقال لهم : فالتفضل ، أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به ، وله أن يتفضل به ، فلا بد من الإجابة إلى ذلك ؛ لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق .

فيقال لهم : وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ، ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان ، وإن لم يعطهم قدرة الإيمان وخذلهم(٧٠٨) وهذا هو قولنا ومذهبنا .

مسألة : ويقال لهم : هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين(٧٠٩) ؟

<u>**(٧٠٦)**</u> كل الناس يعرفون أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا عنه ! وهذا الكلام فارغ ليس له معنى !

<u>**(٧٠٧)**</u> ما هي قوة الإيمان وما هو معناها عندك أيها المصنف ؟ هل هي قدرة العبد ؟ أو درجة الإيمان وقَدَره عنده وهو الأمر المتفاوت من إنسان لآخر ؟!

<u>**(٧٠٨)**</u> تدور هذه المشكلة على قولهم أن الله يأمر بالشيء ولا يريده ! فهو أمر أبا لهب بالإيمان ولم يرده منه ! وهذه هي الخرافة بعينها ! بل هو التعجيز الذي يخترعونه وينسبونه للرب تبارك وتعالى عن قولهم الباطل المردود ! قال تعالى ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ آل عمران : ١٠٨ ، وقال تعالى ﴿ وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران : ١٧٦ ، ومعنى يريد الله أي يجعل ويحكم الله أنهم لا حَظَّ لهم في الآخرة أي لأجل كفرهم ، ﴿ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾ النساء : ٦٠ ، ﴿ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ﴾ النساء : ٢٦ ، فكيف يقولون أن الله ما أراد هداية أبي لهب وهو يريد هداية الناس أي يطلب منهم ! وقال تعالى ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ﴾ والأشعري لا يقول هنا بالإرادة التكوينية ! وقال تعالى : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ النساء : ٢٧ .

<u>**(٧٠٩)**</u> لَبَّسَ ههنا المصنف معنى التوفيق على رأي الأشعرية وهو خلق قدرة الطاعة في العبد وبين معناه عند القدرية والمعتزلة من أنه الهداية والدلالة مثلاً !

فإن قالوا : لا[٧١٠] . نطقوا بتعجيز الله[٧١١] ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

وإن قالوا : نعم يقدر على ذلك ، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا[٧١٢] ، تركوا قولهم ، وقالوا بالحق .

مسألة : وإن سألوا عن قول الله تعالى : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ غافر : ٣١ وعن قوله : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعالمين ﴾ آل عمران : ١٠٨ .

قيل لهم : معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم ؛ لأنه قال : وما الله يريد ظلماً لهم ، ولم يقل : لا يريد ظلم بعضهم لبعض[٧١٣] ، فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا[٧١٤] .

مسألة : وإن سألوا عن قول الله تعالى : ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ الملك : ٣ ، قالوا : والكفر متفاوت ، فكيف يكون مِنْ خَلْقِ الله[٧١٥] ؟

---

(٧١٠) بما أن هذا ممكن فلا يقال فيه : لا ، لكن لا يفعله الله تعالى لأنه لا جبر ولا إكراه ﴿ لا إكراه في الدين ... ﴾ !!

(٧١١) إشكالات ضعيفة بل قد يكون لا وزن لها ولا معنى !

(٧١٢) كل إنسان يقول بذلك والمعتزلة والقدرية والجهمية والأشعرية وغيرهم ! والمصنف يأتي بكلام بعيد عن محل النزاع ليوهم القارىء فيظن أنه قطع جهيزة أي معترض وأنه أفحم المخالفين وأبطل كلامهم وهو في الحقيقة لم يعمل شيئاً !

(٧١٣) راح المصنف يتكلم في واد آخر لأنه (حُشِرَ ههنا في الزاوية) ! فالقوم يتناقشون ويتحاورون معه في مسألة استحالة ظلم الله لعباده إذا خلق فيهم الكفر وطلب منهم الإيمان !

(٧١٤) أستغفر الله العظيم ! كيف تقول بأن الله أراد أن يتظالموا والله تعالى يقول ﴿ والله لا يحب الظالمين ﴾ ويقول ((إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) رواه مسلم (٢٥٧٧) وغيره .

(٧١٥) هذا كلام فارط لا علاقة له بالموضوع ! وما علاقة الآية في أن الكفر متفاوت وأنه من خلق الله ؟! هو لم يفهم مذهب المعتزلة ولم يحسن عرضه ولم يعرف نقده فظن أن الكلام الذي لا يفيد ولا يفهَم يعتبر رداً ! قال القاضي عبد الجبار في ((متشابه القرآن)) ص ٦٦١ :

[قوله ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ يدل على نفي القبائح عن خلقه ، لأنه لو كان هو

والجواب عن ذلك : أن الله تعالى قال : ﴿ خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾ الملك : ٤ ، فإنما عنى ما ترى في السموات من فطور ؛ لأنه ذكر خلق السموات ، ولم يذكر الكفر ، وإذا كان هذا على ما قلناه بطل ما قالوه[٧١٦] . والحمدلله رب العالمين .

مسألة : ويقال لهم : هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه خص بها دون أبي جهل ابتداء ؟

فإن قالوا : لا ، فحش قولهم[٧١٧] .

الخالق لها وفيها توحيد وتشبيه وتثليث لكان ذلك متفاوتاً ، وفيها عبادة الله وعبادة غيره ، والحكمة والصواب والسفه والباطل ، ولا تفاوت أعظم مما اختص به ذلك ، فيجب أن يدلَّ على أنه ليس من خلقه تعالى على وجه .

وليس لأحد أن يقول : المراد بذلك أنه لا تفاوت فيما خلقه من السموات لأن حمله على ظاهره يمكن ويفيد فلا يجب تعليقه بما تقدَّم وإن كان لو حمل على ذلك لوجب ما قلناه أيضاً لأن نفي التفاوت في باب الحكمة والسفه عن شيء من أفعاله لا يصح إلا مع القول بأنه منزه عن القبائح] .

(٧١٦) هذا مردود عند القاضي عبد الجبار بل هو باطل من القول : قال القاضي في « شرح الأصول الخمسة » ص ٣٥٥ : [فإن قال : ما أنكرتم أن التفاوت من جهة الخلقة على ما ذكره في آخر الآية حيث قال ﴿ هل ترى من فطور ﴾ قلنا : هذا الذي ذكرته لا يصح ! لأن تخصيصَ آخر الآية لا يقدح في عموم أولها ألا ترى أن قوله تعالى ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ عام في المطلقات البوائن منها والرجعيات ثم تخصيص قوله ﴿ وبعولتهن أحق بردهنَّ ﴾ لا يقدح في عموم الأول ! كذلك في مسألتنا] !!

(٧١٧) نحن نقول : لا ! ولا فُحْشَ في ذلك !! وذلك لأن الله امتن على العالمين جميعاً فقال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ فالله مَنَّ على الخلق مؤمنهم وكافرهم جميعاً بأن هداهم إلى الإسلام فأما من كفر فاستحب العمى على الهدى وأما من اهتدى فقد استحب الهدى على الضلالة ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴾ فصلت : ١٧ ! فالله تعالى دعا أبو بكر رضي الله عنه وأبو لهب لعنه الله إلى الهدى بواسطة سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم فآمن أبو بكر واستجاب مختاراً وليس مجبراً كما يزعم

وإن قالوا : نعم ، تركوا مذاهبهم[٧١٨] ؛ لأنهم لا يقولون إن الله خص المؤمنين في الإبتداء بما لم يخص به الكافرين[٧١٩] .

مسألة : وإن سألوا عن قوله تعالى : ﴿ ما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ﴾ ص: ٢٧، فقالوا : هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل .

والجواب عن ذلك : أن الله عز وجل أراد بذلك المشركين الذين قالوا : لا حشر ولا نشور ولا إعادة ، فكأنه قال تعالى : ما خلقت ذلك ، وأنا لا أُثيب من أطاعني ، ولا أعاقب من عصاني ، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب ، ألا تراه قال : ﴿ ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ ص : ٢٧ ، وبين ذلك بقوله : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ ص : ٢٨ أي لا نسوي بينهم في أن نفنيهم أجمعين ولا نعيدهم ، فيكون سبيلهم سبيلاً واحداً[٧٢٠] .

مسألة [٧٢١] **:** وسألوا عن قوله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما

المصنف وعاند وكفر أبو لهب مختاراً وليس مكرهاً كذلك ! ولم يكن أبو بكر من الأنبياء المصطَفين المخلَصين الذين استخلصهم الله كما يحاول أن يهوِّش المصنف !! وبذلك يبطل كلامه ويتبين أنه لا فحش في الجواب بلا ! وأن زعمه باطل مردود ! وإذا تم هذا وظهر بطل الكلام الذي بعده وذهب أدراج الرياح !

(٧١٨) هم لم يقولوا نعم ولم يلزموا بذلك حتى يتركوا مذهبهم أيها الإمام الألمعي !!

(٧١٩) نعم لم يخص الله المؤمنين في الابتداء إلا المخلَصين وهم الأنبياء والمرسلين ! ولذلك قال تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ سورة سيدنا محمد : ١٧ !

(٧٢٠) هذه المسألة من أولها من الكلام الذي جاء به ليفسر الآية الكريمة لا معنى له فلا يقدِّم ولا يُؤَخّر ولا علاقة له بالموضوع ! لأن المراد بالآية نفي العبث عن أفعال الله تعالى وأن كل شيء بحكمة ! وهذا مثل قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾ الدخان : ٣٨ ! فالمصنف لا يعرف كيف يشرح الآية فضلاً عن أن يعرف كيف يستدل على ما يريد !

(٧٢١) موجود الرد عليها في متشابه القرآن ص (١٩٧-١٩٩) وكلام المصنف هو الباطل العاطل ! ومما يرد على المصنف في مثل هذا الاحتجاج قول الله تعالى ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح

أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ النساء : ٧٩ .

والجواب عن ذلـــك : أن اللـه تعـالى قـال : ﴿ وإن تصبهـم حسـنة ﴾ يعنـى الخصب والخير ، ﴿ يقولون هـذا مـن عنـد اللـه وإن تصبهـم سـيئة ﴾ يعنـى الجـدب والقحط والمصائب ، ﴿ قالوا هذه من عندك ﴾ أي بشؤمك ، قال الله تعالى : يا محمد ﴿ قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكـادون يفقهـون حديثـاً ﴾ النساء : ٧٩ ، فـي قولهم : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسـك ﴾ النساء : ٧٩ فحذفٌ في قولهم ؛ لأن ما تقدم من الكـلام يـدل عليـه ؛ لأن القـرآن لا يتنـاقض ، ولا يجوز أن يقول في آية إن الكل من عند الله ، ثم يقول في الآية الأخـرى التـي تليهـا إن الكل ليس من عند الله ، على أن ما أصاب النـاس هـو غـير مـا أصـابوه ، وهـذا يبيـن بطلان تعلقهم بهذه الآية ، ويوجب عليهم الحجّة .

مسألة : وإن سألوا عن قـول اللـه تعـالى : ﴿ ومـا خلقـت الجـن والإنـس إلا ليعبدون ﴾ الذاريات : ٥٦ . **والجواب عن ذلك :** أن اللـه تعـالى إنمـا عنـى المؤمنيـن دون الكافرين ؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثـيراً مـن خلقـه[٧٢٢] ، فـالذين خلقهـم لجهنـم ،

بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾ الشورى : ٤٨ .

(٧٢٢) يعني بهذه الجملة قوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثـيراً مـن الجـن والإنـس لهـم قلـوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ الأعراف : ١٧٩ .

معنى هذه الآية ليس كما يريد المصنف ومن تبعه أنه خلقهم للنار ابتـداء وأجـبرهم علـى عمـل أهـل النار وجعلهم لا يستطيعون أن يعملوا عمل أهل الجنة ! وإنما هذه جملـة مجازيـة معناهـا : أن النـار تنتظر العصاة والكفار والجن الذين خلق الله لهم قلوب ولكن لا يريدون أن يفهموا بها الحق !

وقد نص على ذلك المنصفون من أهل السنة والمعتزلة والإمامية ! ومن ذلك :

قال الحافظ أبو حيان في البحر المحيط : « والمعنى لعذاب جهنم واللام للصيرورة علـى قـول مـن أثبت لها هذا المعنى ، أو لما كان مآلهم إليها جعل ذلك سبباً على جهة المجاز .... وإنما ذهب إلـى أنها لام العاقبة والصيرورة لأنه تعالى قال : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ فإثبات كونها للعلة ينافي قوله ﴿ إلا ليعبدون ﴾ وأنشدوا دليلاً على إثبات معنى الصيرورة للام قول الشاعر :

وأحصاهم ، وعدَّهم ، وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ؛ غير الذين خلقهم لعبادته .

مسألة في التكليف : ويقال لهم : أليس قد كلف الله تعالى الكافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا به[٧٢٣] ؟

فلا بد من نعم .

فيقال لهم : فقد قال الله تعالى : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ هود : ٢٠ وقال : ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ الكهف : ١٠١ ، وقد كلفهم استماع الحق[٧٢٤] .

ألا كل مولود فللموت يولد ولست أرى حياً لحيٍّ يخلد

وقول الآخر :

فللموت تغدوا الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن))

انتهى كلام أبو حيان .

والناس لا يبنون البيوت للخراب وإنما ليسكنوا فيها وليعمروها فهي للعمار .

وهذا أيضاً نظير قوله تعالى ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً** ﴾ وهذا بالنظر إلى عاقبة أمرهم ومآل حالهم مع سيدنا موسى حيث أن الله تعالى أغرقهم هم وفرعون بسبب عصيانهم وتمردهم على النبي موسى عليه السلام الذي بعثه الله إليهم ! مع أن مراد فرعون وزوجته وجماعته من التقاطه ليكون قرة عين لا ليكون عدواً وحزناً بدليل قوله تعالى ﴿ وقالت امرأة فرعون **قرة عين لي ولك** لا تقتلوه **عسى أن ينفعنا** أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون ﴾ القصص : ٩ .

(٧٢٣) نعم قد كلف الله تعالى الخلق جميعاً ومنهم الكفار بأن يسمعوا إلى الحق ويعملوا بما سمعوا من أمر الله تعالى وهذا لا نزاع فيه ! لكن احتجاج المصنف بغير المراد من الآيتين احتجاج فاسد كما سيتبين !

(٧٢٤) لا يتم للمصنف ما أراد من أن الله منعهم من السمع ! فمعنى ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ أي كناية عن رفضهم أن يعملوا بما سمعوا من أمر الله تعالى ! ومثال ذلك أن الشرطي عندما يمسك المجرم بمخالفةٍ اقترفها وهو يعلم بأن ذلك المجرم يعرف بأن هذه مخالفة للأوامر يقول له (ما كنت تستطيع الفهم) أو نحو هذا ! ومثل هذا قوله تعالى أيضاً ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ وجميع العقلاء يعلمون أن الكافر كان يستطيع السمع ويدرك ذلك إلا أنه لم يكن يريد العمل والانصياع لأمر الله تعالى !

مسألة : ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ القلم : ٤٢ ، أليس قد أمرهم الله تعالى بالسجود في الآخرة ؟ وجاء في الخبر : (أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود)[٧٢٥] ، وفي هذا تثبيت ما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله تعالى إذا أمرهم أن يقدرهم ، وهو بطلان قول القدرية[٧٢٦] .

مسألة في إيلام الأطفال : ويقال لهم : أليس قد آلم الله تعالى الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم ، كنحو الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم وغير

وقد ذكر القرطبي وغيره أن معنى قوله تعالى ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾ أي لا يطيقون أن يسمعوا كلام الله تعالى ويكرهون سماعه .

(٧٢٥) موضوع . رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٩٢) وفي السند رجلين مجهولين وهو من حديث أبي هريرة ، ورواه الحاكم ، وكنت قد خرجته في العلو فقلت هناك في التعليق على النص رقم (١٨٩) : [**موضوع منكر** . تقدَّم الكلام عليه برقم (١٠٨و١٤٩و١٨٧و١٨٨) رواه الطبراني في الكبير (٩/ ٤١٧/ ٩٧٦٣) بهذه الألفاظ الشنيعة ، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٩٠) بنفس الإسناد دون ذكر موقف الخلق أربعين سنة شاخصة أبصارهم ودون ذكر النزول في غمام . وقال الذهبي عنه في تلخيص المستدرك (٤/ ٥٩٢) : ((ما أنكره على جودة إسناده)) . وإسناده غير جيد كما تقدّم بل فيه الدالاني وهو ضعيف ، وكذا المنهال بن عمرو ، وقد تكلمنا عليهما هناك بما أغنى عن إعادته هنا .

وفي الحديث عند الطبراني والحاكم محاورة أيضاً في تقرير الحديث بين عمر بن الخطاب وكعب الأحبار !!] .

(٧٢٦) كلام المصنف مضحك حقاً ! الذي يقع لهم في الآخرة إن صح هو إهانة لهم وتبكيتاً خلاف ما في الدنيا ! فهل رأيت في الدنيا كافراً عاد ظهره طبقاً ؟ والآية التي أوردها في الآخرة مثل قوله تعالى ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ ولا يراد بذلك الذوق ولا التكليف في الآخرة ! لكن ماذا نصنع مع مَنْ يغالط ولا يريد أن يفهم ! وإنما غاية أمره التَّعَنُّت !

وهذا من الأشعري معناه أنه يقول بأن العبد مكلَّف بما لا يُطاق !! **وقد نص السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى)) (٣/ ٣٨٧) أن الماتريدية وجماعة من أئمة الأشاعرة منهم الغزالي والإسفراييني شيخ العراقيين وابن دقيق العيد يقولون بأنه لا يجوز تكليف ما لا يطاق خلافاً للأشعري !!**

ذلك ـ أعاذنا الله من ذلك ـ مما يؤلمهم به ، وكان ذلك سائغاً جائزاً ؟

فإذا قالوا : نعم .

قيل لهم : فإذا كان هذا عدلاً فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة ، ويكون ذلك منه عدلاً[٧٢٧] ؟!

فإن قالوا : آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء[٧٢٨] .

قيل لهم : فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء ، وكان ذلك منه عدلاً فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلاً[٧٢٩] ؟

وقد **قيل** في الخبر : « إن أطفال المشركين تؤجج لهم نار يوم القيامة ثم يقال لهم اقتحموها ، فمن اقتحمها أدخله الجنة ، ومن لم يقتحمها أدخله النار »[٧٣٠] .

---

(٧٢٧) نقول : لأن الدنيا دار امتحان وهي مدة قصيرة زائلة وعليها عوض وثواب وتكون لفائدة وحكمة فإن الله تعالى حكيم لم يخلق ذلك عبثاً ! بخلاف الآخرة فإنها دار الجزاء والثواب والعقاب وهي باقية وغير فانية ! وقد أخبر الله تعالى بأنه لا يظلم الناس شيئاً ! ففي الدنيا إن آلمهم كان مآل ذلك الثواب والتعويض ! وأما في الآخرة فبأي شيء سيثيبهم ويعوضهم وهي دار الجزاء كما أخبر سبحانه ؟! وبذلك يبطل إشكال المصنف !

(٧٢٨) وهناك من لا يقول بذلك (انظر شرح الأصول الخمسة ص ٤٩٣) ! واعلم أن الله تعالى لم يؤلمهم في الدنيا فقط ليعتبر الآباء ! لأن المكلف أيضاً فضلاً عن الأطفال ومنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد يمرضون دون أن يكونوا قد اقترفوا ذنوباً وأما في الآخرة فلا يمرضهم لأنها دار ثواب وجزاء ! فالله تعالى أمرض الأطفال والأنبياء وغيرهم في دار البلاء ليثيبهم عليها في دار الجزاء ولِحِكَمٍ أخرى تخفى قد يكون منها التأديب والعلاج ونحو ذلك ! والتأديب يعود بالنفع على الطفل فإنه يرتدع بالألم من الضرب هذا إذا جاء الألم بسبب فعل غير الله تعالى ! أما الألم الذي هو من الله فله حِكَم منها ما نعلمه ومنها ما لا نعلمه ! على أننا نجزم بأنه يثاب ويعوَّض عليها في الآخرة ! فأما إذا عذب الأطفال وآلمهم في الآخرة فإن ذلك يعتبر ظلماً وقبحاً والله منزه عن الظلم والقبح ! وأخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً !!

(٧٢٩) لا يمكن هذا في الآخرة لأن النظر إلى نفس الإنسان لا إلى غيره ! وقد أخبر الشرع بأن من لم يصل إلى سن التكليف فهو ناج في الآخرة فبطل كلام المصنف ! وذهب أدراج الرياح !!

(٧٣٠) موضوع . رواه بنحو هذا اللفظ إسحاق في مسنده (١/ ٤٤٥) وابن أبي عاصم في سنته

وقد قيل في الأطفال ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((إن شئت أسمعتك ضغاءهم في النار))[٧٣١] .

مسألة : ويقال لهم : أليس قد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ المسد : ١-٣ ، وأمره مع ذلك

(١/ ١٧٦) من حديث أبي هريرة في أربعة يمتحنون يوم القيامة رجل مات في فترة والهرم ورجل أصم أبكم ورجل معتوه وليس فيه ذكر الأطفال والسند ضعيف ، ورواه أحمد (٤/ ٢٤) بسند آخر فيه ضعف من حديث أبي هريرة أيضاً **وليس فيه ذكر الأطفال** ، وهو من حديث الأسود بن سريع أيضاً وفي إسناده معاذ بن هشام عن أبيه ، قال يحيى بن معين : صدوق وليس بحجة ! وفي موضع آخر : لم يكن بالثقة ، وقال الحافظ في التقريب : صدوق ربما وهم ! انظر تهذيب الكمال (٢٨/ ١٣٩-١٤٣) .

ورواه البيهقي في ((الاعتقاد)) ص (١١١-١١٢) من طريق ليث بن أبي سُلَيم عن عبد الوارث عن أنس بن مالك وفيه ذكر (الصبي الذي لا يعقل) وهو واهٍ أو موضوع ! ليث بن أبي سليم متروك ، وشيخه عبد الوارث مجهول وقال البخاري منكر الحديث وضعفه الدارقطني كما في ((اللسان)) (٤/ ٨٥) . وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل (٦/ ٧٤) : شيخ .

ونقل القرطبي في ((التذكرة)) (٢/ ٦١٢) عن الحافظ ابن عبد البر أنه قال عن أحاديث الامتحان : [هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعف في العلم والنظر ، مع أنه قد عارضها ما هو أقوى منها ..] . انظر ((التمهيد)) (١٨/ ١٣٠) .

وردها أيضاً مولانا الإمام سيدي عبدالله ابن الصديق الغماري الحسني أعلى الله درجته في ((الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة)) ص (٩٧) . فالحديث ساقط مردود ! وقد شرحنا ذلك وتوسعنا فيه وفيما يتعلق به في ((صحيح شرح العقيدة الطحاوية)) ص (٩٢-٩٤) من الطبعة الأولى والثانية .

(٧٣١) هذا حديث واهٍ ! قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) (٣/ ٢٤٦) : [وهو حديث ضعيف جداً لأن في إسناده أبا عقيل مولى بُهَيّة وهو متروك] . وبهية من المجهولين أيضاً ، والحديث رواه أحمد (٦/ ٢٠٨) وابن الجعد في مسنده (١/ ٤٣٦) وأورده ابن الجوزي في ((الأحاديث الواهية)) (٢/ ٩٢٤) فانتبه كيف يحتج هذا (الإمام !) بالموضوعات والواهيات !!

بالإيمان ، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن[٧٣٢] ، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن ، وأمره مع ذلك أن يؤمن ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر على أن يؤمن[٧٣٣] ، وأن يعلم أنه لا يؤمن .

وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه[٧٣٤] ؛ لأنه

---

(٧٣٢) ومن أنبأك بهذا ؟! بل أوجب الله عليه أن يعلم أنه لو تاب تاب عليه ! لمثل قوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وءامن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ طه : ٨٢ . ومعلوم أن الشرك إن تاب صاحبه منه ودخل في الإسلام تاب الله عليه ! وقال تعالى ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ سورة سيدنا محمد : ٣٤ ، فيكون معنى الآيات في سورة المسد أنه تبت يداه لقوله هذا القول للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ! وأنه سيصلى نار لهب إن بقي على ما هو عليه من الكفر والعناد والأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !

وقد كان أناس مثله من المؤذين والكفار فتابوا وتاب الله عليهم ! وقد ورد لمثل هذا نظائر في القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ أما من تاب منهم وأرجع أموال اليتامى إليهم وندم وصدق فإن الله تعالى لا يدخله ناراً لقوله تعالى ﴿ إلا مَنْ تاب وءامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ الفرقان : ٧٠ .

(٧٣٣) هذا باطل ! ومن قال لك أيها المصنف أنه لا يقدر على أن لا يؤمن ؟! ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ !! والمصنف ينظر إلى أبي لهب بعد موته ولأنه أصبح منطبعاً في عقول الناس أن أبا لهب رمز من رموز الكفر وقد مات على الكفر والشرك وهو كذلك ، لكن لا ينظرون إلى حاله حال حياته ! ومن المعلوم أن التوبة لا تقبل عند الغرغرة ولا عند عذاب الاستئصال ! ولذلك قالوا بأن فرعون ما قَبِل الله إيمانه لأنه اعترف عند الغرق وعذاب الاستئصال !

(٧٣٤) بل أمره بما يقدر عليه لأن الله تعالى ﴿ لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴾ البقرة : ٢٨٦ ، وقد خلق الله الإنسان وجعله مختاراً يفعل ما يشاء ولم يكرهه أو يجبره على شيء ! والواقع ونصوص الشرع تدل على ذلك ! لكن الأشاعرة خالفوا في ذلك فأخطأوا !! قال العلامة التفتازاني في شرح المقاصد (٤/ ٢٣١) : « ولهذا ذهب المحققون إلى أن المآل هو الجبر وإن كان في الحال الاختيار ، **وأن الإنسان مضطر في صورة مختار** » !! وهذا كلام باطل مردود على هؤلاء المحققين !

أمره أن يؤمن ، وأنه يعلم أنه لا يؤمن[٧٣٥] .

مسألة : ويقال لهم : أليس أمر الله عز وجل بالإيمان مَنْ عَلِمَ أنه لا يؤمن ؟

فمن قولهم : نعم .

يقال لهم : فأنتم قادرون على الإيمان ، ويتأتى لكم ذلك .

فإن قالوا : لا ، وافقونا .

وإن قالوا : نعم ، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله[٧٣٦] . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

مسألة عن المعتزلة : قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه : ويقال لهم : أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه[٧٣٧] فكانوا بقولهم هذا كافرين ، فلا بد من نعم[٧٣٨] .

---

(٧٣٥) علم الله بعواقب الأمور لا يؤدي إلى الجبر ولا تأثير ولا إكراه فيه على عمل العبد ! فبطل الكلام ! **وعقيدة الجبر هي عقيدة المشركين الذين يقولون ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾** الأنعام : ١٤٨ **!!**

(٧٣٦) هذا دليل باطل ! وكلام فارط عاطل ! عِلْمُ الله لا أحد يعرفه ولا يعرف ماذا علم عن كل فرد إلا فرداً أخبر الله تعالى عنه أنه سيموت مثلاً على الكفر ! ومع هذا فعلمه لا يوجب الإكراه ولا الجبر ! ومن أين للمصنف وأمثاله الاطلاع على علم الله تعالى ؟!

(٧٣٧) لا نعلم أن المجوس قالوا ذلك ! ربما لم يقولوا ذلك ! والمصنف ينقل بعض أقوال فرق الإسلام خطأ فمن باب أولى أن ينقل قول المجوس خطأ ليقيس عليه قول بعض المسلمين الموحدين للتشنيع عليهم زوراً وبهتاناً !

والمعروف أن المجوس يقولون بأن هناك إله للظلمة وأن هناك إلهاً للنور !! والله أعلم بثبوت ذلك عنهم أيضاً !

ثم إن القدرية أو من يقولون بأن العبد يخلق فعله يقولون بأن العبد يخلق أفعال الخير وأفعال الشر ولم يقولوا بأن الله يخلق أفعاله الخيرية وأن العبد يخلق فعله الشر !! فبطل القياس على عقيدة المجوس كما يزعم المصنف !

يقال لهم : **فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر** ، والله تعالى لا يقدر

وعند من يقول بأن العبد يخلق الفعل يقولون أن كل مخلوق يخلق ـ أي يصنع ويفعل ــ فعل نفسه والمخلوقون كثر أعدادهم بالملايين ! لقوله تعالى ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ فالخالقون للأفعال كثيرون بنص القرآن وبالواقع المشاهد وليسوا اثنان فقط كما يزعم المصنف ! ولذلك قال الدسوقي الأشعري في شرح أم البراهين ص (١٦٦) : ((والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تحصى)) .

ولاحظوا أن من يسميهم المصنف بالقدرية احتجوا بالقرآن وبالواقع المشاهد ! والمصنف يخالفهم ويتظاهر بإبطال قولهم بما يحكى عن المجوس ولا ينطبق عليهم وبحديث موضوع مكذوب سيذكره فيما بعد وهو : ((القدرية مجوس هذه الأمة)) !!

على أن المصنف متناقض متخابط !! فقد قال في ((مقالات الإسلاميين)) (١/ ٣١٢) : [قالت المعتزلة كلها إلا عبَّاداً : "إن الله يخلق الشر الذي هو مرض والسيئات التي هي عقوبات وهو شر في المجاز وسيئات في المجاز] !!

(٧٣٨) بل لا بد من لا !! وقد سبق بطلان كلام المصنف !! وقد كـذَّب دعواه هذه إمام الحرمين فقال في ((الإرشاد)) ص (٢٥٦) : ((وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (القدرية مجوس هذه الأمة) وشبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة والمشيئة حسب تقسيم المجوس وصرفهم الخير إلى (يزدان) والشر إلى (أهرمن) ....)) اهـ فالخير منسوب إلى يزدان وليس إلى الله تعالى !!

وقد أنكر الأشاعرة وجمع من الفقهاء وصف المعتزلة بالكفر والشرك رداً على أبي الحسن الأشعري !! ومن ذلك قول الدسوقي في حاشيته على أم البراهين ص (١٦٦) : [وليس المراد أنهم مشركون حقيقة لما علمت أن الإشراك حقيقة إثبات الشريك في استحقاق العبودية أو في وجوب الوجود **والمعتزلة لا يقولون بشيء من ذلك** ، وقد بالغ علماء ما وراء النهر في ذمهم حيث قالوا : المجوس أسعد حالاً من المعتزلة لأنهم أثبتوا شريكاً واحداً والمعتزلة أثبتوا شركاء لا تحصى ، والمصنف تابع لهم في المبالغة **وإلا فهم ليسوا مشركين حقيقة كما علمت**] .

وقال الهدهدي في حاشيته على أم البراهين ص (٥٨) مكملاً موضوع الدسوقي : [ثم إنه لا يؤخذ من كلام المصنف أنهم مشركون **إذ لم يصرحوا بالشركة حتى يدرجوا في المشركين** لأنهم وإن قالوا إن العبد خالق لأفعاله إلا أنهم يُسَلِّمُون أنه مع داعيته أي قدرته مخلوقان لله تعالى .... فلا يكون العبد إلهاً ولا شريكاً حقيقة ولهذا لم يلزمهم الكفر الصراح اللازم للثنوية وغيرهم **فالصحيح عدم كفرهم وعدم إشراكهم** ....] !!

عليه فقد زدتم على المجوس في قولكم ؛ لأنكم تقولون معهم : إن الشيطان يقدر على الشر ، والله لا يقدر عليه ، وهذا ما بينه الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن ((القدرية مجوس هذه الأمة))(٧٣٩) ، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة ؛ لأنهم قالوا

---

(٧٣٩) هذا حديث موضوع لا يثبت ! والمصنف لا يعلم صناعة الحديث ولا يتقنها **!!** ومن ألفاظ هذا الحديث : ((القدرية مجوس هذه الأمة ...)) رواه ابن أبي عاصم في ((كتاب السنة)) (١/ ١٤٩) وهو حديث منكر في إسناده زكريا بن منظور وهو ضعيف منكر الحديث ! انظر ترجمته في ((تهذيب التهذيب)) (٣/ ٢٨٧) والكامل في الضعفاء (٣/ ٢١١) ، وكذا أبو حازم بن دينار ولم يلق ابن عمر .

ورواه أبو داود (٤٦٩١) والبيهقي (١٠/ ٢٠٣) والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً : ((القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم)) . وفيه انقطاع بين سلمة بن دينار ـ والد عبد العزيز بن أبي حازم ـ وبين ابن عمر !

ورواه أبو داود (٤٦٩٢) وأحمد وغيرهما من حديث سيدنا حذيفة أيضاً ولفظه : ((لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ...)) وهو تالف منكر ، في إسناده عمر مولى غُفْرَة وهو ضعيف ومتروك عند الإمام مالك بن أنس ، وفي السند أيضاً رجل مجهول العين والحال .

والحديث موضوع تجد الكلام على بعض طرقه الأخرى في علل الدارقطني (٨/ ٢٨٩) ، والكامل في الضعفاء (٢/ ٢٠٧) و (٧/ ٧٧) ولسان الميزان (٦/ ٢٢٢) و ((تاريخ البخاري الصغير)) (٢/ ٢٧١) وميزان الذهبي في ترجمة الحكم بن سعيد الأموي وقد قال عنه البخاري : منكر الحديث .

وله لفظ آخر من حديث ابن عباس مرفوعاً : ((صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية)) رواه الترمذي (٢١٤٩) وابن ماجه (٦٢) فيه نزار بن حيان وهو ضعيف وفي أحاديثه عن عكرمة كلام وابنه علي بن نزار الراوي عنه ضعيف وكذا القاسم بن حبيب ، فهو حديث واهٍ تالف .

وله لفظ ثالث عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه : ((إنه سيكون في أمتي مسخ وقذف وهو في الزنديقية والقدرية)) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٣٦) وهو تالف أيضاً ومن جملة الموضوعات الظاهرة الوضع . ، انظر ترجمة الوليد بن سلمة في ((الميزان)) للذهبي ، ولسان الميزان لابن حجر (٦/ ٢٢٢) .

ومنه يظهر أن المصنف يبني أفكاره على جرف هار في التشنيع على خصومه العقلاء العلماء **!!**

بقول المجوس .

مسألة : وزعمت القدرية أنا نستحق اسم القدر ؛ لأنـا نقـول : إن اللـه تعـالى قدر الشر والكفر ، فمن يثبت القدر كان قدرياً دون من لم يثبته .

يقال لهم : القدري هو من يثبت القدر لنفسـه دون ربـه عـز وجـل ، وأنـه يقـدر أفعاله دون خالقه(٧٤٠) ، وكذلك هو في اللغة ؛ لأن الصائغ : هو مـن زعـم أنـه يصـوغ

---

(٧٤٠) هذا كلام غير صحيح ! يرده أن مسلماً روى في صحيحه (٨) عن ابن عمر أن القدرية هم من يقولون : (لا قدر) !!

والحديث الذي احتج به المصنف في المجوس فيه بطلان هذا التفسير المبتدع ! ففي سنن أبـي داود (٤٦٩٢) بإسناد تالف احتج به المصنف عن حذيفة قال رسول اللـه صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم : ((لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة **الذين يقولون لا قدر** من مات منهم فلا تشهدوا جنازتـه ومـن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال)) ، فهذا يبين بطلان دعوى المصنف !! ومحل النزاع في هذه المسألة في الأفعال الاختيارية .

وهؤلاء المنكرون من الأشاعرة وغـيرهم علـى القدريـة مضطربـون فـي تفسـير النسـبة إلـى القـدر ! فالنووي يقول في شرح مسلم (١/ ١٥٤) : ((واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء .... **وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكـارهم القـدر**)) ، وقـال الدسـوقي فـي حاشيته على أم البراهين ص (١٦٥) : [قوله (وبطلان مذهب القدرية) أي نفاة القدر فهم منسوبون للقدر لقولهم بنفي كون الشر بتقدير الله ومشيئته سموا بذلك لمبالغتهم في نفيه وكثرة مدافعتهم إياه ، وقيل لإثباتهم للعبد قدرة الإيجاد لأنهم يقولون العبد يخلق بقدرتـه الخـير والشـر ، والمولـى يخلـق الخير فقط وفيه أن مقتضى القياس أن يقال لهم حينئذٍ قُدرية بضم القاف مع أن الشائع فتحها ....] ! وقال الباجوري عند شرح قـول اللقـاني (وواجـب إيماننـا بـالقدر وبالقضـا كمـا أتـى فـي الخـبر) ص (١١٢) من حاشيته على الجوهرة : [وغرض المصنف بذلك الرد على القدرية التي تنفي القـدر وتزعم أنه تعالى لم يقدِّر الأمور أزلاً .... ولقبوا بالقدرية لخوضهم في القدر حيث بالغوا فـي نفيـه ، ولا يقال مثبت القدر أحق أن ينسب إليه لأنا نقول كما يصح نسبة مثبته إليه يصح نسـبة نافيـه إليـه إذا بالغ في نفيه ، وهؤلاء انقرضوا قبل الإمام الشافعي رضي الله عنه . وأما القدرية التـي تنسـب أفعـال العبيد إلى قدرهم مع كونهم مطبقين على أنه تعالى عالم بأفعال العباد قبـل وقوعهـا فقـد تقـدم الـرد عليهم .... فهم قدريتان : أولى : وهي تنكر سبق علمه تعـالى بالأشـياء قبـل وقوعهـا وتخـوض فـي

دون من يزعم أنه يصاغ له ، والنجار : هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من يزعم أنه ينجر له(٧٤١) .

فلما كنتم تزعمون أنكم تقدِّرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم(٧٤٢) ، وجب أن تكونوا قدرية ، ولم نكن نحن قدرية ؛ لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا عز وجل ، ولم نقل إنا نقدرها دونه(٧٤٣) ، وقلنا : إنها تُقَدَّرُ لنا(٧٤٤) .

القدر حيث بالغت في نفيه ، وثانية : وهي تنسب أفعال العباد إلى قدرهم .....] !!

فتأملوا في هذا الاضطراب والحيرة في التعليل والقول بالانقراض ! وهذا هو التخبط في توضيح النسبة والتسمية !

فصار القدرية فرقتان فرقة تثبت القدر وفرقة تنفيه ! وانقرضت فرقة مع الديناصورات ! إلى آخر ذلك التخبط الذي احتاروا معه كيف يَحُلُّوا المسألة ليفسِّروا حديثاً باطلاً موضوعاً !!

(٧٤١) كله كلام باطل لأن أصل النزاع في أنه هل الله قَدَّرَ أعمال الخلائق عليهم فلا يستطيعون العمل بخلاف ما قدره عليهم وبالتالي هم غير مختارين بل مجبرين أم لا !!

(٧٤٢) من العجيب الغريب أن الأشعري نفسه يقول في « مقالات الإسلاميين » (١/٣٣٨) : « ذكر قول الجهمية ما تفرَّد به جهم ، .... وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال : تحرَّكت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس ، وإنما فَعَلَ ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه] !! وقد ذكر ابن تيمية في « منهاج السنة » (٥/٣٥٨محقق) أن الأشعري تبع جهماً في ذلك فقال : [كما هو قول **القدرية والمجبرة كالجهم بن صفوان ومن تبعه والأشعري وغيره**] !!

فتأملوا كيف جعل الأشعري والجهم سيان في هذا ، وبذلك يثبت أن ابن تيمية غير موافق للمصنف في قضية الجبر !! وانظر مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٣٠و١٦/١٦٦) !

(٧٤٣) انظروا كيف يكابر ! فيدعي أن العباد ليس لهم قدرة فاعلة ومؤثرة وإنما أفعالهم يصنعها ويعملها الله لهم وليسوا هم الفاعلون لأفعالهم والصانعون لأعمالهم ! وهذا خلاف الواقع وخلاف ما هو مقرر في القرآن الكريم من نسبة الأفعال إلى الخلق لأنهم هم الذين يعملونها ويصنعونها ! قال تعالى ﴿ إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ ولو كان فعل العبد هو صنع الله وفعله لما أخبر بذلك ! وقال تعالى ﴿ فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ هود : ٣٦ .

(٧٤٤) وهذا يثبت أن من يقول بهذا هو القدري الحقيقي ! لأن النزاع إنما هو في مسألة : هل الله

مسألة : ويقال لهم : إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدرياً ، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله تعالى قدر السموات والأرض ، وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية ، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم(٧٤٥) .

مسألة في الختم : يقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ البقرة : ٧ ، وقال تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً ﴾ الأنعام : ١٢٥ ، فخبرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم(٧٤٦) ؟

يُقَدِّر علينا أعمالنا أم لا ؟! وهذا هو الجبر لمن أثبت التقدير بحيث يقول بأن العبد لا يستطيع أن يفعل خلاف ما قَدَّر الله عليه !! ولذلك اعترف أئمة الأشاعرة بأنهم يقولون بالجبر وسموه : (الجبر المتوسط) !! تخفيفاً له !! وهم القدرية في الحقيقة ! وإن كان الاسم قد شاء بالباطل على من ينفي القدر ! وبالمناسبة : فإن من أكابر أئمة الحديث ورواة الكتب الستة من كان يقول بالقدر على معنى نفي القدر الذي تقول به المعتزلة الذين سموهم بالقدرية وهم من علماء المسلمين الذين لهم قدرهم ومنزلتهم العالية عند علماء الإسلام ومجمع على قبول رواياتهم وأخبارهم خلافاً للمصنف وبعض من يُقَلِّده في رميهم لهم بالشرك والكفر !!

(٧٤٥) كلام غير صحيح ! بل هذا هو الكلام الباطل الفاسد ! فإن الخلق متفقون ـ أعني أهل الحق ـ على هذا بأن الله يخلقه !! وإنما محل النزاع في أفعال العباد !! والمعتزلة تقول بأن أفعال العبد من خير وشر يعملها العبد ويصنعها وليس الله تعالى ! لذلك نسبها الله جل جلاله للعبد في القرآن الكريم !! وأما قوله ﴿ قل كل من عند الله ﴾ فالمراد بذلك كما هو معروف المَحْل والخَصْب وهذه أمور ليست من أفعال العبد وإنما القادر والفاعل للخصب والمحل هو الواحد الأحد !!

(٧٤٦) هذه مغالطة من المصنف ! لأنه رَكَّبَ أموراً بعضها خطأ وبعضها صواب على بعض وخرج بنتيجة مغلوطة ليشنع بها على مخالفيه بالباطل !! وبيان ذلك أن الله تعالى هدى الناس جميعاً أي بيَّن لهم الهدى وطريق النجاة ! وحكم بالهداية ووفق من اتجه لها وأرادها وفعلها ! كما حكم بالضلال على الكفار وضيق عليهم صدورهم ليرجعوا إلى الإيمان ولنبين معنى الآية موسعاً والآية هي : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً

فإن قالوا : نعم ، تناقض قولهم .

وقيل لهم : كيف تكون الصدور مشروحة للإيمان ، وهي ضيقة حرجة مختوم عليها[٧٤٧] ، وكيف يجتمع الفعل الذي قال الله عز وجل : ﴿ أم على قلوب أقفالها ﴾

كأنما يَصَّعَّدُ في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ الأنعام : ١٢٥ ، أما الهداية فقد بيَّن الله تعالى أنه يهدي من اهتدى وأراد الهداية قال تعالى ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ مريم : ٧٦ ، وقال تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم ﴾ سورة سيدنا محمد : ١٧ ، فيكون معنى الكلام فمن رأى الله منه بوادر الإيمان والإقبال سَهَّل الله ذلك عليه بأن يشرح صدره لقبول الحق والدخول في الإسلام ومن كان غير مؤمن وكان متعنتاً في الكفر جعل الله له حالة من الكرب وعدم الراحة فلعله يقلع عما هو فيه من الكفر ﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ فبسبب عدم إيمانهم جعل عليهم الرجس وجعل الله تعالى صدورهم ضيقة حرجة كأنما يصَّعدون في السماء !!
وهذا يبين أن الله لم يبتدئهم بهذا وإنما هم كانوا كفاراً لذلك جعل الله عليهم رجساً بسبب كفرهم كما بين ذلك في نفس الآية وحذف المصنف هذا لئلا يبطل كلامه !!
وأما الآية الأولى التي ذكرها المصنف فقال تعالى قبلها ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ فهؤلاء كفروا أولاً فختم الله على قلوبهم ، ومعنى الختم هنا هو على المجاز وهو : مَثَلٌ يقال لم لا يفهم الحق ، فأنت عندما تنصح إنساناً وتبيَّن له الحق وتراه يرده ولا يقبله ويعاند ويكابر فتقول مطبوع على قلبه أو أعمى الله بصيرته أو قلبه ! أو نحو هذا ! ولا يعني هذا أن الله سبحانه أكرهه على هذا أو ألجأه له ! وقد أبدع في إبراز هذا المعنى الراغب في ((المفردات)) فقال في (ختم) : [... ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد باطل أو ارتكاب محظور ولا يكون منه تَلَفُّتٌ بوجه إلى الحق يورثه ذلك هيئة تُمَرِّنُهُ على استحسان المعاصي **وكأنما يُخْتَمُ بذلك على قلبه** وعلى ذلك : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ وعلى هذا النحو استعارة الإغفال في قوله عز وجل ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ واستعارة الكِنِّ في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ واستعارة القساوة في قوله تعالى : ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ .....] ! وهو كلام غاية في الحُسْن !

<u>**(٧٤٧)**</u> من قال هذا حتى تقوله ؟! كلامك باطل من أساسه ! واستشكالاتك ساقطة ! وكل أمرك مغالطات ! هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نقول : الختم عندهم هو المنع من الإيمان أو الحجاب المانع من أن يستوعب الإيمان وهذا الفهم مردود ! وذلك لأن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للكفار ليجادلونهم ويحاجونهم ويناصحونهم ويفهمونهم ليهتدوا وإذا كان الكفار لا

محمد : ٢٤ مع الشرح ، والضيق مع السعة ، والهدى مع الضــلال ، إن كـان هـذا جـاز أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هــو ضـد التوحيـد ، والكفـر والإيمـان معـاً فـي قلـب واحد[٧٤٨] ، وإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه[٧٤٩] .

فإن قالوا : الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر .

قيل لهم : وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال ، وإذا كان هذا هكذا فما شـــرح الله صدور الكافرين للإيمان ، بل ختم الله علــى قلوبهـم وأقفلهـا عـن الحـق ، وشـدّ عليها[٧٥٠] ، كما دعا نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم علــى قومـه فقـال : ﴿ ربنـا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يــروا العـذاب الأليـم ﴾[٧٥١] يونس : ٨٨ قال الله تعالى : ﴿ قد أجيبت دعوتكمـا ﴾ يونس : ٨٩ ، وقـال تعـالى يخـبر عـن الكافرين إنهم قالوا : ﴿ قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومـن بيننـا بينـك

يستقبلون وعلى قلوبهم مانع فما هي فائدة بعثة الرسل ودعوتهم الناس للإيمان ومجادلتهم ؟!

(٧٤٨) ومن قال هذا ؟!

(٧٤٩) بل لم يجز ولم يتحقق ما قاله المصنف فهو إشكال وقول باطل عاطل !!

(٧٥٠) كيف آمن كثير من الكفار وأسلموا بعدما حاربوا الرسول وآذوه ؟!

(٧٥١) يجوز أن يدعو النبي على قومه بمثل هذا بعدما يعرضوا عن دعوته ويتمادوا في الكفر والأذى لكن ما يقوله المصنف وأمثاله من أن هذا يحصل ابتداء فقول مرفوض !

وعلينا الآن أن نشرح هذه القضية فنقول : إن حقيقة الخلاف في هذه المسـألة هنـا هـي أن المصنـف ومن يقول بقوله يزعمون بأن الكافر هو الذي خلقه الله كافراً وهــو فـي الأصـلاب والمؤمـن كذلـك بالعكس وهم مجبولون على ذلك لحديث القبضة (إن اللـه قبـض قبضـة فقـال هـذه للجنـة وقبضـة أخرى فقال هذه للنار) !! فالمسألة على ذلك حظ وبخت (ويانصيب) ونحن نقـول إن اللـه تعـالى خلق الجميع على الفطرة غير مشبعين بأي فكر وخلق لهم السمع والبصر الأفئـدة فمنهـم مَـنْ شَـقِيَ بعمله وإعراضه عن هدي الأنبياء والمرسلين ومنهم مَنْ سَعِدَ بعملـه وإقبالـه علـى هـدي اللـه تعـالى ورسله !! فالقضية ليست قضية حظ بل قضية عمل وإيمان ولذلك خلـق اللـه الدنيـا وجعلهـا مكـان امتحان وابتلاء ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت بـه خطيئتـه فـأولئك أصحاب النار هــم فيهـا خـالدون ﴾ ﴿ أدخلـوا الجنـة بمـا كنتـم تعملـون ﴾ ولذلـك بعـث الأنبيـاء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ليدعوا الناس ويخرجوهم من الظلمات إلى النور !!

حجاب ﴾[٧٥٢] فصلت : ٥ ، فإذا خلق الله الأكنة في قلوبهم ، والقفل والزيغ ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ الصف : ٥ والختم وضيق الصدر ، ثم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون ، فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه[٧٥٣] ، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرنا من الضيق عن الإيمان ، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم[٧٥٤] ، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم[٧٥٥] .

مسألة : ويقال لهم : قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾[٧٥٦] الإسراء : ٧٤ ، وقال تعالى يخبر عن يوسف صلى الله عليه وسلم : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ يوسف : ٢٤ فحدثونا عن ذلك التثبيت والبرهان ، هل فعله الله عز وجل بالكافرين ، أو ما هو مثله ؟ فإن قالوا : لا ، تركوا القول بالقدر[٧٥٧] .

---

(٧٥٢) ليس في هذه الآية الكريمة دلالة على ما يريد المصنف لأنها حكاية عن قول جماعة من الكفار !

(٧٥٣) وهذا ظلم والله منزه عن ذلك ! والله لا يكلف نفساً إلا وسعها !! ومنطق المصنِّف منطق مردود !! وهو يخالف العدل الإلهي والتنزه عن الظلم !! ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ النحل : ٩٠ .

(٧٥٤) ليس هو الكفر فَذَرْكَ من اللجاج بالباطل !!

(٧٥٥) نتيجة باطلة وفاشلة غير صحيحة ! وقد بينا ذلك بحمد الله تعالى !

(٧٥٦) هذا خطاب لنبي معصوم فلا يقاس عليه غيره مثل سيدنا يوسف عندما رأى برهان ربه !! ولذلك قال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٣٠٠) : ((قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوماً ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه)) !! وبذا يبطل استدلال المصنف !!

(٧٥٧) الجواب المعتمد الصحيح هو : (لا) !! ولا يكونوا بذلك قد تركوا القول بالقدر ! لأن هذا التثبيت والبرهان هو للأنبياء وهاتان الآيتان إنما هما في الأنبياء ؛ واحدة في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأخرى في حق سيدنا يوسف عليه السلام ! ثم إن فهم المعتزلة للعصمة مغاير لفهم الأشعري والأشاعرة لها ! فالعصمة عند الأشعري عدم خلق الذنب فيهم وعند المعتزلة نوع من

وإن قالوا : نعم[٧٥٨] .

قيل لهم : فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن يثبتوا على الكفر ، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي صلى الله عليه وسلم من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن إلى الكافرين[٧٥٩] .

مسألة في الاستثناء : ويقال لهم : خبرونا عن مطالبة رجل بحق ، فقال له : والله لأعطينك ذلك غداً إن شاء الله تعالى ، أليس الله شائياً أن يعطيه حقه .

فمن قولهم : نعم . يقال لهم : أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه ، أليس لا يحنث ؟ فلا بد من نعم .

يقال لهم : فلو كان الله شاء أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطه ، كما لو قال : والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غداً ، ثم طلع ولم يعطه أنه يكون حانثاً[٧٦٠] .

مسألة في الآجال : يقال لهم أليس قد قال الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ الأعراف : ٣٤ ، وقال تعالى : ﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ المنافقون : ١١ ؟

اللطف ، فلا يجوز أن يحاكمهم على فهمه هو لها ! ومما يتمم بطلان كلام المصنف أن المعتزلة عرفوا العصمة بما قاله القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » ص (٧٨٠) حيث قال : [عبارة عن لطف يقع معه الملطوف فيه لا محالة ، حتى يكون المرء معه كالمدفوع إلى أن لا يرتكب الكبائر ولهذا لا يطلق إلا على **الأنبياء أو من يجري مجراهم**] فهذه تعزز قول المعتزلة ولا تجعلهم يتركون قولهم ! خلاف ما يدعيه ويزعمه المصنف !

(٧٥٨) هم لا يقولون نعم وبالتالي فكل ما بعد هذا باطل لا قيمة له !

(٧٥٩) شُرُمْ بُرُمْ !!

(٧٦٠) مثل هذه العبارات يجب أن تشحن إلى مختبرات خاصة للتحليل لنفهم ما هو المراد منها ! ثم بعد التحليل ربما نكتشف أنه أراد أن يثبت القدر بالضغط الأسموزي !! وبعد هذا نكتشف أيضاً أن كلامه ليس فيه دليل عقلي ولا نقلي ولا منطقي !

فلا بد من نعم .

يقال لهم : خبرونا عمن قتله قاتله ظلماً ، أتزعمون أنه قتل في أجله ، أو بغير أجله ؟ فإن قالوا : نعم ، وافقوا وقالوا بالحق ، وتركوا القدر(٧٦١) .

وإن قالوا : لا . قيل لهم : فمتى أجل هذا المقتول ؟

فإن قالوا : الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة(٧٦٢) علم أنها امرأته ، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها ، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن تكون النار داره(٧٦٣) .

وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلاً له ، على أن هذا القول مُقَيِّد(٧٦٤) لقول الله تعالى : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا

---

(٧٦١) هم قالوا بأجله ولم يتركوا القدر ! وهذا مما يبين لنا أنه لا يعرف مذهب المعتزلة رغم ما قيل بأنه درس عندهم أربعين سنة ! قال القاضي عبد الجبار في ((شرح الأصول الخمسة)) ص (٧٨٢) : [فاعلم أن من مات حتف أنفه مات بأجله ، وكذا من قُتِل فقد مات بأجله أيضاً ، ولا خلاف في هذا] !!

وقد فرَّق القرآن الكريم بين الموت الطبيعي والقتل فقال ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ وقال تعالى ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ آل عمران : ١٥٧ ، وقال تعالى ﴿ وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّر **ولا ينقص من عمره** إلا في كتاب ﴾ فاطر : ١١ ، والمسألة دائرة في الأصل بين الظلمة الطغاة وبين أئمة أهل البيت ومن تبعهم فإن الظلمة قالوا أن مَنْ قتلوه فقد مات بأجله وانتهاء عمره ! وأئمة العترة قالوا أنتم قتلتموه وعليكم وزر هذا ولو تُرِكَ لعاش فأنتم أنقصتم عمره ! وفي قول الخضر عن الغلام في القرآن ﴿ فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً ﴾ فلو ترك لعاش وأرهقهما طغياناً وكفراً ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رُحْماً ﴾ !

ولو كان الإنسان يموت بأجله عند قتله لما نهى الله عن ذلك ولما جعل فيه قصاصاً وتوعد من يقتل مؤمناً الخلود في نار جهنم !

(٧٦٢) ما هو دخل المرأة ههنا في القضية ؟! نريد أن نفهم !!

(٧٦٣) هل هذا كلام منتظم ومفهوم يا أيها الناس ؟!

ولكن نحن نقول بأنه لو لم يقتل لعاش إلى الأجل الذي حدده الله له !

(٧٦٤) إنما كان التقييد بدليل وهو قوله تعالى ﴿ وما يعمر من معمر **ولا ينقص من عمره** إلا في

يستقدمون ﴾ الأعراف : ٣٤ .

مسألة أخرى : ويقال لهم إذا كان القاتل عندكم قادراً على أن لا يقتل هذا المقتول فيعيش ، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله ، وهو قادر على تأخيره إلى أجله ، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها ، ويقدر أن يبقى العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم ، وهذا إلحاد في الدين(٧٦٥) .

ومسألة في الأرزاق : ويقال لهم : خبرونا عمن اغتصب طعاماً فأكله حراماً ، هل رزقه الله ذلك الحرام ؟

فإن قالوا : نعم ، تركوا القدر . وإن قالوا : لا .

قيل لهم : فمن أكل جميع عمره الحرام ، فما رزقه الله شيئاً اغتذى به جسمه(٧٦٦) . ويقال لهم : فإذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ويطعمه إياه إلى أن مات ، فرازق هذا الإنسان عندكم غير الله(٧٦٧) ، وفي هذا إقرار منهم أن للخلق

كتاب ﴾ فاطر : ١١ ، ولم يقيَّد بترهات تزوج امرأة أو لم يتزوج ! وأنها هل هي عوراء أو حولاء أو رقطاء !

(٧٦٥) ما شاء الله !! لا دليل على هذا الإلحاد ! وينسف نظرات المصنف الباطلة قوله تعالى ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ﴾ فبيَّن الله تعالى أن الإنسان قد يقتل نفساً ويمنعها من الحياة ويترتب على ذلك أن يعاقبه الله تعالى ويحرق هذا القاتل بالنار وكذلك وصف سبحانه بعض الناس بأنه يحيي النفس بترك قتلها ! فإذا أجاز الله ذلك واعتبره واقعاً وصحيحاً فكيف يعتبره المصنف إلحاداً في الدين ؟!

(٧٦٦) هذا الكلام غايته وسببه أن الطغاة من الحكام السابقين والمستبدين قالوا ــ وعلى رأسهم معاوية ـ لما منعوا الناس أرزاقهم أي منعوهم الرزق الذي خلقه الله في الأرض واستولوا عليه تمحلوا في ذلك فقالوا : هذه الأموال استرعانا الله إياها ونحن نقسمها بينكم وهم يأكلونها بينهم بالباطل ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ﴾ فالله تعالى نهى عن أكل المال بالباطل فهل يقال بعد ذلك بأنه رزقه لمن يأكله بالحرام وقد نهى عنه ؟!

(٧٦٧) نعم ! لقوله تعالى ﴿ **فارزقوهم** منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ النساء : ٨ ! وقال تعالى ﴿ وعلى المولود له **رزقهن** وكسوتهن بالمعروف ﴾ البقرة : ٢٣٣ ، ﴿ وأنت **خير الرازقين** ﴾ المائدة : ١١٤ ، وقال

رازقين : أحدهما يرزق الحلال[٧٦٨] ، والآخر يرزق الحرام ، وأن الناس تنبت لحومهم وتشد عظامهم والله غير رازق لهم ما اغتذوا به[٧٦٩] .

وإذا قلتم : إن الله لم يرزقه الحرام ، لزمكم أن الله لم يغذه به ، ولا جعله قواماً لجسمه[٧٧٠] ، وأن لحمه وجسمه قام وعظمه اشتد بغير الله عز وجل[٧٧١] ، وهو ممن رزقه الحرام[٧٧٢] ، وهذا كفر عظيم إن احتملوا .

تعالى ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً **ورزقاً حسناً** إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ النحل : ٦٧ ، فهل تنكر هذا ؟!

نحن ههنا نرد على تفاهات المصنف ولكن شرح المسائل وبيانها نرجئها إلى كتاب آخر مفصلاً !

(٧٦٨) تراكيب وأفكار المصنف كلها أغاليط ومغالطات متراكبة بعضها على بعض ! وإلا فمن الناس من يرزق بعضهم بعضاً رزقاً حلالاً كما جاء في الآيات المذكورة في الحاشية السابقة وغيرها ! قال تعالى ﴿ **فارزقوهم** منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ النساء : ٨ !!

(٧٦٩) الذي اغتذوا به من رزق الله التي خلقه للناس جميعاً ومنهم من يصل إليه بطريق حلال مباح ومنهم من يصل إليه بطريق حرام ! والشيء الواحد بعينه من الرزق يكون لشخص حرام ولآخر حلال كما هو معلوم ! ولكن المصنف يغالط !

(٧٧٠) هذا فعل العبد ولا يجوز نسبته للرب لأن مدار البحث على الاكتساب ! فالله تعالى أجرى قانون الجهاز الهضمي أن يمتص أي مادة داخلة إليه ولم يغصبه على تناول الحرام بل جعله مختاراً قادراً وأرشده وبين له الحلال من الحرام !

(٧٧١) كل هذه مغالطات من المصنف بعدما بينا حقيقة الأمر باختصار ! وما هو قصده من قوله بغير الله إن قصد أنه من طريق لم يسمح به الله فهذا صحيح من مخالفه ، وإن قصد أنه عاش وغذى خلاياه وأدار فيها الطعام من غير القانون الذي وضعه الله للجهاز الهضمي فهذا لم يقل به أحد ! فالمصنف يخترع الأقوال ويتخيلها من بنات أفكاره وينسبها لخصوم مفترضين في ذهنه !

(٧٧٢) إن المعتزلة لم يقولوا بأن بعض الرزق بمعنى الموجودات التي خلقها الله تعالى من خلق الناس وبعضها من خلق الله تعالى ! بل قالوا بأن الجميع من عند الله تعالى ! قال القاضي عبد الجبار في ((شرح الأصول الخمسة)) ص (٧٨٦) : [**فاعلم أن الأرزاق كلها من جهة الله تعالى فهو الذي خلقها** وجعلها بحيث يمكن الانتفاع بها فهو الرازق حقيقة ، وإذا وصف به الواحد منا فيقال : رزق الأمير جنده والسلطان رعيته كان على نوع من التوسع والمجاز ....] ! فسقط كلام المصنف !

مسألة أخرى في الأرزاق(٧٧٣) : ويقال لهم : لم أبيتم أن يرزق الله الحرام(٧٧٤) ؟ فإن قالوا : لأنه لو رزق الحرام لملَّك الحرام(٧٧٥) .

يقال لهم : خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه ، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش(٧٧٦) ، من يرزقهما ذلك(٧٧٧) ؟

والأرزاق ليست هي الأكل فقط بل إن الله يرزق الإنسان الأولاد والدواب والأملاك من رزق الله تعالى ولا يقع بها الاغتذاء انظر « شرح الأصول الخمسة » للقاضي عبد الجبار ص (٧٨٧) فلماذا يركز الأشعري على الاغتذاء !!

(٧٧٣) نحن نود أن نعرف من المصنف وممن يقلده لِمَ يبحث في هذه المسألة ؟!
ونحن نقول أن الكلام في هذه المسألة سببه التعذر والتسويغ لبعض الظلمة المستبدين على أموال الناس أن الله تعالى رزقهم هذا المال ولو بالحرام ، والثانية علاقتها الوطيدة بقضية الجبر والقدر ، والثالثة قضية التواكل واعتقاد أن الرزق سيأتي ولو نام الإنسان في بيته !!

(٧٧٤) إن كان القصد خلقه فالله تعالى خلق الأرزاق كلها والحرام هو طريقة الوصول إليها واكتسابها ! لأنه نهى سبحانه عن اكتسابها والحصول عليها سواء كانت مأكلاً أو ملبساً أو منفعة بالحرام ، فحرم الربا ونهى أن يأكل الناس أموالهم بينهم بالباطل وقال ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ النحل : ١١٤ ، فلا يصح أن يقول المرابي والغاصب والسارق هذا رزق الله لأنه حصل على المال بطريق محرمة لا يرضاها الله وقد نهى سبحانه عنها !!

(٧٧٥) هذا إشكال ضعيف من أصله ! ومعنى ملَّكهم أقدرهم على أن يملكوا الشيء بطريق حلال أو بطريق حرام فهم مختارون في ذلك ! والطفل والبهيمة ليسا بمكلفين حتى يتم كلام المصنف ! والمصنف يأتي بالأقوال الهزيلة الضعيفة فيرد عليها بردود لا معنى لها ـ لأن الإشكال من أصله مردود ـ ويوهم بأنه رد على خصومه وقطعهم ! وفي الحقيقة لم يفعل شيئاً !

(٧٧٦) ما هو قولك في الدابة التي تعلف وتأكل التبن والشعير في الإسطبل هل الله يرزقها ؟!

(٧٧٧) الله يرزق الجميع ولكن عليك أن تفهم ما هو معنى يرزق !

فإن قالوا : الله تعالى(٧٧٨) . قيل لهم : فمن ملكهما ؟ وهل للبهيمة ملك ؟

فإن قالوا : لا .

قيل لهم : فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملَّك الحرام ، وقد يرزق الله الشيء ولا يملكه ؟ ويقال لهم : هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه إياه ؟

فمن قولهم : نعم .

يقال لهم : فما أنكرتم أن يرزقه الحرام ، وإن لم يملكه إياه(٧٧٩) .

مسألة أخرى : يقال لهم : إذا كان توفيق المؤمنين بالله ، فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله تعالى(٧٨٠) ، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين

---

(٧٧٨) الله تعالى يرزقهما بمعنى أن الله يسر لهما من يطعمهما ! وكم ماتت حيوانات في الصحاري والفيافي عندما لم تجد الكلأ ! والبرامج التلفزيونية التي تنقل هذا كثيرة جداً ! وكم من طفل مات إذا فقد الأم التي تغذيه وترعاه ! فما هو تحليل المصنف لهذا ؟ وما هو جوابه عن قول الله تعالى ﴿ فما من دابة إلا على الله رزقها ﴾ !!

(٧٧٩) هذا مردود باطل من المصنف !! قال القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » ص (٧٨٤) : [اعلم أن الرزق هو ما ينتفع به وليس للغير المنع منه ولذلك لم يفترق الحال بين أن يكون المرزوق بهيمة أو آدمياً ، وهو ينقسم إلى ما يكون رزقاً على الإطلاق وذلك نحو الكلأ والماء وما يجري مجراهما ، وإلى ما يكون رزقاً على التعيين وذلك نحو الأشياء المملوكة] !!

وقال صاحب « عدة الأكياس في شرح معاني الأساس » عند السادة الزيدية (٣٠٩/١) :

[قالت العدلية جميعاً : والرزق هو الحلال من المنافع] !

ومن ذلك يتبين أن المصنف فهم كلام المعتزلة أن الرزق محصور في التمليك وهذا فهم باطل غير صحيح ! ولذلك كانت إشكالاته ونتائجه التي خرج بها وتَوَهَّم أنه انتصر بها على مخالفيه وأفحمهم فيها باطلة فاسدة مردودة !!

(٧٨٠) أنكرنا تفسيرك الخذلان بخلق الكفر في المكلف وأنه لا يستطيع أن يعمل غيره ! وهذا هو الجبر الصريح ! ونحن وأهل الحق ننكر ذلك ! ومعنى قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ آل عمران : ١٦٠ ، أي : يترك نصركم كيوم أحد ، كما في تفسير الجلالين . فلم يرسل لكم جنوداً من الملائكة وغير ذلك بسبب أفعالهم ! فالأفعال المخالفة لأمر الله تعالى ورسوله هي سبب الخذلان ! لا أن الله خلق الكفر فيهم !

للإيمان[٧٨١] فقولوا عصمهم من الكفر[٧٨٢] ، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم[٧٨٣] ؟

فإن أثبتوا أن الله خذلهم ، قيل لهم : فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم ؟ فإن قالوا : نعم ، وافقوا . وإن قالوا : لا .

قيل لهم : فما ذلك الخذلان الذى خلقه ؟ فإن قالوا : تخليته إياهم والكفر .

قيل لهم : أو ليس من قولكم : إن الله عز وجل خلى بين المؤمنين وبين الكفر ؟

فمن قولهم : نعم .

قيل لهم : فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر ، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين[٧٨٤] ؛ لأنه خلى بينهم وبين الكفر ، وهذا خروج عن الدين[٧٨٥] ، فلا

---

(٧٨١) من قال بأن الله وفق الكافرين للإيمان ؟! حتى ندرس وضعه ونتناقش في مسألته وقضيته ؟!

(٧٨٢) التوفيق غير العصمة ! والعصمة هي للأنبياء كما يعلم ذلك عقلاء أهل السنة والجماعة !

(٧٨٣) (إحكي لحالك !!) واسأل نفسك !!

(٧٨٤) الخذلان ليس التخلية حتى يصح قولك وإشكالك ! قال القاضي عبد الجبار في ((متشابه القرآن)) ص (٧١٤) : [اعلم أنه لا بد في المكلف أن يخلى بينه وبين ما كُلِّف ، وبين تركه لكي يكون ذلك الفعل على صفة من قِبَلِهِ ، ومن لم يكن مخلى بينه وبينه وحصل هناك منع أو إلجاء لم يجز أن يكون ذلك الفعل من قبله على كل وجه ....] ! ثم اعلم أنه لما أقبل العبد على الهدى وطلبه زاده الله تعالى هدى ويسَّر له الأمور وهذا هو التوفيق ! ولما رأى العبد معرضاً هجوماً على مخالفة أمره عاصياً له أملى له ولم يلطف به بحيث يحدث له أمراً يعتبر به فيرجع عن معاصيه ويتوب باختياره ! وهناك من يلطف له ((من إلقاء الرعب في قلبه وإخطار الخوف بباله)) فيرجع من غير إكراه ولا جبر ! بمبادرة من العبد بحيث يتجه للخير بوجه ما قال تعالى ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ !!

(٧٨٥) يا مسكين ما أسرعك إلى التكفير وإخراج الناس من الدين !! ولو أردنا أن نحاسبك بما تحاسب به الناس لأخرجناك أيضاً بما تقوله وتهذي به في مسائل الصفات وغيرها !!

وقد خلى الله تعالى بين الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم وبين الكفر كما خلى بينهم وبين الإيمان لقوله تعالى ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وقال تعالى ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ فصلت : ٤٠ .

بُدَّ لهم أن يثبتوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه فيتركوا القول بالقدر(٧٨٦) .

مسألة أخرى : إن سأل سائل من أهل القدر فقال : هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها ، أو بلية يجب عليه الصبر عليها ؟

قيل له : العبد لا يخلو من نعمة وبلية ، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها ، والبلايا على ضربين(٧٨٧) :

منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك .

ومنها ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي .

مسألة : وإن سألوا فقالوا : أيما خير ، الخير أو مَنْ الخير منه ؟

قيل لهم : من كان الخير منه متفضلاً به فهو خير من الخير .

فإن قالوا : فأيما شر ، الشر أو من الشر منه ؟

قيل لهم : من كان الشر منه جائراً به فهو أشر من الشر ، والله تعالى يكون منه الشر خلقاً وهو عادل به ، ولذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه على أنكم ناقضون لأصولكم ؛ لأنه إن كان من كان الشر منه فهو أشر من الشر ، وقد خلق الله تعالى إبليس الذي هو أشر من الشر الذي يكون منه(٧٨٨) ، فقد خلق ما هو أشر من الشرور

---

(٧٨٦) مسكين ! يظن بأنه بمثل هذه المغالطات الفارغة يجعل مخالفيه القائلين بالحق يتركون هذا الحق ويتبعونه على ترهاته في الجبر !!

(٧٨٧) ما شاء الله ! الآن صرت تقسِّم وتُفَصِّل عندما يريد خصمك أن يفحمك ! فلماذا لا تكون عادلاً منصفاً تريد تقوى الله تعالى بما تقول فتترك وصم مخالفك بما هو بريء منه وتتبع الحق وتترك الجبر والباطل الذي تقول به ؟!

(٧٨٨) وإبليس ما خلقه الله للشر وأكرهه عليه ! فإن جمهور العلماء يقولون بأن إبليس من الجن وكان يعبد الله مع الملائكة وأمر بالسجود لسيدنا آدم معهم ! وقسم كالنووي قال بأن الصحيح أنه من الملائكة وهذا قول ليس بصحيح عندنا ! وعلى كلا القولين يتبين أن إبليس لم يخلقه الله للشر ولم يكرهه عليه ! وإنما هو اختار ذلك كما اختار كثير من الناس ذلك مثلهم كمثل إبليس !

كلها[٧٨٩] ، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم[٧٩٠] .

مسألة في الهدى : يقال للمعتزلة : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ البقرة : ٢ فأخبر أن القرآن هدى للمتقين ؟ فلا بد من نعم .

يقال لهم أوليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال : ﴿ والذين لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ فصلت : ٤٤ فخبر أن القرآن على الكافرين عمى ؟ فلا بُدَّ من نعم[٧٩١] .

يقال لهم : فهل يجوز أن يكون من خبر الله عز وجل أن القرآن له هدى وهو عليه عمى ؟ فلا بد من لا .

يقال لهم : فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله تعالى أنه له

---

(٧٨٩) وبما أن الله هو خالق ما هو أشر من الشرور كلها واعترف المصنف بذلك فقال (والله تعالى يكون منه الشر خلقاً وهو عادل به) أي أنه يخلق الشرور فقد ألزمه خصمه وأفحمه ولم يستطع أن يفلت منه ! وبه ينقض المصنف مذهبه ويبطله ! مع أنه يهوش على مخالفيه فيزعم أنه نقض دينهم وفساد مذهبهم وليس ثَمَّ هناك !

(٧٩٠) بل ظهر فساد قولك ومذهبك !!

قال الإمام القاسم بن إبراهيم الرَّسِّي وهو من علماء أهل البيت سلام الله تعالى عليهم « في مجموع رسائله » (توفي ٢٤٦هـ): [ثم يُسألون فيقال : أخبرونا عن إبليس خلقه الله ليعبده أو لِيُعْبَدَ مَنْ دونه ؟ فإن قالوا خلقه ليعبده : تركوا قولهم ! وإن قالوا لِيُعْبَدَ مَنْ دون الله : زعموا أنه أول مَنْ أشرك بنفسه !] !! تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً !

(٧٩١) بل لا بد مِنْ لا ! لأن الذي عليهم عمى هو الوقر الذي في آذانهم وهو كناية عن الإعراض عن القرآن عناداً وكبراً ! لا القرآن الذي هو هدى ! قال تعالى ﴿ هدى للناس ﴾ وقال تعالى ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ الأنعام : ١٥٧ ، وقال تعالى ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾ الكهف : ٥٥ .

هدى ، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى[٧٩٢] .

مسألة أخرى : ثم يقال لهم : إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى[٧٩٣] لمن قَبِلَ ولمن لم يقبل ، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً لمن قَبِلَ ولمن لم يَقْبَل[٧٩٤] ، فإن كان دعاء إبليس إلى الكفر إضلالاً للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه ، فما أنكرتم أن دعاء الله تعالى إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه[٧٩٥] ، وإلا فما الفرق بين ذلك ؟[٧٩٦]

مسألة أخرى : ويقال لهم : أليس قال الله تعالى : ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ﴾ البقرة : ٢٦ فهل يدل قوله : ﴿ يضل به كثيراً ﴾ على أنه لم يضل الكل ؛ لأنه لو أراد الكل لقال : يضل به الكل ، فلما قال : ﴿ يضل به كثيراً ﴾ علمنا أنه لم يضل الكل ؟ فلا بد من نعم .

---

(٧٩٢) هو هدى لجميع العباد فمن تبعه ربح ومن أعرض عنه خسر قال تعالى ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾ طه : ١٢٣ !! وتقدمت آيات أخرى في ذلك تبطل تلبيسات المصنف !!

(٧٩٣) الهدى هنا هو البيان والدلالة والإرشاد كقوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ فمن لم يقبل الهدى لا يقال عنه مهتدٍ !

(٧٩٤) لم ننكر ذلك لأن إضلال إبليس هو تزيينه المعاصي للمؤمن والكافر ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ البقرة : ١٦٨ ، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ البقرة : ٢٠٨ ، وكما أن المؤمن إذا أعرض عن دعوة إبليس أو غيره إلى الضلال لا يكون ضالاً كذلك الكافر إذا أعرض عن هدى الله تعالى لا يقال إنه مهتدٍ !! فبطل كلام المصنف من أساسه !

(٧٩٥) قال تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فصلت : ١٧ ، وقال تعالى : ﴿ إن علينا للهدى ﴾ الليل : ١٢ !! فالهدى له معانٍ كثيرة منها : الدلالة والإرشاد كما مَرَّ ، ومنها زيادة تنوير البصيرة ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ سورة سيدنا محمد : ١٧ ، ومنها الإثابة قال تعالى ﴿ يهديهم ربهم بإيمانهم ﴾ أي يثيبهم ! ......

(٧٩٦) لا إشكال أصلاً إلا في ذهن المصنف الذي يحاول أن يخترع إشكالاً من لا شيء !!

يقال لهم : فما أنكرتم أن قوله تعالى : ﴿ ويهدي به كثيراً ﴾ دليل على أنه لم يرد الكل ؛ لأنه لو أراد الكل لقال : ويهدي به الكل ، فلمّا قال تعالى : ﴿ ويهدي به كثيراً ﴾ علمنا أنه لم يهد الكل(٧٩٧) وفي هذا إبطال قولكم إن الله هدى الخلق أجمعين .

مسألة أخرى : ويقال لهم : إذا قلتم إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يَقْبَلوا عن الله أمره ، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعاً وصلاحاً وتسديداً للكافرين الذين لم يَقْبَلوا عن الله أمره(٧٩٨) ، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر(٧٩٩) وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين ، وأن يكون توفيقاً للإيمان وإن لم يوفَّقوا للإيمان ، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين(٨٠٠) ، وهذا ما لا يجوز ؛ لأن الكافرين مخذولون ، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون ؟(٨٠١)

فإن جاز أن يكون الكافر موفقاً للإيمان ، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقاً ،

---

(٧٩٧) هذا المصنف يغالط ولم يصب فيما يقول ! فالمعنى الصحيح للآية الكريمة الذي يحاول أن يغالط فيه هو : أن الله تعالى أنزل القرآن هدى للناس جميعاً أي إرشاداً وبياناً لهم ﴿ هدى للناس ﴾ وبعد ذلك منهم من آمن به فكان سبباً للحكم عليه بأنه من المهتدين ! ومنهم من كفر وأعرض ولم يتبع إرشاد الله وهداه فكان القرآن سبباً للحكم عليه بأنه من الضالين !!

وحال المصنف كمن يحاول أن يثبت بأن زيداً عندما قيل عنه بأنه أسد أنه حيوان وأنه مفترس !!

(٧٩٨) إنني أتصور أن هذا المصنف لم يكن عقله معه بل كان يحلم ! فهو يخرط الأقوال خرطاً لا معنى له فيأتي بأي كلام متخابط متضارب ليثبت من خلاله بأنه يرد على مخالفيه في آراءه الشاذة المعارضة للعقل السليم وللكتاب الكريم !

وإلا فكل العقلاء يعرفون بأن القرآن ليس تسديداً للكافر المعرض عن أمر الله تعالى !

(٧٩٩) كيف يكون عصمة للكفار من الكفر وهم واقعون في الكفر ؟! فلولا أن هناك من ينتسب إليه ويظنه واضع علم التوحيد وشيئاً مذكوراً ما رددنا عليه ! لأنه لا يستحق الرد والتتبع لأقواله المتضاربة التي ليس لها خطام أو زمام !

(٨٠٠) ولم يقل بذلك عاقل ! ولذلك بطل تهويلك وقولك !

(٨٠١) ومن قال ذلك أيها الألمعي ؟!

فإن استحال هذا ، فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه[٨٠٢] !

مسألة في الضلال : يقال لهم : هل أضلّ الله تعالى الكافرين عن الإيمان ، أو عن الكفر[٨٠٣] ؟ فإن قالوا : عن الكفر[٨٠٤] .

قيل لهم : فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه ، وهم كافرون ؟[٨٠٥]

وإن قالوا : أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم[٨٠٦] .

وإن قالوا : نقول : إن الله أضلهم[٨٠٧] ولم يضلهم عن شيء .

قيل لهم : ما الفرق بينكم وبين من قال : إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء ؟[٨٠٨]

فإن استحال أن يهدى المؤمنين لا إلى الإيمان ، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الإيمان[٨٠٩] .

---

(٨٠٢) هذه كما يقال قصة قصيرة ورواية ممجوجة ! وهي خالية من الأدلة والحجج !

(٨٠٣) ما هو معنى الإضلال ههنا حتى يتم سؤال المصنف !

وقصد المصنف كما يظهر بلفظة (أضل) خلق فيهم الكفر ! وهذا غير القصد الحقيقي الشرعي ! لأن معنى أن الله أضل الكافرين : حكم عليهم بأنهم ضُلال وهذا بعدما وصلهم هداه وأعرضوا عنه لا أنه قهرهم على الكفر قهراً ! وبالتالي فإن سؤال المصنف من أصله خطأ مركَّب على المغالطة !

(٨٠٤) لم يضلهم عن الكفر بل بيَّن لهم الكفر والإيمان وهداهم بمعنى أرشدهم إلى الإيمان !

(٨٠٥) احتمال باطل لأنه لم يضلهم عن الكفر بل بينه لهم !

(٨٠٦) ما أضلهم عن الإيمان لأن الله بيَّن لهم الإيمان ووضحه ودعاهم إليه وعرفهم به !

(٨٠٧) لم يقولوا ما تريده أيها المصنف وما تحاول أن تلبس به من أنه خلق فيهم الضلال ! لأن هذا ظلم والله منزه عن الظلم وقد خلقهم مختارين وبين لهم وأوضح الهدى والضلال ! (وكلامك حَشُّ كلامٍ فارغ !) !!

(٨٠٨) كلام فارغ لا معنى له !! لأن الله تعالى لم يكره المؤمنين على الإيمان ولا خلق الإيمان فيهم بحيث لا يقدرون على غيره ! بل اختاروه بمحض إرادتهم !

(٨٠٩) كل كلامه مبني على تصوره الفاسد أن الله يخلق الإيمان ويخلق الكفر في نفوس العباد ولا يستطيعون الانفكاك عنه ! فإذا فهمنا المعنى المغاير لمراده بطل جميع لجاجه وإشكالاته الهزيلة !

مسألة أخرى : ويقال لهم : ما معنى قول الله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾[٨١٠] إبراهيم : ٢٧ ؟

فإن قالوا : معنى ذلك أنه يسميهم ضالين ، ويحكم عليهم بالضلال .

قيل لهم : أليس خاطب الله العرب بلغتهم فقال : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ الشعراء : ١٩٥ ، وقال : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ إبراهيم : ٤ ؟ فلا بد من نعم[٨١١] .

يقال لهم : وإذا كان الله عز وجل أنزل القرآن بلسان العرب ، فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال : أضل فلان فلاناً أي سماه ضالاً[٨١٢] ؟

التي تقود إلى تواكل الأمة وانحطاطها !

(٨١٠) معنى ويضل الله الظالمين أي : يحكم على الظالمين بالضلال لأن الظالم ضلَّ وانتهى وبعد ذلك أضله الله تعالى أي حكم بأنه من الضالين ، وليس كما يزعم المصنف بأنه جبرهم على الضلال والكفر وخلقه فيهم ! ومثله قوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ سورة سيدنا محمد : ١ ، فتأمل كيف كفروا وصدوا عن سبيله فأضل الله أعمالهم ! أي حكم على أعمالهم بأنها ضلالية وسيعاقبهم عليها !

وهذه الآية من المتشابهات التي يجب أن ترد إلى المحكم ، والمحكم في هذا الموضوع أن الله جعل الدنيا دار امتحان للناس جميعاً كافرهم ومؤمنهم ولم يجبرهم على شيء وبين لهم الهدى والضلال وجعل لهم الاختيار الكامل وبهذا جاءت النصوص المحكمة ! مثل قوله تعالى ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ الكهف : ٢٩ وقوله تعالى ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ المُلك : ٢ !

وهذا مثل قوله تعالى ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا ﴾ الأعراف : ٥١ والحياة الدنيا ليست كائن فاعل في إرادة العبد وإنما هذه مجازات يراد منها أمور أخرى !

(٨١١) ما شاء الله ! يوهم الناس أنه يفهم في اللغة وهو لا شيء في اللغة ! ومن دلائل ذلك أن المصنف زعم ههنا فيما تقدَّم أن (أيدٍ) ليست جمع يد وقد قدَّمنا أن هذا باطل من القول من القرآن واللغة !

(٨١٢) هذه أولاً مغالطة !! وقد وجدنا هذا في قوله تعالى ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ سورة سيدنا محمد : ١ ، فتأمل كيف كفروا وصدوا عن سبيله أولاً فحكم الله

فيقال : قالوا : وجدنا القائل يقول : إذا قال رجل لرجل ضال قد ضللت .

قيل لهم : قد وجدنا لعمري القائل : ضلل فلان فلاناً أنه سماه ضالاً ، ولم نجدهم يقولون : أضل فلان فلاناً بهذا المعنى(٨١٣) ، فلما قال الله تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ إبراهيم : ٢٧ لم يجز أن يكون معنى ذلك الاسم(٨١٤) ، والحكم إذا لم

عليهم بقوله أضل أعمالهم مآلاً !

وقال الشاعر : ما زال يهدي قومه ويضلنا جهراً وينسبنا إلى الفجار

والإضلال إذا نسب إلى الله معناه أنه أتاح لهم الطريق والفرصة والسعة ليضلوا وليس معناه أجبرهم على الضلال ! ويجوز أن يكون الإضلال معنى مجازي لا يراد منه ظاهر معناه مثل (ثكلتك أمك) ! وأنت إذا ناقشت إنساناً فوجدته لجوجاً متكبراً لا يقبل الحق ولا ينصاع إليه تقول : (أضله الله) أو (أعمى الله على قلبه) والمراد أنه هو يتعامى عن الحق ويصر على الباطل ! والله تعالى بين له الهدى ودعاه إليه والله جل شأنه ﴿ لا يأمر بالفحشاء ﴾ !

(٨١٣) بل يجوز قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام في وصف الأصنام : ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ إبراهيم : ٣٦ ، هنا أضللن يجوز أن تفسر بمعنى : حكمن على عُبَّادِهِنَّ بالضلال ! أي كانت الأصنام سبباً للحكم على عُبَّادها وتسميتهم بالضالين !

بل هو موجود ! في مثل ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ ومثل ﴿ وأضلهم السامري ﴾ ومثل قوله تعالى في إبليس ﴿ ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ يس : ٦٢ ، فكلمة أضل لا تعني أنه أجبرهم ولم يستطيعوا الإفلات من ذلك الإجبار والخروج عنه ، فالسحرة عندما سجدوا ﴿ فألقي السحرة سجداً قالوا ءامنا برب هارون وموسى ﴾ طه : ٧٠ لم يكن معنى إضلال فرعون لهم أنه خلق فيهم الضلال بحيث لم يستطيعوا أن يعملوا خلاف أمره ، فالمصنف يريد أن يحرفنا ويضلنا عن الطريق الصحيح لفهم معنى (أضل) ومعنى (يضل) فيريد أن يطالبنا بشواهد لغوية ! ولا يريد منا أن نصل إلى أن (أضل) و (يضل) لا تعني الإجبار وخلق الضلال في الإنسان بحيث لا يستطيع أن يعمل غيره ! وبهذا تمت مغالطة المصنف !

(٨١٤) بل يجوز قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام في وصف الأصنام : ﴿ رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ إبراهيم : ٣٦ ، هنا أضللن يجوز أن تُفَسَّر بمعنى : حكمن على عبادهن بالضلال ! أي كانت الأصنام سبباً للحكم على عبادها وتسميتهم بالضالين !

ويأت الإضلال على معانٍ أُخَر منها العقاب مثل قوله تعالى ﴿ إن المجرمين في ضلال وسُعُر ﴾ القمر : ٤٧ ، وقال تعالى ﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾ سبأ : ٨ ،

يجز في لغة العرب أن يقال : أضل فلان فلاناً بأن سماه ضالاً ، بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب(٨١٥) .

مسألة أخرى : ويقال لهم : إذا قلتم : إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين ، وليس ذلك في اللغة على ما ادّعيتموه(٨١٦) ، فيلزمكم إذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوماً ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم ضالين فاسدين ، وإذا لم يجز(٨١٧) هذا بطل أن يكون معنى ﴿ يضل الله الظالمين ﴾ الاسم والحكم كما ادعيتم .

مسألة : ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾(٨١٨) الكهف : ١٧ ، وقال تعالى : ﴿ كيف يهدي

فيكون معنى ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ أي يعاقبهم ويعذبهم !

ومما جاء في معنى الإضلال أيضاً قوله تعالى ﴿ وقالوا ءأذا ضللنا في الأرض أءنا لفي خلق جديد ﴾ السجدة : ١٠ ، وقوله تعالى ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ ! ومن ذلك قوله تعالى ﴿ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي ﴾ سبأ : ٥٠ .

(٨١٥) لم يبطل بحمد الله تعالى بل بطلت تلبيسات المصنف وتمويهاته !! وأزيد ههنا إيضاحاً أخيراً وهو أننا إذا قلنا بأن الرجل الفلاني أضل قومه أي دعاهم إلى سبب الضلال وزينه لهم فضلوا فحكمنا عليهم بأنهم ضالون ! والمراد في حق الله تعالى في مثل هذا غاية الأمر أي الحكم عليهم بالضلال !

(٨١٦) بل كلامك باطل !! ففي « لسان العرب » (١١/ ٣٩٣) :

[ويقال أضللت الشيء إذا وجدته ضالاً ، كما تقول أحمدته وأبخلته إذا وجدته محموداً وبخيلاً ، ومنه الحديث : « أن النبي أتى قومه فأضلهم » أي وجدهم ضُلاَّلاً غير مهتدين إلى الحق] !

(٨١٧) بل جاز وبطل كلامك أيها المصنف المفلس ! وثبت أن مرادك في الجبر باطل غير صحيح !

(٨١٨) معنى الآية كما جاء في تفسير الطبري (١٥/ ٢١٣) :

[وقوله ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ يقول عز وجل : مَنْ يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه فهو المهتدي ، يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق .

﴿ ومن يضلل ﴾ يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته فلم يوفقه للاستدلال بها

الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ﴾[819] آل عمران : ٨٦ فذكر أنه لا يهديهم[820] ، وقال تعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[821] يونس : ٢٥ فجعل الدعاء عاماً ، والهدى خاصاً[822] .

وقال تعالى : ﴿ لا يهدي القوم الكافرين ﴾[823] البقرة : ٢٦٤ فإذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدي القوم الكافرين ، فكيف يجوز لقائل أن يقول : إنه هدى الكافرين مع إخباره أنه لا يهديهم[824] ، ومع قوله تعالى : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾[825] القصص : ٥٦ ، ومع قوله تعالى : ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله

على سبيل الرشاد ﴿ فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ يقول فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفاً يرشده لإصابتها] .

فليس في هذا أن معنى هداهم خلق فيهم الهداية بحيث لا يستطيعون أن يفعلوا خلافها كما يزعمه المصنف الداعي لبدعة الجبر !

(٨١٩) معنى الآية : كيف يحكم ويسمي الله تعالى قوماً بالمؤمنين والمهتدين وقد كفروا بعد إيمانهم ! وإلا ؛ فقد هدى الله على اصطلاح المصنف قوماً بعدما ارتدوا وندموا فرجعوا ! فليراجع المصنف وأتباعه أنفسهم إذا كانت هداية المرتد جائزة عقلاً وشرعاً وحادثة لأن كثيراً من المرتدين تابوا ورجعوا وأنابوا فقبل الله توبتهم وهداهم فما معنى احتجاجه بهذه الآية الكريمة فإنها حجة عليه ليس له منها نصيب في الدلالة !

(٨٢٠) أي لا يحكم عليهم بالإيمان والهداية حال كونهم كافرين !

(٨٢١) أي يحكم سبحانه بالهداية على من طلبها من عباده وأناب إليه ومشى إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام ! والمقصود نسف مذهب الجبر الذي يدعو إليه المصنف !

(٨٢٢) تخصيص الهداية بالمؤمنين باطل من القول عقلاً وشرعاً ! قال تعالى ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ﴾ وقال تعالى ﴿ فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ !!

(٨٢٣) معناه : أي لا يحكم عليهم ولا يثيبهم !!

(٨٢٤) المصنف مغالط لأن الهداية معنى مشترك ! فقد يكون معناها الدلالة والبيان وهذا عام للمؤمن والكافر ! وإما أن يكون الحكم والتسمية وهذا خاص للمؤمنين ! وإما معانٍ أُخَر فبطل إشكاله !

(٨٢٥) أولاً هذه الآية ليست في أبي طالب عندنا كما أوضحناه في المقدمة والتعليق على « أسنى

يهـدي مـن يشـاء ﴾[٨٢٦] البقرة : ٢٧٢ ومـع قولـه تعـالى : ﴿ ولـــو شـــئنا لآتينـــا كـــل نفس هداها ﴾[٨٢٧] السجدة : ١٣ ؟

وإن جاز هــذا[٨٢٨] جـاز أن يقـال : أضـل المؤمنيـن[٨٢٩] ، مـع قولـه تعـالى :

المطالب)) ! وليس منح الهداية للناس بالتشهي والتمني أن تكون لهم بل بفعل الإنسان نفســه الـذي نتمنى له الهداية ! فليس في هذا أن الله يجبر بعض الناس على الهداية قهراً ولا يستطيعون أن يفعلـوا الضلال !

وبيان ذلك أن الله تعالى يقول في موضع آخر من كتابه ﴿ إن تحرص على هداهم فإن اللـه لا يهـدي مَنْ يُضِل ﴾ قال القاضي عبد الجبار في ((شرح الأصــول الخمسـة)) ص (٤٤٢) : [وتكـون الآيـة جامعة لأمرين : أحدهما : تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فـي عدولهـم عمـا أراده منهـم ، والثاني : بعث ـ أي حض ـ المكلف على أن يطيع فيستحق الهدى والثواب] .

وقال أيضاً : [لا ظاهر له فيما يقولون في الهدى والضلالة ! لأنه لا يجوز أن يقول تعــالى لرسـوله : لا تحرص على إيمانهم فإني أخلق الكفر فيهم ، كما لا يجوز أن يقول : لا تحرص على إقامة الأدلـة فإني أعميهم عنها ، وأخلق فيهم خلاف ما تدعوهم إليه ، تعالى الله عن ذلك ، فالمراد بالآية أن مــن يضله تعالى ويعاقبه لكفره وفسقه لا يهديه إلى الجنة ولا يثيبه] !!

ومختصر الكلام في هذه الآية عندنا : إنك لا تستطيع أن تجبر إنساناً على أن يكون مهتدٍ ولكــن اللـه يهدي أي ييسر الهداية لمن أراد الهداية .

(٨٢٦) قد جاء في آية أخرى ﴿ وإنك **لتهدي** إلى صراط مستقيم ﴾ الشورى : ٥٢ ، وهـذا يـرد قـول المصنف قبل قليل بأن الهداية خاصة ! وإنني أعجب ممن يرى أن الله هدى ثمود فــي قولـه ﴿ فأمـا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ ولم يهد أبا طالب !!

(٨٢٧) يعني لو شئنا أن نؤتي كل نفس هداها لفعلنا ونحن قادرون على ذلك ولكننا لم نشـأ ! وإنمـا جعلناهم مختارين ! قال تعالى ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمـات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ المائدة : ١٦ ،

(٨٢٨) لم يجز هذا على المعنى الذي يريده المصنف ويجوز على المعنى الـذي ذكرنـاه وبـه يكـون الإشكال الذي سيذكره المصنف الآن باطلاً من أساسه !

(٨٢٩) لم يقل بهذا أحد ! لأن معنى إضلال الكافرين الحكم عليهم بـالضلال وأنـه يمهلهـم ويملـي لهم ! والمصنف يأتي بمقدمات متضاربة ومتباعدة واحدة في المشرق وواحدة في المغرب ثم يخرج

﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ﴾ الإسراء : ٩٧ ، ومع قوله : ﴿ هدى للمتقين ﴾[٨٣٠] البقـرة : ٢ فإن لم يكن ذلك ، فمـا أنكرتـم أنـه لا يجـوز أن يهـدي الكـافرين مـع قولـه تعـالى : ﴿ لا يهدي القوم الكافرين ﴾[٨٣١] البقرة : ٢٦٤ ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها .

مسألة : ويقال لهم : أليس قد قال الله تعالى : ﴿ أفرأيت مَن اتخذ إلهه هـواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشـاوة ﴾ الجاثية : ٢٣ ؟ فلا بد من نعم[٨٣٢] .

يقال لهم : فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا[٨٣٣] ؟

بنتيجة لا هنا ولا هناك ولم يقل بها أحد ! ويوهم بعد ذلك بأنه أفحم مخالفيه وانتصـر عليهـم ! ولـم يأت بشيء في واقع الأمر !

(٨٣٠) وهو هدى لغيرهم أيضاً كما قال تعالى ﴿ هدى للناس ﴾ فليس هذا محصوراً بالمؤمنين فقط !

(٨٣١) قوَّل خصومه وقوَّلنا ما لم نقل ! فنحن نقول بـأن اللـه يهـدي القـوم الكـافرين ﴿ فأمـا ثمـود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وبين اللـه تعـالى أنـه أنـزل القـرآن ﴿ هـدى للنـاس ﴾ أي ليهديهم ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سـنة الأوليـن أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾ الكهف : ٥٥ ، وقال تعالى ﴿ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ السجدة : ٢٣ .

(٨٣٢) هذا تأسيس من المصنف لقاعدة باطلة يريد أن يبنيَها على جرف هار ! أما الآية فمعناهـا : أن الله حكم عليهم بالضلال والختم والغشاوة لأجل كفرهم واتخاذهم الهوى إلهـاً ! وليـس معناهـا مـا يريد المصنف من أن الله منعهم الهدى ابتـداء وخلـق فيهـم الكفـر قسـراً وجـبراً فهـم لا يسـتطيعون الإيمان ولا فعل الطاعات ! قال تعالى ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتـى يبيـن لهـم مـا يتقون ﴾ فأخبرنا الله سبحانه أن لا يبتدىء عباده بالكفر والضلال فيرغمهم عليه إرغاماً وإنما يدعوهم إلى الهدى ويبين لهم الإيمان ويحضهم عليه كما يبين لهم الكفر ويحذرهم منه فإن أعرضوا عن هداه وعصوا وآذوا رسله وكفروا بهم ولم ينصروهم حكم عليهم بالضلال وأوصلهـم دار المضليـن عقابـاً لهم ! وهم في استمرارهم في الكفر والمعاصي كأنه مختـوم علـى قلوبهـم وكـأنهم لا يسـمعون ولا يعقلون ولا يبصرون !

(٨٣٣) لقد أضلهم لا ليهتدوا ولا ليضلوا لأن هذا سؤال مَنْ لا عقل له ! وحصر الجواب في أمريـن باطلين ـ ليس الجواب الصحيح فيهما ـ طريقة فاسدة لا يسلكها إلا هزيل في التفكير أو مغالط !

فإن قالوا أضلهم ليهتدوا(٨٣٤) .

قيل لهم : وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا(٨٣٥) ، وإن جاز هذا جاز أن يهديهم ليضلوا(٨٣٦) ، وإذا لم يجز أن يهدى المؤمنين ليضلوا(٨٣٧) ، فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا(٨٣٨) .

مسألة : ويقال لهم إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا(٨٣٩) ، فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعون(٨٤٠) وأن يصلحهم فلا ينصلحون ، وإذا جاز أن ينفع من

فمعنى أن الله أضلهم أي حكم عليهم بأنهم من أهل الضلالة فإن استمروا على هذا ولم يتوبوا وينيبوا كان مآلهم النار وبئس المصير !

<u>(٨٣٤)</u> فرضيات باطلة ! ومع بعدها أبطل منها !

<u>(٨٣٥)</u> لاحظوا كيف يؤسس باطلاً ويسأل سؤالاً عاطلاً ويجيب جواباً ساقطاً ! ويوهم بانتصاراته الخيالية ! ولا ثَمَّ خصم يقول بذلك !

<u>(٨٣٦)</u> ويستمر هذا المصنف في تجويزاته وتقريراته الباطلة ! فلا حول ولا قوة إلا بالله ! اللـه أعنا على كشف هذه التخبيصات والهذيان الذي ليس له خطام ولا زمام !

وهم لم يقولوا بجواز الأول حتى يتم جواز الثاني !! وهو يركِّب الجمل من كلمات لا يعي معناها وهي غير مفهومة ! وقد سلك مسلكه بعض المتكلمين وأصحاب الحواشي التائهين !!

<u>(٨٣٧)</u> ونجيبه على حسب تفكيره وعقيدته في الجبر فنقول : كم من مؤمن ضل بعد إيمانه ؟! فيكون حسب قاعدة المصنف هدى هذا المؤمن ليضل !! ﴿ وما كان الله ليضل قوماً ﴾ أي يحكم عليهم بالضلال ﴿ بعد إذ هداهم ﴾ أي بين لهم وأرشدهم وحذرهم !

<u>(٨٣٨)</u> ما بني على باطل فهو باطل !

<u>(٨٣٩)</u> يا ليت المصنف كان يتقي الله ويفهم العربية ولا يغالط !! لأن مخالفيه يقولون بأن الله هدى الكافرين أي أرشدهم ودعاهم وبين لهم الهدى فلم يهتدوا أي لم يؤمنوا ولم يتبعوا ما أنزل اللـه وما قالت لهم الرسل ! ومن التلبيس أن يجعل المصنف هدى الأولى بمعنى (فلم يهتدوا) الثانية ! ويبني على ذلك ترهات باطلة وأفكارٍ غير صحيحة !

<u>(٨٤٠)</u> هنا الانتفاع الأول بمعنى الانتفاع الثاني وهنا تكمن المغالطة من المصنف ! وهم لم ينكروا أن الله ينفعهم فلا ينتفعون ! ولكن إن كان معنى الكلام أن الله إذا أراد أن ينفعهم عنوة وقسراً وقهراً

لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أن يضر من لا تلحقه المضرة[٨٤١] ، فإن كـان لا يضـر إلا من يلحقه الضرر فكذلك لا ينفع إلا منتفعاً ، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعاً ، ويهدى من ليس مهتدياً ؛ جاز أن يقدر من ليس مقتدراً ، وإذا استحال ذلـك اسـتحال أن ينفـع من ليس منتفعاً ، ويهدى من ليس مهتدياً[٨٤٢] .

مسألة يسألون عنها :

يقولـون : أليـس قـد قـال اللـه تعـالى : ﴿ شـهر رمضـان الـذي أنـزل فيـه القـرآن هـدى للنـاس وبينـات ﴾ البقـرة : ١٨٥ فمـا أنكرتـم أن يكـون القـرآن هدى للكافرين والمؤمنين .

قيل لهم : الآية خاصة[٨٤٣] ؛ لأن الله تعالى قد بين لنا أنه هدى للمتقيـن[٨٤٤] ، وخبرنا أنه لا يهدى الكافرين[٨٤٥] ، والقرآن لا يتناقض[٨٤٦] ، فوجب أن يكون قولـه :

فلا راد لذلك والله يفعل ما يريد !

(٨٤١) جمل فارطة لا تستحق جواباً ! لأنها دالة على أن قائلها يصوغ الكلام بلا عقل !! وهـل هـذا توحيد وعقائد صالحة وواضحة يقابل بها الناس ؟!

(٨٤٢) كـلام لا يسـتحق جوابـاً ! فعرضـه وقراءتـه كـاف فـي سـقوطه ! وجلـه مبنـي علـى الأفكـار المشـتركة والمعـاني المتضاربـة والمتخالفـة فيمـا بينهـا ! وهـذا مِثْـلُ مُعَلِّـل العليـة في معلولية التعليل للتعلل !

ويا حسرتاه على من يظن هذا الكلام شيئاً فيتعب عقله في تحليله وتأويله وشرحه وهو هراء فارغ !

(٨٤٣) هـذا تخصيـص بـاطل بغـير دليـل ! والأدلـة التـي يدعيهـا للتخصيـص لا دلالـة فيهـا علـى التخصيص ! والعقلاء جميعاً يعرفون أن الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل رحمـة للنـاس جميعـاً من كافر ومؤمن ! ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالَمين ﴾ وقد فسَّر العلماء (العالَمين) بالإنس والجن ولم يخصصوا المسلمين دون الكافرين !

(٨٤٤) ولم يخبر بأنه ليس هدى لغير المتقين ! وذكر الشيء لا ينفي ما عداه !

(٨٤٥) هذا باطل فإن الله تعالى يقول ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهـدى ﴾ وقـال تعـالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ !

(٨٤٦) نعم لا يتناقض إلا حسب مفاهيم وقواعد المصنف !

﴿ هدى للناس ﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين[٨٤٧] .

مسألة : فإن قال قائل : أليس قد قال الله تعالى ﴿ إنّما تنذر من أتبع الذكـر ﴾ يس : ١١ ، وقال تعالى : ﴿ إنما أنت منذر من يخشـاها ﴾ النازعـات : ٤٥ وقـد أنـذر النبـي صلى الله عليه وسلم من اتّبع الذكر ومن لم يتبع ، ومن خشى ومَن لم يخش ؟

قيل له : نعم .

فإن قالوا : فما أنكرتم أن يكون قوله تعالى : ﴿ هدى للمتقيـن ﴾ أراد بـه هـدى لهم ولغيرهم ؟

قيل لهم : إن معنى قول الله تعالى : ﴿ إنما ينذر من اتبع الذكر ﴾ يس : ١١ إنمـا أراد به ينتفع بإنذارك مَن اتبع الذكر ، وقوله تعالى : ﴿ إنما أنت منـذر مـن يخشـاها ﴾ أراد أن الإنذار ينتفع به مَن يخشى الساعة ، ويخاف العقوبة فيها ، على أن اللـه تعـالى قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين ، فقال : ﴿ إن الذين كفروا سـواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ البقرة : ٦ وهذا هو خبر عن الكافرين ، وقـال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء : ٢١٤ ، وقال تعـالى : ﴿ أنذرتكـم صاعقـة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فصلت : ١٣ وهذا خطاب للكافرين .

فلمّا أخبر الله تعالى في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين ، كما أخبر في آيـات من القرآن أنه أنذر من يخشاها ، وأنذر مَن اتبع الذكر ؛ وجب بالقرآن أن الله قـد أنـذر المؤمنيـن والكـافرين[٨٤٨] ، فلمـا أخبرنـا اللـه أنـه هـدى للمتقيـن وعمـى علـى الكافرين[٨٤٩] ، وخبرنا أنه لا يهدى الكافرين ؛ وجب أن يكون القـرآن هـدى للمتقيـن

---

(٨٤٧) لم يجب ذلك لما قدمناه من الآيات وغيرها !

(٨٤٨) إلى هنا اضطر المصنف أن يعترف بالواقع الصحيح !!

(٨٤٩) يبطل هذا التقرير قوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمـى علـى الهـدى فـأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسـبون ﴾ فصِّلَـت : ١٧ . فالرسـل والكتـب هـدى اللـه للكـافرين ولكنهم أعرضوا عن هذا الهدى واستحبوا العمى الذي هو الكفر !

وأما قوله تعالى ﴿ ولو جعلناه قرءاناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت ءاياته ءأعجمي وعربي قل هو للذيـن

دون الكافرين(٨٥٠) .

مسألة : وإن سأل سائل : عن قول الله تعالى : ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فصلت : ١٧ فقال : أليس ثمود كانوا كافرين وقد أخبر الله تعالى أنه هداهم .

قيل له : ليس الأمر كما ظننت . والجواب في هذه الآية على وجهين :

أحدهما : أن ثمود كانوا فريقين مؤمنين وكافرين ، وهم الذين أخبر الله أنه نجاهم مع صالح صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ هود : ٦٦ فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين ؛ لأن الله تعالى قد بين لنا في القرآن أنه لا يهدى الكافرين ، والقرآن لا يتناقض ، بل يصدق بعضه بعضاً ، فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين ، ثم خبر في موضع آخر أنه هدى ثمود ، علمنا أنه إنّما أراد المؤمنين من ثمود ، دون الكافرين(٨٥١) .

ءامنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في ءاذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ فصلت : ٤٤ فليس القرآن هو العمى لأن الله تعالى أخبر بأنه (هدى للناس) وإنما الوقر الذي في آذانهم أعماهم عن فهم الهدى واتّباعه ! وهذا كناية عن إرادتهم للشر والإعراض والكفر !

قال تعالى ﴿ أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم **فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة** فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن ءاياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ الأنعام : ١٥٧ فهذه الآية تقرر أن هدى الله وصل إليهم وهو في حقهم هدى ولكنهم تعاموا عنه ! فيجب فهم المتشابهات وردها إلى المحكمات !

(٨٥٠) ليس كذلك ! وآيات القرآن التي ذكرناها تكذب المصنف ! فلم يجب ما ادَّعاه المصنف البتة ! بل هو قول باطل عاطل !!

(٨٥١) تحليل مردود باطل وغير مستساغ ! كيف يقول عن المؤمنين استحبوا العمى على الهدى ؟! وقد شنع ابن حزم في هذا على الأشعري في « الفصل في الملل والنحل » (٣/ ٤٣-٤٦) ومن جملة كلامه هناك : [وقال بعض من يتعسف القول بلا علم إن قول الله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وقوله

والوجه الآخر : أن الله عز وجل عنى قوماً من ثمود كانوا مؤمنين ثم ارتدوا ، فأخبر أنه تعالى هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان ، وكانوا في حال ما هداهم مؤمنين(٨٥٢) .

فإن قال قائل معترضاً في الجواب الأول : كيف يجوز أن يقول : فهديناهم ويعنى المؤمنين من ثمود ، ويقول : فاستحبوا ويعنى الكافرين منهم وهم غير مؤمنين ؟

يقال له : هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول : فهديناهم ويعني المؤمنين من ثمود ، ويقول : فاستحبوا ويعني الكافرين منهم ، وقد ورد القرآن بمثل هذا ، قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ الأنفال : ٣٣ يعني الكافرين ، ثم قال تعالى : ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ الأنفال : ٣٣ يعني المؤمنين(٨٥٣) ، ثم قال تعالى : ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾ الأنفال : ٣٤ يعني الكافرين ، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس والمراد به جنسان ، فبطل ما أعترض به ودل على جهله(٨٥٤) .

تعالى ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ وقوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ إنما أراد الله تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة ... وهذا باطل من وجهين :

أحدهما تخصيص الآيات بلا برهان ، والثاني أن نص الآيات يمنع من التخصيص ولا بُدَّ] .

(٨٥٢) كلام باطل لا دليل عليه !!

(٨٥٣) كلام غير صحيح ولا مُسَلَّم ! قال الحافظ اللغوي أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣١٢) : [والظاهر أن هذه الضمائر كلها في الجمل عائد على الكفار وهو قول قتادة] !!

(٨٥٤) بل دل على جهل المصنف ! فهو لم يأت بشيء قاطع في ذلك لأن المفسرين مختلفين في عود الضمير على مَنْ والراجح عوده على الكفار من اللغة والسياق وهو قول لابن عباس ! والمصنف من أجهل الناس باللغة وبالقرآن فهو يدعي أن (أيدٍ) ليست جمع يد !!

الباب العاشر

ذكر الروايات في القدر

روى معاوية بن عمرو ، ثنا زائدة ، قال : ثنا سليمان الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله الملك ، قال : فيؤمر بأربع كلمات ، يقال : أكتب أجله ، ورزقه ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح »[(٨٥٥)] .

قال صلى الله عليه وسلم : « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[(٨٥٦)] . لا حرمنا الله منها .

<u>(٨٥٥)</u> لا يصح رواه البخاري ومسلم ؛ تخريجه في الحاشية التالية .

<u>(٨٥٦)</u> هذا حديث باطل مردود ! رواه البخاري (٣٢٠٨و٣٣٣٢و٦٥٩٤و٧٤٥٤) ومسلم (٢٦٤٣) وغيرهما تفرَّد به زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال يعقوب بن سفيان الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٢/ ٧٦٩) : « ولكن حديث زيد به خلل كثير » وقد كتم المزي هذا في « تهذيب الكمال » (١٠/ ١١١) فلم يُظهره وذكره الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٣/ ٣٦٨) وكتاب ابن حجر أنفع من كتاب المزي ، لكن التعليقات التي على تهذيب الكمال جعلته اليوم مقدماً لأجلها ! ومحاولات الذهبي في الدفاع عن زيد بن وهب في « الميزان » محاولات غير مجدية ولا نافعة بل هي فاشلة ! ومما يفيدنا من كلام الذهبي في « الميزان » قوله هناك : « ولا نفتح علينا في زيد بن وهب خاصة في باب الاعتزال فردوا حديثه الثابت عن ابن مسعود » !! فهذا ينبىء بأن الحديث رُدَّ قديماً ! وهو غير ثابت حقيقة !

وله سند آخر منقطع ضعيف من رواية عامر بن عبد الله بن مسعود ولم يثبت له سماع من أبيه !

فهذا الحديث من الإسرائيليات بلا ريب إذ فيه أن العبد مُلْجَأٌ ومُكْرَهٌ وأن الكتاب إذا سبق عليه فإنه

وروى معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتج آدم وموسى صلوات الله وسلامه عليهما ، فقال موسى عليه السلام : يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة ، قال : فقال آدم صلى الله عليه وسلم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلماته ، تلومني على عمل كتبه الله على قبل أن يخلق الله السموات ، قال : فحج آدم موسى »(٨٥٧) .

وروى حديث (حج آدم موسى) مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون : إن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون ؛ لأن الله تعالى إذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيء لا يعلمه ، جل عن ذلك وتقدس .

وقال تعالى : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا

يغير حاله ويضيع عمله ! والله تعالى يقول ﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ وهذا يبين أن العبد يدخل الجنة والنار بالكتاب الذي سبق عليه لا بعمله وهذا باطل من القول !

والذي يثبت أنه من باب الإسرائيليات أنه روي من طريق شُفَي بن ماتع عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ أكبر رواة الإسرائيليات ـ عند الترمذي (٢١٤١) حديث الكتابين أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوماً ومعه كتابان أحدهما فيه أسماء أهل النار والثاني فيه أسماء أهل الجنة .... !! وشفي بن ماتع عندي يهودي كذاب ! وماتع اسم يهودي ! واسم كعب الأحبار كعب بن ماتع !! وابن شُفَي هذا روى عن تُبيع الحميري ابن امرأة كعب الأحبار ! ومن هنا تعلم الاتصال المباشر لهذه الأفكار بالفكر اليهودي !

وشُفَي لا يُعْرَف مَنْ هو جده ولا نسبه وقد نسبه بعضهم إلى الأصبحي تغطية على حقيقة أصله !

(٨٥٧) هذا مما تفرَّد به أبو هريرة وهو عندنا مما أخذه عن أهل الكتاب ككعب ! وفي لفظه في البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) أن سيدنا موسى عليه السلام قال لسيدنا آدم عليه السلام : « أنت أبونا آدم خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ؟! » !! وهذا لا يليق من نبي أن يخاطب نبياً هو أبوه بمثل هذا الكلام ! ويعني هذا أن سيدنا موسى كان لا يفهم ولا يعلم أن الأمر مقدَّر !

رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾[٨٥٨] الأنعام : ٥٩ ، وقال تعالى : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾[٨٥٩] هود : ٦ وقال تعالى : ﴿ أحصاه الله ونسوه ﴾[٨٦٠] المجادلة : ٦ ، وقال تعالى : ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عداً ﴾ مريم : ٩٤ وقال تعالى : ﴿ أحاط بكل شيء علماً ﴾ الطلاق : ١٢ ، ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾ الجن : ٢٨ ، وقال تعالى : ﴿وهو بكل شيء عليم ﴾[٨٦١] البقرة : ٢٩ ، فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها .

وقد أخبر الله تعالى أن الخلق يبعثون ويحشرون ، وأن الكافرين في النار يخلدون ، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يخلدون ، وأن القيامة تقوم ولم تقم القيامة بعد ، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون ، وقد قال تعالى في أهل النار : ﴿ ولو ردوا لعادوا ﴾ الأنعام : ٢٨ فأخبر عما لا يكون أنه لو كان كيف يكون ، وقال تعالى : ﴿ فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ طه : ٥٢ ، ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلم بعد تقضيته ، تعالى الله عن قول الظالمين علواً كبيراً[٨٦٢] .

وروى معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن سليمان الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عبدالله بن رُبَيِّعَة ، قال : كنا عند عبد الله ، قال : فذكروا رجلاً فذكروا من خلقه ، قال فقال القوم : أما له من يأخذ على يديه ؟

---

(٨٥٨) ليس في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أرغم العباد على أفعالهم وأجبرهم وخلق فيهم الفعل ! فإيراد المصنف آيةً فيها ذكر الكتاب ما هو إلا تمويه على الناس !

(٨٥٩) وكذلك هذه الآية الكريمة ليس فيها استدلال لما يريد المصنف !

(٨٦٠) الإحصاء والعد والعلم بالخلق لا يقتضي عقيدة الجبر التي يدعو إليها المصنف !

(٨٦١) من المضحك حقاً أن يستدل المصنف بمثل هذه الآية على الجبر الذي يدعو له ! لأن العلم لا يقتضي الإكراه عند العقلاء والمصنف فيما يظهر ليس منهم !!

(٨٦٢) كلام لا علاقة له بالموضوع ! وهذا أمر اتفق عليه المسلمون ! راجع « شرح الأصول الخمسة » للقاضي عبد الجبار ص (١٦٠) .

قال عبد الله : أرأيتم لو قطع رأسه كنتم تستطيعون أن تجعلوا له رأساً ؟ قالوا : لا .

قال عبد الله : إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوماً ، ثم انحدرت دماً ، ثم تكون علقة مثل ذلك ، ثم تكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث ملك فيقول : أكتب أجله ، وعمله ، ورزقه ، وأثره ، وخلقه ، وشقي أو سعيد ، وأنكم لن تستطيعوا أن تغيّروا خلقه حتى تغيروا خلقه[(٨٦٣)] .

وروى معاوية بن عمرو ، قال : ثنا زائدة ، عن سعيد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه ، قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ونحن حوله ، ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه ، فقال : « ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » ، فقال رجل من القوم : يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى الشقاوة ، فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما أهل الشقوة فميسرون لعمل الشقوة ، وأما أهل السعادة فميسرون لعمل السعادة » ، ثم قال : ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾[(٨٦٤)] الليل : ٥-١٠ .

---

(٨٦٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٧٨) وهو موقوف وشاذٌّ متناً ! فهذا قول لعبد الله بن مسعود موقوف عليه ! فإن صح عنه فلا حجة فيه لأن قول الصحابي ليس بحجة ! والظاهر أن زيد بن وهب رفعه وهو موقوف في الرواية التي سبقت عند البخاري ومسلم وغيرهما ! وهذا من جملة الخلل الذي وقع في رواية زيد بن وهب الذي صرَّح به الفسوي حيث قال : (في حديثه خلل كثير) كما تقدَّم !

(٨٦٤) رواه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٥٣٨) وغيرهما ، وليس فيه ما يدَّعيه المصنف من الجبر وخلق الأفعال !! وإنما فيه :

١- أن الله يعلم موضع الإنسان من الجنة والنار قبل أن يخلقه فيعلمه سبحانه علماً قديماً !

٢- أن كل إنسان يعلم الله تعالى أنه شقي أو سعيد ! وعبَّر عنه بلفظ (كتب) أو (كتبت) ولا يقتضي الكَتْب الإكراه والجبر وإنما يدل على العلم كما قال تعالى ﴿ وما تسقط من ورقة **إلا يعلمها**

وروى موسى بن إسماعيل قال : ثنا حماد ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله عنها ، وعن أبويها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، وإنه مكتوب في الكتاب من أهل النار ، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار ، فمات فدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وأنه مكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة ، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة ، فمات فدخل الجنة »[٨٦٥] .

وهذه الأحاديث تدلّ على أن الله تعالى علم ما يكون أنه يكون وكتبه ، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار[٨٦٦] ، وخلقهم فريقين فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير[٨٦٧] ، وبذلك نطق كتابه العزيز ؛ إذ يقول : ﴿ فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم

ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس **إلا في كتاب مبين** ﴾ ! فالكتب والكتابة وكون الشيء مكتوباً لا يدل على الجبر والإكراه الذي هو عقيدة المصنف فبطل كلامه واستدلاله !

٣- ولا أدل على ذلك من الآية الكريمة التي جاءت في الحديث والتي فيها : أن من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى التي هي لا إله إلا الله فسيدخله الله تعالى إلى الجنة والعكس بالعكس ! وقد بيَّن الله تعالى فيها أن دخول الجنة هي بعمل الإنسان المختار الصادر عنه بمنتهى حريته وإرادته وإلا لما صح الثواب والعقاب .

فليس في الحديث ولا في الآية دلالة على عقيدة المصنف الباطلة في الجبر .

(٨٦٥) ضعيف . رواه أحمد (٦/ ١٠٧) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٣١٢) وأبو يعلى (٨/ ١٢٨) وفي إسناده حماد بن سلمة وهو عندنا ضعيف غير مستقيم الحديث وخاصة في أبواب التوحيد والعقائد والإيمان وقد بينَّا ذلك في كثير من كتبنا وتعليقاتنا ! والمعروف أن هذا من حديث ابن مسعود من رواية زيد بن وهب عنه في الصحيحين وفي حديث زيد خلل كثير كما قال الفسوي وتقدَّم ، وقد روي موقوف عن ابن مسعود (الطبراني في الكبير ٩/ ١٧٨) فصيره الرواة فيما أرى مرفوعاً !

(٨٦٦) إلى هنا أصاب الحقيقة وما بعده باطل مردود !

(٨٦٧) هذا كلام باطل لأنه يريد به أن الله تعالى خلق طائفة لأهل النار جبراً وإكراهاً لا يستطيعون أن يعملوا بخلاف ذلك وكذلك طائفة للجنة لا يستطيعون إلا أن يعملوا الصالحات أو يختموا

الضلالة ﴾[٨٦٨] الأعراف : ٣٠ ، قال تعالى : ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾[٨٦٩] الشورى : ٧ ، وقال تعالى : ﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾[٨٧٠] هود : ١٠٥ فخلق الله الأشقياء للشقاء ، والسعداء للسعادة ، وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾[٨٧١] الأعراف : ١٧٩ .

ورويَ عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل جعل للجنة أهلاً وللنار أهلاً »[٨٧٢] [**أعاذنا الله منها**][٨٧٣] .

أعمارهم بالصالحات !

(٨٦٨) أي فريقاً هداهم إلى الجنة بأعمالهم الاختيارية وليس قسراً ولا جبراً ، وفريقاً حق عليهم العذاب بعصيانهم الاختياري ! وهذه كنايات واضحة !

(٨٦٩) هذه الآية الكريمة لا يصح للمصنف أن يستدل بها على مراده لأن جميع المذاهب والعلماء متفقون على أن الناس سيصيرون إلى فريقين فريق إلى الجنة وهم المتقون بمحض اختيارهم وفريق إلى النار وهم العصاة والمجرمون بمحض أعمالهم الاختيارية !

(٨٧٠) اختياراً لا جبراً أي بأعمالهم ! فالآية ليست دليلاً للمصنف !

(٨٧١) لا يتم له الاستدلال بهذه الآية الكريمة كما سبق !

لو قال الحاكم أو قائد الشرطة (لقد أعددنا السجون لكثير من المجرمين) فهل يكون هو مكره وآمِرٌ لهم على فعل الجريمة ومحرِّض عليها وخالقها ؟! أم يكون هذا النص يعبِّر عن الزجر والترهيب من اقتراف ما يؤدِّي إليها ؟! وقد قال سبحانه ﴿ وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ﴾ فلم يخلقهم للنار وإنما خلقهم ليطيعوه ويدخلوا جنته !!

وهذا مثل قوله تعالى ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحَزَناً ﴾ وإنما التقطوه ليكون لهم فرحاً ومسراً وإنما كان عاقبة أمره معهم ما ذكره ، وهذا معروف في لغة العرب ! لكن المصنف يجهله أو يتعامى عنه !

(٨٧٢) حديث باطل ! رواه مسلم في الصحيح (٢٦٦٢) وروى أيضاً ما يخالفه ! والقرآن يخالف هذا ! وفي إسناده عند مسلم وغيره طلحة بن يحيى وهذا الحديث أنكروه عليه كما في « ضعفاء العقيلي » (٢/ ٢٢٦) والميزان للذهبي . ولنذكر هذا الحديث كما رواه مسلم لتعرفوه وتدركوا وجه بطلانه :

[عن عائشة أم المؤمنين قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار ، فقلت يا رسول الله : طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ،

دليل آخر في القدر : ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله تعالى : ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾[٨٧٤] الأعراف : ١٧٢ .

وجاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر ، ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم))[٨٧٥] ؛ لأنه قال تعالى : ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى

قال : ((أَوَ غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم] .

فهذا فيه أن الأطفال قد يكونوا من أهل النار وهذا خلاف ما هو مقرر ومقطوع به من أن النار لا يدخلها إلا الكفار والعصاة ! قال النووي في ((شرح مسلم)) (٢٠٧/١٦) : [أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً **وتوقَّف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا**] !! ولا يحتاج هذا لأن نعرض الأحاديث التي تبطل هذا الحديث إذ يكفي أنه معارض لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح ((رفع القلم عن ثلاثة)) وذكر منهم ((الصبي حتى يبلغ)) وهو حديث صحيح رواه أحمد وغيره .

(٨٧٣) هذه الجملة زيادة ناسخ كما أظن فانتبه لها ولمثلها .

(٨٧٤) استدلال المصنف بهذه الآية على عالم الذر الذي سيورده في الحديث التالي استدلال فاسد والأحاديث التي في هذا المعنى كلها باطلة مردودة وهي من جملة الإسرائيليات الواردة عن كعب الأحبار وعبدالله بن عمرو بن العاص وابن عباس الذي روى أمثال هذا عن كعب !! والله تعالى ذكر أنه أخذ من (بني آدم) وليس من (آدم) عليه السلام !! وقد بينا ذلك موسعاً في الكلام على الميثاق في ((صحيح شرح الطحاوية)) وصرح به الحافظ أبو حيان في تفسيره ((البحر المحيط)) (٢١٨/٥) وبين أن ظاهر هذا الحديث على اختلاف رواياته ينافي ظاهر الآية !! وهذا عندنا موجب لبطلانه بلا مثنوية !!

(٨٧٥) موضوع وخرافة إسرائيلية . ويتنزه الله تعالى أن يمسح بيده ظهر سيدنا آدم ، وعلى هذه الخرافات لا يستبعد وضع يده تعالى على ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين كتفيه حتى يجد بردها بين ثدييه ، وعليه تكون يده تعالى بحجم ما بين كتفي الرسول وظهر سيدنا آدم عليهما السلام ! وإذا لم تكن هذه خرافات فليس على وجه الأرض خرافات !

شهدنا ﴾ ، قال الله تعالى : ﴿ أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غـافلين ﴾ الأعراف : ١٧٢ فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم[٨٧٦] صلـى اللـه عليـه وسـلم حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كـانوا عرفـوه فـي الـذر الأول[٨٧٧] ، ثـم مـن بعـد

والحديث روي من حديث مسلم بن يسار الجهني عـن عمـر بـن الخطـاب مرفوعـاً رواه مـالك فـي الموطأ (١٦٦١) والترمذي (٣٠٧٥) وابن حبان (١٤/ ٣٨) وقد بيَّن الحفاظ أنه منقطع بين مسلم بـن يسار وعمر بن الخطاب ، ممن بَيَّنَ ذلك الترمذي هناك ، والحـافظ ابـن عبـد البـر فـي ((التمهيـد)) (٦/ ٣) وغيره ، وروي من حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٢٥١-٢٥٢ و ٢٩٩ و ٣٧١) وغيره وفيه علي بن زيد بن جُدْعَان ضعفوه ، ويوسف ابن مهران ، وثقه أبو زرعة وابن سعد وفيه جهالة ولذا قال الحافظ في التقريب : ((لين الحديث)) .

وروي من حديث أبي هريرة وهو أقواها رواه الترمذي (٣٠٧٨) وأبـو يعلـى (١١/ ٢٦٤) و (١٢/٨-٩) ، وغيرهما ، وذكره ابن أبي حاتم في ((العلل)) (٢/ ٨٧) لكن لم يبين فيه ضعـف ولا علـة ومـع هـذا فأقول بأن إيراده في العلل من حديث أبي هريرة يبين أنه له علة خفية ، وعلى كل حـال فأنـا أبيِّـن مـا عندي من علة هذا الحديث وهي :

أن الترمذي (٣٣٦٨) وابن حبان (١٤/ ٤١/ ٦١٦٧) وغيرهما روياه من حديث أبي هريرة وليـس فيـه مسح الظهر ولكن في الحديثين من الشنائع ما الله به عليم ! وها أنا ذا أذكر جـزءاً مـن هـذه الروايـة التي ليس فيها ذكر مسح الظهر وأضع تحت مستشنع كلماتها خطاً ليدركه القارىء اللبيـب نـاقلاً لهـا من صحيح ابن حبان : [لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس .... فقال له ربه : يرحمـك ربـك ؛ يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فسلِّم عليهم ؛ فقال : السلام عليكم ، فقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله ، **ثم رجع إلى ربه** ؛ فقال : هذه تحيتك وتحية بنيـك بينهـم ، وقـال اللـه جل وعلا **ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت** ، فقـال : **اخـترت يميـن ربـي وكلتـا يـدي ربـي يميـن** مباركة ، **ثم بسطهما فإذا فيهما آدم وذريته** ، فقال : أي رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك فـإذا كـل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه] .

أقول : تعالى الله عن هذا التجسيم الصريح والهراء القبيح وتنزه سيدنا رسول اللـه صلـى اللـه عليـه وآله وسلم أن ينطق بهذا ! وأنا أجزم بأن هـذا حديـث إسـرائيلي منقـول عـن أهـل الكتـاب مـن الكتـب المحرفة .

(٨٧٦) هذه خرافة كما تقدم مبنية على حديث موضوع !!

(٨٧٧) يبني كلامه وعقيدته وحججه على خرافات ويصدقها !! وكله كلام فاسد لما بيَّناه !!

الإقرار جحدوه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنه سبحانه وتعالى قبض قبضة للجنة ، وقبض قبضة للنار ، ميز بعضها من بعض ، فقلبت الشقوة على أهل الشقوة ، والسعادة على أهل السعادة »(٨٧٨) .

قال الله تعالى مخبراً عن أهل النار ـ أعاذنا الله منها ـ أنهم قالوا : ﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ﴾ المؤمنون : ١٠٦ ، فكل ذلك أمر قد سبق في علم الله تعالى ، ونفذت فيه إرادته ، وتقدمت فيه مشيئته(٨٧٩) .

وروى معاوية بن عمرو قال : ثنا زائدة ، قال : حدثنا طلحة بن يحيى القرشي ، قال : حدثتني عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبويها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعى إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه ، فقالت عائشة رضي الله عنها : طوبى لهذا يا رسول الله ، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءاً ولم يدركه ، قال : « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله تعالى قد جعل للجنة أهلاً وهم في أصلاب آبائهم ، وللنار أهلاً جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم »(٨٨٠) .

---

(٨٧٨) حديث القبضة هذا مروي بألفاظ مختلفة منها : عند أحمد (٤/ ١٧٦) و (٥/ ٦٨) من حديث رجل مجهول يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! وفي السند حماد بن سلمة وهو أصل الطامات ، والجريري اختلط بأَخَرَة ، ثم الصحابي مبهم وقد يكون غير صحابي ، والإبهام يدل على خلل فيه ! ورواه أبو يعلى (٦/ ١٤٤) وابن أبي عاصم في سنته (١/ ١١١) عن أنس بن مالك بسند واهٍ ، وأورده ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٢٠٦) .

(٨٧٩) استنتاج غير صحيح لأن الآية الكريمة لا تدل على الجبر ! وقوله عز وجل ﴿ غلبت علينا شقوتنا ﴾ كناية على أن الإنسان استرسل في المعاصي والآثام وأعرض عن توحيد الله فغلب شره على خيره !!

(٨٨٠) رواه مسلم في الصحيح (٢٦٦٢) وروى أيضاً ما يخالفه ! والقرآن يخالف هذا ! وفي إسناده عند مسلم وغيره طلحة بن يحيى وهذا الحديث أنكروه عليه كما في ضعفاء العقيلي (٢/ ٢٢٦) والميزان للذهبي . ولنذكر هذا الحديث كما رواه مسلم لتعرفوه وتدركوا وجه بطلانه :

[عن عائشة أم المؤمنين قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنازة صبي من

وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها ، والشقاء قد سبق لأهله[٨٨١] . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[٨٨٢] .

دليل آخر :

وقد قال الله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾[٨٨٣] الكهف : ١٧ ، وقال تعالى : ﴿ يضل به كثيراً ويهدي به

الأنصار ، فقلت يا رسول الله : طوبى لهذا ، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، قال : « أَوَ غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم] .

فهذا فيه أن الأطفال قد يكونوا من أهل النار وهذا خلاف ما هو مقرر ومقطوع به من أن النار لا يدخلها إلا الكفار والعصاة ! قال النووي في شرح مسلم (١٦/٢٠٧) : [أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لأنه ليس مكلفاً **وتوقف فيه بعض مَنْ لا يُعْتَدُّ به** لحديث عائشة هذا] !! ولا يحتاج هذا لأن نعرض الأحاديث التي تبطل هذا الحديث إذ يكفي أنه معارض لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح « رفع القلم عن ثلاثة » وذكر منهم « الصبي حتى يبلغ » .

(٨٨١) هذه نظرية غير صحيحة إن كان يقصد بها التقدير والقضاء أي الإكراه والإجبار على الفعل وعدم القدرة على الفعل الآخَر ! أما بمعنى العلم وأن الله يعلم مَنْ هو الشقي ومن هو السعيد قبل أن يوجد ويُخْلَق فهذا لا ريب فيه ! فالله تعالى بكل شيء عليم ! وعلم الله تعالى بالأمور لا يقتضي الجبر والإكراه فيها !

(٨٨٢) رواه البخاري (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) ولا حجة فيه لمذهب الجبرية كما قدَّمناه !

(٨٨٣) قد تقدم أن معنى الآية هو ما جاء في « تفسير الطبري » (١٥/٢١٣) :

[وقوله ﴿ من يهد الله فهو المهتد ﴾ يقول عز وجل : مَنْ يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه فهو المهتدي ، يقول : فهو الذي قد أصاب سبيل الحق .

﴿ ومن يضلل ﴾ يقول : ومن أضله الله عن آياته وأدلته فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد ﴿ فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ يقول فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفاً يرشده لإصابتها] .

فليس في هذا أن معنى هداهم خلق فيهم الهداية بحيث لا يستطيعون أن يفعلوا خلافها كما يزعمه المصنف الداعي لبدعة الجبر !

كثيراً ﴾[٨٨٤] البقرة : ٢٦ ، فأخبر تعالى أنه يضل ويهدي ، وقال تعالى : ﴿ ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾[٨٨٥] إبراهيم : ٢٧ ، فأخبرنا أنه ﴿ فعال لما يريد ﴾ البروج : ١٦ وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله ، وقدَّرَه ، وأحدثه ، وأنشأه ، واخترعه ، وقد تبين ذلك بقوله تعالى : ﴿ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ الصافات : ٩٥-٩٦ **فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقاً لله تعالى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ الأحقاف : ١٤ يريد أنه تعالى يجازيهم على أعمالهم ، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن ، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله ، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم ؟**[٨٨٦] فمن زعم ذلك فقد

(٨٨٤) القرآن كتاب هداية وليس كتاب للإضلال ! ومعنى الآية أن الناس يحكم عليهم بهذا القرآن أنهم يقسمون إلى مهتدٍ وضال ! فمن آمن به وعمل بما فيه فهو المهتدي ، ومن كفر وأعرض ولم يعمل بما فيه فهو الضال ! وهذا من مجاز اللغة التي لا يفهمها أمثال المصنف !

(٨٨٥) معنى قوله تعالى ﴿ ويضل الله الظالمين ﴾ أي يعاقبهم على ظلمهم ! أو يحكم عليهم بأنهم ضالون لظلمهم !

(٨٨٦) هذه الجمل التي بالأسود الواضح والتي تحتها خط خطيرة جداً ! فيها التصريح بأن العباد لا يفعلون لأنفسهم ! وقد عدَّ هذا المصنف في « مقالات الإسلاميين » (١/ ٣٣٨) مما تفرَّد به الجهم وحده فقال هناك :

[ذكر قول الجهمية : ما تفرَّد به جهم : الذي تفرَّد به جهم : .... وأنه لا فعل في الحقيقة إلا لله وحده وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس ، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سبحانه ...] !!

والمصنف بهذا الكلام المتقدم يقول بقول جهم الذي لم يثبت عنه ! ومعنى هذا أننا نحن لا نفعل شيئاً وإنما الفاعل لذلك هو الله تعالى وليس لنا الإ الاختيار والكسب ! مع أن هذا الاختيار والكسب أيضاً مخلوق لله تعالى !! لأن الله تعالى يقول ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ .

وهذا يقتضي عنده أنه خلق الخاطر والهم في عقولهم وخلق الفعل وأرضى الناس بالكسب الذي ليس له وجود ولا يمكن أن يفهم ! بل هو الجبر الصرف !

عجّز الله(٨٨٧) . تعالى الله عن قول المعجِّزين له علواً كبيراً .

ألا ترى أن مَنْ زعم أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الله عز وجل لكان قد أعطاهم من العلم ما لم يدخله في علم الله(٨٨٨) ، وجعلهم لله نظراء ، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويقدّرون ما لم يقدره(٨٨٩) ، ويقدرون على ما لم يقدر عليه ، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن(٨٩٠) ، تعالى عن قول أهل الزور والبهتان ، والإفك والطغيان علواً كبيراً(٨٩١) .

مسألة : ويقال لهم : هل فعل الكافر الكفر فاسداً باطلاً متناقضاً ؟

فإن قالوا : نعم . قيل لهم : وكيف يفعله فاسداً متناقضاً قبيحاً ، وهو يعتقده حسناً صحيحاً أفضل الأديان ؟

وتغافل عن قول الله تعالى ﴿ وتخلقون إفكاً ﴾ كما تغافل عن قول الله تعالى ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وقد قدَّمنا أن ابن تيمية حكم على المصنف أنه اتبع جهماً في هذه الأمور ! انظر الفتاوى (١٧/ ٥٣٠و١٦/ ١٦٦) !

(٨٨٧) هذا إلزام باطل واتهام عاطل ! وفرية بلا مرية ! لا أحد من أهل التوحيد سواء المعتزلة أو غيرهم يقول بهذا ويصف الله تعالى بالعجز بل كلهم مُقِرُّون بأن الله تعالى على كل شيء قدير ! وكلهم يقولون بأن الله جعل العباد مختارين وأقدرهم على الفعل فالله قدَّر أن يكونوا مختارين وأعطاهم القدرة والإرادة والاستقلال بالفعل وجعل هذا ابتلاء لهم ! وكلهم يعلمون ويؤمنون بأن الله لو شاء لأجبرهم على الهدى وجعلهم أمة واحدة ولكن شاء وأراد وقدر غير ذلك وهو ما قدَّمناه ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ !!

(٨٨٨) ما شاء الله ! أعجب من هذه التخريفات التي ليس لها خطام ولا زمام !! يتوهم ويتخيل أن من المسلمين من يعتقد أن العباد يعلمون ما لا يعلمه الباري سبحانه ! وهذا إن نُقِلَ عن بعض الناس فهو محض كذب وافتراء عليهم !

(٨٨٩) ليس كذلك !! وهذا تلبيس وتمويه مذموم !

(٨٩٠) تصوير فاسد لم يقع ولا يقول به أحد ! فكل أهل التوحيد يعتقدون أن قدرة الله تعالى أعظم من قدرة العباد جميعاً ! لكن العقلاء لا ينفون قدرة العباد التي أعطاهم الله إياها !

(٨٩١) أي والله ! وتعالى عن الهذيان الذي تهذي به والتفسيرات المعوجَّة التي تأتي بها !

وإذا لم يجز ذلك ؛ لأن الفعل لا يكون فعلاً على حقيقته إلا ممن علمه على ما هو عليه من حقيقته ، كما لا يجوز أن يكون فعلاً ممن لم يعلمه فعلاً ، فقد وجب أن الله تعالى هو الذي قدَّر الكفر وخلقه كفراً فاسداً باطلاً متناقضاً ، خلافاً للحق والسداد(٨٩٢) .

الباب الحادي عشر
الكلام في الشفاعة والخروج من النار

ويقال لهم : قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة ، فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر ، أم للمؤمنين المخلصين(٨٩٣) ؟

فإن قالوا : للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا . وإن قالوا : للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها . قيل لهم : فإذا كانوا موعودين بالجنة وبها مبشرين ، والله تعالى لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته ؟(٨٩٤) ومن قولكم أنهم قد استحقوها على الله عز وجل

---

(٨٩٢) كلام لا دلالة فيه فيما نرى على ما يقول لأنه لا لزوم بين العلم وبين الخلق والإكراه والجبر !

(٨٩٣) الشفاعة لأصحاب الصغائر التي لم يتوبوا منها ! أما أصحاب الكبائر التي لم يتوبوا منها فلا شفاعة لهم لقوله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ !! ولقوله تعالى ﴿ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ البقرة : ٨١ ، وقضية أن هناك من يشفع لأصحاب الكبائر وللظالمين والمجرمين لم تأت في القرآن الكريم وإنما جاءت في أحاديث مصنوعة مختلقة !

فالشفاعة هي للمذنبين الذين لم يقترفوا الكبائر أن يُكَفِّرَ الله عنهم سيئاتهم ولبعض الناس في رفع درجاتهم في الجنة ولحوقهم بدرجات آبائهم ﴿ والذين ءامنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ﴾ الطور : ٢١ !!

(٨٩٤) هي لتكفير الصغائر ولعلو الدرجات لقوله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ !! وقال تعالى ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب **أفأنت تنقذ من في النار** ﴾ الزمر : ١٩ !! ومن الحديث مثل :

واستوجبوها عليه سبحانه ، وإذا كان الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة ، وكان تأخيرهم عن الجنة ظلماً ، فإنما يشفع الشفعاء إلى الله تعالى في أن لا يظلم على مذاهبكم(٨٩٥) تعالى الله عن افتراءكم عليه علواً كبيراً .

فإن قالوا : يشفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى في أن يزيدهم من فضله ، لا في أن يدخلهم جناته .

قيل لهم : أو ليس قد وعدهم الله عز وجل ذلك فقال تعالى : ﴿ فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ﴾ النساء : ١٧٣ والله تعالى لا يخلف وعده ، فإنما يشفع إلى الله تعالى عندكم من أن يخلف وعده ، وهذا جهل منكم(٨٩٦) ، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحقه عقاباً أن يوضع عنه عقابه(٨٩٧) ، أو في من لم يعده شيئاً أن يتفضل عليه به ، فأما إذا كان الوعد بالتفضُّل سابقاً فلا وجه لهذا .

مسألة : فإن يسألوا عن قول الله تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ الأنبياء : ٢٨ . فالجواب عن ذلك : إلا لمن ارتضى لمن يشفعون له(٨٩٨) ، وقد روى أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر(٨٩٩) ، وروى عن النبي صلى

« لا يدخل الجنة قاطع رحم » رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم (٢٥٥٦) ، وحديث : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم (٩١) ، والأحاديث في صاحب المكس ومدمن الخمر والقتات النمام وغير ذلك كثيرة !

(٨٩٥) كلام غير مستقيم !

(٨٩٦) من العجيب الغريب أن جهله مكعب ويصف الناس بالجهل !

(٨٩٧) كُلُّ لَفٍّ ودوران المصنف في هذه المسألة ليخرج الطغاة من الجبابرة والفسقة من العقاب والعذاب ويضعهم في النعيم ! قال تعالى ﴿ وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴾ السجدة : ٢٠ !!

(٨٩٨) هذا تأويل بعيد ركيك ! يجوز فيه عندهم أن يشفعوا لأكبر المجرمين من القتلة والظالمين !

(٨٩٩) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٤/ ٣٨٧) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس مرفوعاً !! ولا وجود له في مصنف عبد الرزاق ! والذي رواه مسلم (٢٠٠) من حديث قتادة عن

الله عليه وسلم : أن المذنبين يخرجون من النار[٩٠٠] .

الباب الثاني عشر
الكلام في الحوض

وأنكرت المعتزلة الحوض[٩٠١] ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف .

وروى عن عفان ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره ، فبلغ

أنس في الشفاعة هو بلفظ : ((لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)) . ولكعب الأحبار دَخْلٌ في قضية الشفاعة والدليل على ذلك : ما رواه مسلم (١٩٨) عن أبي هريرة قال لكعب الأحبار : إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((لكل نبي دعوة يدعوها فأنا أريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)) فقال كعب لأبي هريرة : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! قال أبو هريرة : نعم .

وقد روى حديث ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) ابن حبان في ((صحيحه)) (١٤/٣٨٦) عن جابر مرفوعاً ! وقد رواه مسلم في ((الصحيح)) (٢٠١) عن جابر وليس فيه (لأهل الكبائر) ولفظه : ((لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة)) .

فروايات ابن حبان والحاكم وغيرهما أسانيدها غريبة تثير الشك والريبة ! وهي أحاديث آحاد مخالفة لما في القرآن ولما في الصحيحين !

ثم إن هذا الحديث معارض لقول الله تعالى ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ .

(٩٠٠) ما روي من الأحاديث في ذلك آحاد معارضة للقواطع الدالة على أن الفساق والمجرمين ليس لهم إلا النار وما هم بخارجين منها .

(٩٠١) لا نعرف أن المعتزلة أنكرت الحوض ! وعلى المصنف ومن يقول بقوله أن يبين أين أنكرت المعتزلة الحوض ! وهذه عندي فرية بلا مرية ! وقد ذكر الزيدية كما في كتاب ((عدة الأكياس)) (٢/٣٥٩) الحوض ولم يذكروا عن أحد من أئمة العترة عليهم صلوات الله تعالى أو عن أحد من المعتزلة أنه نفاه !!

أنسا رضي الله عنه ، فقال : لا جرم والله لأفعلن به ، قال : فأتاه فقال : ما ذكرتم من الحوض ، ما أنكرتم من الحوض ، قال عبيد الله : هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره ؟ قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا مرة وكذا مرة يقول : « ما بين طرفيه ـ يعنى الحوض ـ ما بين إيلة ومكة ، أو ما بين صنعاء ومكة ، وأن آنيته أكثر من نجوم السماء »[(٩٠٢)] [**اللهم اسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً**][(٩٠٣)] .

وروى أحمد بن عبد الله بن يونس ، قال : ثنا ابن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جندب بن سفيان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا فرطكم على الحوض »[(٩٠٤)] في أخبار كثيرة .

---

(٩٠٢) هذا إسناد ضعيف لأجل حماد بن سلمة ! وعلي بن زيد بن جُدْعَان ضعيف عندهم ! والحديث رواه أحمد (٣/ ٢٣٠) .

(٩٠٣) الظاهر أنها زيادة ناسخ .

(٩٠٤) رواه البخاري (٦٥٨٩) وقد ستر المصنف حديث البخاري (٧٠٤٩) الذي لفظه : « أنا فرطكم على الحوض **ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول لا تدري ما أحدثوا بعدك** » لأن هذه الألفاظ ستدمر كلامه فيما بعد الذي سيأتي به في مسألة الصحابة !

الباب الثالث عشر

الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر(٩٠٥) [**أعاذنا الله منه**](٩٠٦) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ، وروى عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، وما روى عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده ، فوجب أن يكون إجماعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٩٠٧) .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من عذاب القبر »(٩٠٨) .

وروى أحمد بن إسحق الحضرمي ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا موسى بن عقبة

---

(٩٠٥) المعتزلة لا ينكرون عذاب القبر ! وهذا المصنف كذاب أشر ! والدليل على ذلك وعلى أنه مفترٍ على العدلية !! قول القاضي عبد الجبار في « شرح الأصول الخمسة » ص (٧٣٠) : [فصل في عذاب القبر : وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة ، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به] ثم شرع القاضي في الاستدلال لثبوت عذاب القبر !
والأشعري يعتمد على ابن الراوندي في النقل كما في « مقالات الإسلاميين » في التشنيع على هشام بن الحكم وعلى من يدَّعي أنهم من المجسمة وليسوا كذلك ! وابن الراوندي ملحد حكم بإلحاده أهل السنة والمعتزلة ! فانظروا ترجمته في « سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٩) للذهبي .

(٩٠٦) زيادة من ناسخ وليست من نص الإبانة ولا من كلام الأشعري .

(٩٠٧) بدل أن يُصَدِّر الاحتجاج بالقرآن انظروا كيف يبدأ بالاحتجاج بأقوال الصحابة وبالأحاديث ولا يدري فلربما اختلفوا في عذاب القبر ! مع أن نعيم القبر وعذابه الذي هو في الحقيقة نعيم البرزخ وعذابه مقطوع به عندنا وعند المسلمين ! وهذا يدل على أنه مفلس من أساليب الاحتجاج ويتهم الناس بما هم برءاء منه !

(٩٠٨) رواه ابن أبي شيبة (٣/ ٥٠) ، والحديث رواه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت .

قال : حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر[٩٠٩] [**أعاذنا الله منه**][٩١٠] .

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لولا أن تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني))[٩١١] .

دليل آخر : ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾غافر: ٤٦ فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً .

وقال تعالى : ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ التوبة : ١٠١ مرة بالسيف ، ومرة في قبورهم ، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة .

وأخبر الله تعالى أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٩١٢] ال عمران : ١٦٩ -١٧٠ وهذا لا يكون إلا في الدنيا ؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا .

---

(٩٠٩) رواه البخاري (١٣٧٦) .

(٩١٠) زيادة من ناسخ وليست من نص الإبانة ولا من كلام الأشعري .

(٩١١) رواه مسلم (٢٨٦٨) وأحمد (٣/ ١١١) واللفظ له ! ورواه عبدالله ابن أحمد في كتاب السنة (١/ ٢٧٥) ولعل المصنف نقله من هنالك !!

(٩١٢) كل هذه الآيات الكريمات تدل على نعيم وعذاب القبر الذي هو في البرزخ ولا ريب .

الباب الرابع عشر

الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾[(٩١٣)] النور : ٥٥ .

وقال تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ الحج : ٤١ .

وأثنى الله تعالى على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام ، وعلى أهل بيعة الرضوان ، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين[(٩١٤)] في مواضع كثيرة .

وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾[(٩١٥)] الفتح : ١٨ .

---

(٩١٣) هذه الآية الكريمة وعد من الله لعباده الصالحين على وجه العموم فلا يصح أن يستدل بها على عبد بعينه ! وبالتالي فإن بعض النواصب يستدل بها على خلافة أو مُلْكِ معاوية ! وبالتالي فإن الاستدلال بها على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يصح !

(٩١٤) قوله أجمعين غير صحيح لأن الثناء على الغالب أو على المجموع لا على جميع الأفراد ! لأنه قد ارتدَّ من السابقين والآخرين أناس كما هو معلوم في التراجم والسير !

(٩١٥) وأخرجوا من ذلك مثل الحرقوص بن زهير ، وعبد الرحمن بن عُدَيس البلوي ونحوهما ، قال الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (٣/ ٥٣١) في ترجمة عبد الرحمن بن عُدَيس : [**له صحبة وبايع تحت الشجرة** وله رواية ... كان ممن خرج على عثمان وسار إلى قتاله ، ثم ظفر به معاوية فسجنه بفلسطين في جماعة ، ثم هرب من السجن فأدركوه بجبل لبنان فَقُتِلَ ولمَّا أدركوه قال لمن قتله : ويحك اتق الله في دمي **فإني من أصحاب الشجرة** ، فقال : **الشجر بالجبل كثير وقَتَلَه** ..

وعن محمد بن يحيى **الذهلي قال : لا يحلُّ أن يُحَدَّث عنه بشيء هو رأس الفتنة**] . فاعتبروا يا أولي الأبصار !!

وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق[٩١٦] رضي الله عنه ، وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبايعوه وانقادوا له ، وأقرُّوا له بالفضل ، وكان أفضل الجماعة[٩١٧] في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي ، وسياسة الأمة وغير ذلك .

دليل آخر من القرآن على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٩١٨] :

وقد دلّ الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة براءة فقال تعالى للقاعدين عن نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمتخلفين عن الخروج معه : ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ التوبة : ٨٣ .

وقال تعالى في سورة أخرى : ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ الفتح : ١٥ يعني قوله : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ﴾ التوبة : ٨٣ ، ثم قال تعالى : ﴿ كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴾ الفتح : ١٥ ، وقال تعالى : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا ﴾ الفتح : ١٦ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى

---

(٩١٦) لم يجمعوا لأن سيدنا علياً رضي الله عنه ممن خالف في ذلك ولم يبايع ! وفي البخاري (٤٢٤١) أنه بايع بعد ستة أشهر ! وقال لأبي بكر الصديق كما في ذلك الحديث : ((**ولكنك استبددت علينا بالأمر** ..)) !!

(٩١٧) ليس كذلك فالصحابة مختلفون فيمن هو أفضل الصحابة فذهب جمهور المنقول عنهم إلى أن أبا بكر أفضلهم وذهب بعضهم إلى أن سيدنا علي هو الأفضل ، وذهب بعضهم إلى أنه جعفر الطيار ، والاختلاف في ذلك مشهور نقلناه في مقدمة ((صحيح شرح الطحاوية)) ونقله أخونا العلامة محمود سعيد ممدوح في ((غاية التبجيل وترك القطع في التفضيل)) فارجع إليه رشدتَ !!

(٩١٨) الظاهر أن صاحبنا يحلم أحلام اليقظة ويتخيل !! إذ ما أورده من الآيات الكريمة ليس فيها دليلاً على ما زعم البتة !!

قتالهم ﴿ كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليماً ﴾ الفتح : ١٦ والداعي لهم إلى ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل له ﴿ قل لن تخرجوا معي أبداً ولـن تقاتلوا معي عدوا ﴾ التوبة : ٨٣ .

وقال تعالى في سورة الفتح : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ الفتح : ١٥ فمنعهـم الخروج مع نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل خروجهم معـه تبديـلاً لكلامـه ، فوجـب بذلـك أن الداعـي الـذي يدعوهـم إلـى القتـال داعـي يدعوهـم بعـد نبيـه صلـى الله عليه وسلم .

وقد قال الناس : هم أهل فارس ، وقالوا : أهل اليمامة ، فإن كانوا أهـل اليمامـة فقد قاتلهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي اللـه عنـه ، وإن كـانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضاً ، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلـوا فـي أيـام أبـي بكـر رضي الله عنه ، وقاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده وفرغ منهم .

وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه ، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه ؛ لأنه العاقد له الإمامة ، فقـد دل القـرآن علـى إمامـة الصديق رضي الله عنه والفاروق رضي الله عنه(٩١٩) .

وإذا وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وجب أنه أفضل المسلمين(٩٢٠) .

دليل آخر من الإجماع على إمامة أبي بكر(٩٢١) رضي الله عنـه : وممـا

(٩١٩) لقد ترك النبي الناس دون أن يعين لهم إماماً كما يزعم المصنف وأمثاله ويتخبطون لقول عمر رضي الله عنه في إمامة سيدنا أبي بكر (كانت فلته وقـى اللـه شـرها) البخـاري (٦٨٣٠) فلـو كـان منصوصاً عليه لم تكن فلتة !! فالسنة إذن ترك الناس ليكون أمرهم شورى بينهم فكيف يترك الصديـق هذا المنهج القرآني النبوي ويوصي لمن جاء بعده بالخلافة فيعينه ؟!

(٩٢٠) بل سيدنا علي عندنا وعند طوائف من الصحابة ومن بعدهـم أفضـل المسـلمين !! علـى أنـه خلاف جار بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

(٩٢١) إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وغيره ليست من أصول الدين وأسس العقيدة الإسلامية

يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعاً بـايعوه وانقـادوا لإمامتـه ، وقالوا له : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأينا علياً والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنـه واقـرَّا لـه بالإمامـة ، وإذا كانت الرافضة يقولون : إن عليـاً رضـي اللـه عنـه هـو المنصـوص علـى إمامتـه ، والراوندية تقول : العباس هو المنصوص على إمامته ، ولم يكن للناس في الإمامـة إلا ثلاثة أقوال :

من قال منهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم نصّ على إمامة أبي بكـر الصديـق رضي الله عنه ، وهو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقول مَن قال : نصّ على إمامة علي رضي الله عنه .

وقول من قال : الإمام بعده العباس .

وقول مَن قال : هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، هو بإجماع المسلمين[٩٢٢] والشهادة له بذلك .

ثم رأينا علياً رضي الله عنه والعباس رضي الله عنه قد بايعاه وأجمعا على إمامتـه ، فوجب أن يكون إماماً بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين[٩٢٣] .

ولا يجوز لقائل أن يقول : كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما ، ولو جـاز

حتى يبوِّب لها المصنف في أصول الدين والتوحيد والعقيدة ! وهو لا يقصد بذلـك إلا إيجـاد الفتـن بين المسلمين والرد على الشيعة ! ولو أنه أبـدل ذلك بقولـه إن الإمامـة فـي الإسـلام مـن الأسـس الشرعية واختيار الأمة للإنسان الصالح التقي العالم الخبير وعـدم جـواز الخـروج عليـه لكـان خـيراً وأحسن تأويلاً ! لكن مكايدة المعتزلة وأتباع مدرسة آل البيت ومناحرتهم تجـري فـي دمـه ولحمـه ! وقد ورَّثها هو وغيره لمن بعده ! وعلينا أن نجتثها من جذورها ! ولا حـول ولا قـوَّة إلا باللـه العلـي العظيم !

(٩٢٢) ليست المسألة إجماعية ولذلك وقع الخلاف بين فرق المسلمين ومذاهبهم في هذه المسألة !

(٩٢٣) وقبل أن يبايع سيدنا علي أبو بكر وقبل الستة أشهر هل كان مجمعاً عليه أم لا ؟! سيدنا علـي أحد كبار الفقهاء المجتهدين وهو من أهل الحل والعقد عندما لم يبايع هـل كـانت خلافـة أبـي بكـر مجمع عليها أم لا ؟!

هذا لمدعيه لم يصح إجماع ، ولجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين .

وهذا يسقط حجة الإجماع ؛ لأن الله تعالى لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس ، وإنما تعبدنا بظاهرهم ، وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وإذا ثبتت إمامة الصديق رضي الله عنه ، ثبتت إمامة الفاروق رضي الله عنه ؛ لأن الصديق رضي الله عنه نص عليه وعقد له الإمامة ، واختاره لها[٩٢٤] .

وكان أفضلهم بعد أبي بكر رضي الله عنه .

وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى ؛ الذين نص عليهم عمر رضي الله عنه ، فاختاروه ورضوا بإمامته ، وأجمعوا على فضله وعدله .

وتثبت إمامة علي رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه لعقد من عقدها له من الصحابة رضي الله عنهم من أهل الحل والعقد ؛ ولأنه لم يدعيها أحد من أهل الشورى غيره في وقته ، وقد اجتمع على فضله وعدله ، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقاً ؛ لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه ، وأنه قلما كان لنفسه في وقت الخلفاء قبله[٩٢٥] .

ثم صار الأمر أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد ، كما مضى من قبله من الخلفاء ، وأئمة العدل من السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة

---

(٩٢٤) كلام إنشائي لا يحتاج لتعليق !!

(٩٢٥) لسنا ههنا في صدد الرد عليه في هذه المغالطات لأن لها مكاناً آخر ! فهو قد جعل خلافة أبي بكر ثابتة في القرآن وأن سيدنا علياً الذي جاءت فيه النصوص المختلفة التي منها : ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) و ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) وغيرها لم يأت فيه نص ! فمر على خلافة سيدنا علي مرور الكرام وجعل لمعاوية الخارج عليه تأويل واجتهاد ! أي ثواب وأجر !! مخالفاً في ذلك النصوص الشرعية الصحيحة والصريحة في أن معاوية كان إمام الفئة الباغية الداعية للنار ! نسأل الله تعالى السلامة !

نبيهم .

هؤلاء هم الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم أجمعين[926] .

وقد روى شريح بن النعمان ، قال : ثنا حشرج بن نباته ، عن سعيد بن جمهان ، قال ثنى سفينة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك »[927] ، ثم قال لي سفينة : أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، قال : فوجدتها ثلاثين سنة[928] .

فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين .

فأما ما جرى من علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين فإنما كان على تأويل واجتهاد[929] ، وعليٌّ الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد[930] ، وقد شهد لهم النبي

---

(٩٢٦) ونلزمه ههنا بأن معاوية لم يجمعوا على فضله وعدله !

(٩٢٧) هذا الحديث ضعيف من هذه الطريق وله طريق أخرى بإسناد حسن فيه أن ذلك الملك يكون (عاضاً) أي ظلوماً غشوماً ! إما أن المصنف يعرفه وأخفاه وإما أنه يجهله !! وأحلاهما مرٌّ !!

وهذا الحديث رواه الترمذي (٢٢٢٦) وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٩٢/ ٦٩٤٣) وأبو داود (٤٦٤٦) وأحمد (٥/ ٢٢٠و٢٢١) والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٣١٣) وإنني أرى هذا الحديث غير ثابت لأن سعيد بن جُمْهَان الذي في إسناده والذي رواه عن الصحابي سفينة يتفرَّد بأمور ! وقال البخاري : في حديثه عجائب ! مع توثيق البعض له ، وعلى كل فهذا الحديث من المفاريد !

أما حديث الملك العاض فرواه أحمد (٤/ ٢٧٣) والبزار (٧/ ٢٢٤) وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ١٨٩) : « ورجاله ثقات » .

(٩٢٨) كانت ثلاثين سنة بخلافة سيدنا الحسن بن علي ولكن المصنف يتغافل عن هذا !!

(٩٢٩) ليس كذلك بل مَنْ قاتل سيدنا علي رضي الله عنه من هؤلاء كانوا بغاة مخطئين ولكن الزبير والسيدة عائشة وطلحة رضي الله عنهم تابوا وندموا ! قال الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٢/ ١٧٧) : « **ولا ريب أن عائشة ندمت ندامة كلية على مسيرها إلى البصرة** وحضورها يوم الجمل ... » . ويعلم ذلك من تتبع هذه الأمور ! وأما معاوية فلم يتب بل ازداد في الغي

صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة ، فـدل علـى أنهـم كلهـم كـانوا علـى حـق فـي اجتهادهم[٩٣١] ، وكذلك ما جرى بين علي ومعاويــة رضـي اللـه عنهمـا ، فـدل علـى تأويل واجتهاد[٩٣٢] .

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين ، وقد أثنى الله ورسوله علـى جميعهم ، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم ، والتبري من كل مــن ينقـص أحـداً منهم رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قلنا في الأبرار قولاً وجيزاً ، والحمد الله أولاً وآخراً .

تم كتاب الإبانة عن أصول الديانة .

والطغيان وهو من الداعين إلى النار كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

(٩٣٠) لا اجتهاد في مورد النص ! ولا اجتهاد في الباطل !!

(٩٣١) بل تابوا عما اقترفوه ولذلك نحن نحبهم ونترضى عنهم !!

(٩٣٢) ما شاء الله تعالى ! دعاة النار أصبح لهم تأويل واجتهاد ! قـد عالجنـا هـذه المسـألة وبيناهـا وفصلنا الكلام فيها في كتابنا ((زهر الريحـان)) الـذي تعقبنـا فيـه قاسـماً الطـائي هـداه اللـه تعـالى فليراجعه من شاء الاستزادة !

فهرس

كتاب الإبانة للأشعري